الـــصـــحـــيـــح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

أو

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ. ـ ٢٠٠٩م.

المركز الإسلامي للدراسات

الـــصـــحـــيـــح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الرابع

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس:

حتى الحديبية..

الفصل الأول:

علي عليه السلام في حرب الخندق..

موجز عن حرب الخندق:

وفي السنة الرابعة أو الخامسة كانت غزوة الخندق، وكان حامل لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها علي بن أبي طالب «عليه السلام».. وحين بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» خبر مسير قريش استعد «صلى الله عليه وآله» لها، وحفر الخندق. فوافى المشركون، ونزلوا في الجهة الأخرى منه ، وكان المسلمون من جهة المدينة.

وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» على العسكر كله بالليل يحرسهم، فان تحرك أحد من قريش نابذهم..

وقد حاول أكثر المسلمين النأي بانفسهم عن الحرب، حتى قيل: إنه لم يبق مع النبي «صلى الله عليه وآله» سوى اثني عشر رجلاً.. وقد تحدثت سورة الأحزاب عن هؤلاء الفارين..

وانتدب فوارس من المشركين، فأتوا مكاناً ضيقاً من الخندق، وأكرهوا خيلهم على عبوره، فعبره عكرمة بن أبي جهل، وعمر بن عبد ود، وضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن أبي وهب، وحسل بن عمرو بن عبد ود، ونوفل بن عبد الله المخزومي.

فخرج أمير المؤمنين «عليه السلام» في نفر من المسلمين، حتى أخذوا

عليهم تلك الثغرة، وطلب عمرو بن عبد ود البراز، فلم يبرز إليه أحد من المسلمين، وخافوا خوفاً شديداً وكان يعد بألف فارس.

وانتدب النبي «صلى الله عليه وآله» المسلمين لمبارزة عمرو، وضمن لهم الجنة، فلم يقم منهم أحد سوى علي «عليه السلام»، فلم يأذن له.

ثم كرر عمرو النداء، وأنشد بعض الأرجاز، وعيّر المسلمين المحجمين، فعاود علي طلبه من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يأذن له بمبارزته، فلم يأذن له أيضاً..

ثم أذن له في المرة الثالثة، وعممه، ودعا له، وقال: برز الإيمان كله إلى الشرك كله.. فبارز علي «عليه السلام»، عَمرواً، فقتله، وقتل ولده حسلاً، ونوفل بن عبد الله، وفر الباقون..

ثم ألقى الله في قلوب المشركين الرعب، وهربوا ليلاً، وكفى الله المؤمنين القتال (بعلي) «عليه السلام». وحينئذ قال رسول الله: الآن نغزوهم ولا يغزوننا..

هدف الأحزاب قتل النبي وأهل البيت عليهم السلام:

تقول النصوص: بأن هدف الأحزاب من مهاجمتهم المدينة هو استئصال محمد ومن معه..

وقد ورد هذا في كلماتهم مباشرة حيث قال اليهود لهم: سنكون معكم عليه (أي على محمد) حتى نستأصله ومن معه[١].

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج١ ص٤٤١ والثقات لابن حبان ج١ ص٢٦٥ وعون =

غير أن من الواضح: أن هذا لم يكن بمقدورهم، لأن الذين مع النبي «صلى الله عليه وآله» أصبحوا يعدون بالمئات والألوف بما فيهم الأوس والخزرج، وكثير من قبائل العرب.. فاستئصالهم يكلف غالياً.. ولم يكن المشركون مستعدين لدفع اثمان كبيرة إلى هذا الحد، ولا سيما في الأرواح..

وهذا يدلنا على أن النص الأصح، والأقرب إلى الإعتبار هو ما روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام» حيث قال: «إن قريشاً والعرب تجمعت، وعقدت بينها عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله، وتقتلنا معه معاشر بني عبد المطلب[١]..

وهذا هو الأسهل والأيسر لهم بزعمهم، وبه يشفون غليل صدورهم، ولكن هذا يدل على غباء قريش، وقصر نظرها، فقد رأت من المعجزات والكرامات، والتأييدات الإلهية لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ما يبهر

= المعبود ج٨ ص١٦٥ وجامع البيان ج٢١ ص١٥٦ وتفسير الثعلبي ج٨ ص١٣ وتفسير البغوي ج٣ ص٥٠٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٠٨ وإمتاع الأسماع ج٨ ص٣٧٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٠٠ وعيون الأثر ج٢ ص٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص١٨٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٢٩.

(١) الخصال ج٢ ص٣٦٨ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٤ وج٣٨ ص١٧٠ وشرح الأخبار ج١ ص٢٨٧ والإختصاص ص١٦٦ و١٦٧ ومصباح البلاغة ج٣ ص١٢٥ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٦٣ وغاية المرام ج٤ ص٣١٨.

العقول، ويحتم حصول اليقين بأنها إنما تحارب الله تبارك وتعالى، ولا يمكن أن يتوهم عاقل أنه قادر على تحقيق أي نصر في هذا الحال.. إلا إذا كان على جانب كبير من قلة العقل، وعمى البصيرة.

النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام في حفر الخندق:

وقد صرح القمي: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان هو البادئ في حفر الخندق، فهو يقول: وأخذ معولاً، فحفر في موضع المهاجرين بنفسه، وأمير المؤمنين «عليه السلام» ينقل التراب من الحفرة، حتى عرق رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعيي، وقال:

لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم اغفر للأنصار والمهاجرة

فلما نظر الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحفر اجتهدوا في الحفر، ونقلوا التراب، فلما كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر، وقعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مسجد الفتح(١).

عناء علي عليه السلام وشيعته:

قال القاضي النعمان: «وكان علي صلوات الله عليه وشيعته أكثر الناس عناء، وفيه عملاً. وكان في ذلك من الأخبار ما يطول ذكره»(٢).

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص١٧٧ و ١٧٨ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢١٨ والصافي ج٤ ص١٧١ وج٦ ص٢١ ونور الثقلين ج٤ ص٢٤٤.

(٢) شرح الأخبار ج١ ص٢٩٢.

ونقول:

١ ـ ليس غريباً أن يشارك ويتشارك النبي والوصي، والقائد والوزير، في العمل في حفر الخندق، ولا يكتفيان بالأمر والنهي..

ولم يكن عملهما صورياً وشكلياً، بل كان معاناة حقيقية، وبذل جهد، ونصب وتعب إلى حد الإعياء..

وهذا يعطي درساً في ممارسة القيادة دورها، فإنها ليست هي القيادة التي نعتادها، بل هي قيادة النبوة الخاتمة، والإمامة العظمى، المتمثلتين بأكرم وأشرف وأفضل خلق الله..

٢ ـ كما أن هذا القائد النبي، يحدد للناس الدوافع والغايات، ويضع نصب أعينهم الهدف الأقصى، وهو الآخرة، ليكون جهدهم هذا هو الذي يهيء لهم سبيل العيش الكريم في الآخرة.. ولذلك قال «صلى الله عليه وآله»: لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم اغفر للأنصار والمهاجرة..

٣ ـ إن هذا قد أثر في الناس، فاجتهدوا في الحفر، ونقل التراب، ودعاهم ذلك إلى التبكير في اليوم التالي إلى العمل.

٤ ـ إن علياً «عليه السلام» وشيعته كانوا أعظم الناس عناء، وأكثرهم عملاً في حفر الخندق.. ولعل ذلك من أجل نيل شرف التأسي والمواساة للرسول وللوصي.. ومن منطلق التفاني في حب الله ورسوله، وأخيه ووصيه.

عثمان في مأزق:

روى الشيخ بإسناده يرفعه إلى جابر بن عبد الله، قال: كنت مع رسول

الله «صلى الله عليه وآله» في حفر الخندق، وقد حفر الناس وحفر علي «عليه السلام»، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «بأبي من يحفر وجبرائيل يكنس التراب بين يديه وميكائيل يعينه، ولم يكن يعين أحداً قبله من الخلق».

ثم قال النبي «صلى الله عليه وآله» لعثمان بن عفان: «إحفِر»، فغضب عثمان، وقال: لا يرضى محمد أن أسلمنا على يده حتى يأمرنا بالكدّ، فأنزل الله على نبيه: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**[1]﴾[2].

ورروى عليّ بن إبراهيم: قوله تعالى: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا**﴾، نزلت في عثمان يوم الخندق، وذلك أنه مرّ بعمّار بن ياسر وهو يحفر الخندق، وقد ارتفع الغبار من الحفر، فوضع عثمان كمه على أنفه ومرّ، فقال عمّار:

لا يستوي من يعمر المساجدا يظلّ فيها راكعاً وساجدا

كمن يمُرّ بالغبار حائدا يعرض عنه جاهِداً مُعاندا

فالتفت إليه عثمان، فقال: يا بن السوداء، إيّاي تعني؟

ثم أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال له: لم ندخل معك لتسبّ أعراضنا، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «قد أقلتك إسلامك فاذهب».

فأنزل الله تعالى: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ**

---

(١) الآية ١٧ من سورة الحجرات.

(٢) البرهان (تفسير) ج٧ ص٢٧٦ عن الشيخ في مصباح الأنوار.

﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي لستم صادقين **﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**(١).

ونقول:

قد دلت هذه الرواية على:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يفدي علياً «عليه السلام» بأبيه.. مع أن لآبائه من منازل الكرامة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله، وإن كانت لا تبلغ منزلة علي «عليه السلام»، وربما يكون عبد الله بن عبد المطلب من الأنبياء أيضاً كما دل عليه حديث: ما زال الله ينقلني من صلب نبي إلى صلب نبي حتى صرت نبياً، أو أخرجه نبياً، أو نحو ذلك(٢).

وعن أبي جعفر «عليه السلام» في تفسير الآية قال: في أصلاب النبيين(٣).

أو قال: من صلب نبي إلى صلب نبي(٤).

أو قال: يرى تقلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح(٥).

---

(١) الآية ١٨ من سورة الحجرات. تفسير القمي ج٢ ص٢٩٧ عن مصباح الأنوار.

(٢) مجمع الزوائد ج٧ ص٨٦ وج ٨ ص٢١٤ وتفسير السمعاني ج٤ ص٧١ وتفسير ابن كثير ج٣ ص٣٦٥.

(٣) إختيار معرفة الرجال ج٢ ص٤٨٨.

(٤) معجم رجال الحديث ج١٨ ص١٣٢ وبحار الأنوار ج١٦ ص٣٧٤.

(٥) الصراط المستقيم ج١ ص ٣٤١.

ومثله عن الإمامين الباقر والصادق «عليهما السلام»[١].

وروى البياضي عن الثعلبي في تفسير الآية: أن محمداً لم يلده إلا نبي أو وصي نبي أو مؤمن[٢].

٢ ـ تقول الرواية: ان جبرائيل، وهو أفضل الملائكة وميكائيل، وله فضل عظيم فكان أحدهما يكنس التراب بين يديه والآخر يعينه. والملائكة هم قالوا حين خلق الله تعالى آدم، وجعله خليفة في الأرض ﴿.. **أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**..﴾[٣].

٣ ـ إن ميكائيل لم يكن يعين أحداً من الخلق قبل علي «عليه السلام». وهذه ميزة فريدة له «عليه السلام».. أن يتقرب ميكائيل إلى الله، ويطلب رضاه بمعونته لعلي «عليه السلام». ولو أن ميكائيل وجد أن ذلك يحصل له مع أحد من الخلق غير علي «عليه السلام» لما تردد في معونته.

٤ ـ إن النبي حين امر عثمان: بأن يحفر، لم يكن يريد الإساءة إليه، بل أراد الإحسان إليه لأنه يأمره بطاعة الله، والتقرب إليه، وطلب رضاه..

فلماذا أجاب عثمان بذلك الجواب الجافي، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟!

٥ ـ إن الشعر الذي ردّده عمار:

---

(١) بحار الأنوار ج٦٥ ص ١١٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٥ ص ١١٨.

(٣) الآية ٣٠ من سورة البقرة.

لا يستـوي من يعمـر المســـاجـدا إلخ..

يروى أنه أنشده حين بناء المسجد، لا عند حفر الخندق. وإن كان لا شيء يمنع من تكرار الحادثة في المقامين..

٦ ـ لم يكن هناك أي مبرر لأن يذكر عثمان دخوله في الدين، ويجعله سبباً لتعرضه للسّب، والأمر في السب وعدمه تابع لأسبابه ودوافعه، التي قد تكون شخصية، وقد لا تكون.. وقد تكون مبررة، وقد لا تكون.. قد تكون عدوانية، وقد تكون على سبيل رد الإعتداء.

فقد قال رجل من الخوارج عن علي «عليه السلام»: قاتله الله كافراً ما أفقهه!، فوثب القوم ليقتلوه، فقال «عليه السلام»: «رويداً، إنما هو سب بسب، أو عفو عن ذنب»[1].

٧ ـ إن المؤمن الحقيقي يدخل في الدين لقناعته به، وطمعاً بالحصول على رضا الله تعالى.. وهو يضحي بأهله وماله وولده، ويتعرض لمختلف أنواع الأذي ولا يتراجع ولا يندم.. بل يزداد بصيرة وإصراراً وتصلباً في دينه.. فما معنى أن يكون اختلاف إنسان مع آخر محقاً أم مبطلاً سبباً في إظهار ندامته على الدخول في هذا الدين.. فإن الدين لا يقايض عليه بين الأشخاص.. ولا يوضع في سوق العرض والطلب، فيؤخذ تارة ويعطى أخرى..

---

(١) نهج البلاغة (الخطب): ج ٤ ص ٩٩.

علي عليه السلام يروي لنا:

عن علي «عليه السلام»، قال: «كنا مع النبي «صلى الله عليه وآله» في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة، ومعها كسرة خبز، فدفعتها إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وقال النبي عليه وعلى آله الصلاة والسلام: ما هذه الكسرة؟!

قالت: قرصاً خبزتها للحسن والحسين، جئتك منه بهذه الكسرة.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث(1).

ونقول:

قد دلنا هذا الحديث على أمور عديدة، نذكر منها:

١ ـ إنه حين يروي أمير المؤمنين لنا أمراً ما، فلا بد أن يكون له أهمية بالغة، ودلالات هامة، يريد لنا أن نلتفت إليها ونقف عليها..

٢ ـ إن ذلك يشير إلى إهتمام فاطمة الزهراء بأبيها، حتى إنها لتؤثره بكسرة من قرص خبزتها للحسن والحسين «عليه السلام»، الذين كان

---

(1) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٤٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١ ص٤٣ وذخائر العقبى ص٤٧ وبحار الأنوار ج١٦ ص٢٢٥ وج٢٠ ص٢٤٥ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٣٣ وينابيع المودة ج٢ ص١٣٦ وصحيفة الإمام الرضا «عليه السلام» (ط دار الأضواء) ص٧١ و ٧٢ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص١٤٣ و ٣٣٠ ومسند زيد بن علي ص٤٦١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٢٨٦.

عمرهما في حدود سنة وأزيد منها بأشهر قليلة..

٣ ـ إن جهره «صلى الله عليه وآله» بأن هذه الكسرة هي أول طعام دخل فمه منذ ثلاثة أيام يعطي أنه يريد أن يواسى أولي الحاجة من أصحابه، على قاعدة: هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي على تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى، وأكباد حرى، أو اكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت ببطنة   وحولك أكباد تحن إلى القد

أأقنع من نفسي أن يقال أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟![١].

لمن لواء المهاجرين؟!:

قالوا: كان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة[٢].

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٧٢ ومستدرك الوسائل ج١٦ ص٣٠١ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٤٧٤ وج٤٠ ص٣٤١ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٣ ص٢٧٣ ونهج السعادة ج٤ ص٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢٨٧.

(٢) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٧١ ص١٧٠ وعيون الأثر ج٢ ص٣٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٦٧.

ونقول:

لماذا أهمل هؤلاء الإشارة إلى صاحب الراية العظمى، مع تصريحهم باسم حامل لواء المهاجرين، وبإسم حامل لواء الأنصار، مع أننا:

١ ـ قدمنا في حرب أحد أن علياً «عليه السلام» كان صاحب لواء (وراية) النبي «صلى الله عليه وآله» في بدر وفي كل مشهد.

٢ ـ ورد في احتجاج الإمام الحسن المجتبى «عليه السلام» على معاوية وابن العاص، والوليد الفاسق قوله: «ثم لقيكم يوم أحد، ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الله، ومعك ومع أبيك راية الشرك»[(١)].

٣ ـ روى الحكم بن عتيبة، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: «كانت راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع علي «عليه السلام» في المواقف كلها: يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين، ويوم الأحزاب، ويوم فتح مكة.

وكانت راية الأنصار مع سعد بن عبادة في المواطن كلها، ويوم فتح مكة، وراية المهاجرين مع علي «عليه السلام»»[(٢)].

وهذا يدل على أن قولهم: كانت راية المهاجرين يوم الأحزاب مع زيد

---

(١) كفاية الطالب ص٣٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص٢٨٩ والغدير ج١٠ ص١٦٨ عنه، وجمهرة الخطب ج٢ ص٢٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٧٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٢١٢ وج٢٦ ص٥٤١.

(٢) إعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٩١ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٣٧٤ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٧٢.

بن حارثة غير صحيح.

الغطرسة القرشية، والحكمة المحمدية:

وعن علي «عليه السلام» قال: «فقدمت قريش، فأقامت على الخندق محاصرة لنا، ترى في أنفسها القوة وفينا الضعف، ترعد وتبرق، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يدعوها إلى الله عز وجل، ويناشدها بالقرابة والرحم، فتأبى، ولا يزيدها ذلك إلا عتواً»[١].

ونقول:

ليس غريباً على قريش هذا العتو، وهذه الغطرسة، ما دامت تقيس الأمور بمقاييس مادية، وترى القوة في أنفسها، والضعف في المسلمين، الذين جاءت لاستئصالهم، وإبادة خضرائهم، ولكن هذا العتو وتلك الغطرسة سرعان ما تلاشت، ليحل محلها الضعف والخنوع، والخيبة القاتلة، كما سنرى.

وليس غريباً أيضاً: أن نجد النبي «صلى الله عليه وآله» ومن موقع الشعور بالمسؤولية يعتمد الأسلوب الإنساني، ويستثير العاطفة الناشئة عن صلات القربى ولحمة النسب، والتي تكون لها هيمنة حقيقية على الإنسان، ولا بد أن تجتاح لمعاتها وهزاتها الجامحة كل كيانه، وكل وجوده. ثم هو

---

(١) الخصال ج٢ ص٦٨ باب السبعة، و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٣٦٨ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٤ وج٣٨ ص١٧٠ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص١٢٥ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٦٣ وغاية المرام ج٤ ص٣١٩.

«صلى الله عليه وآله» يقرن ذلك بالدعوة إلى الله عز وجل، الذي هو مصدر الخير والقوة والبركات.

وحين لا تستجيب لداعي الرحم، ولا لداعي الله، وتصرّ على الإستجابة للهوى وللشيطان، فلا يبقى خيار سوى التصدي لها، وإسقاط هذا العنفوان الرديء والرذل، وتمريغ أنفها برغام الذلة والخزي والهوان.. وهكذا كان.

حراسة العسكر:

قال القمي: «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل، وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» على العسكر كله بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم.

وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» يجوز الخندق، ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم، فلا يزال الليل كله قائماً وحده يصلي، فإذا أصبح رجع إلى مركزه..

ومسجد أمير المؤمنين «عليه السلام» هناك معروف، يأتيه من يعرفه، فيصلي فيه، وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشابة[١]»[٢].

---

(١) غلوة نشاب: أي مقدار رمية سهم.

(٢) راجع: تفسير القمي ج٢ ص١٨٦ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٣٠ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٢٠٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٢٧٤ والصافي ج٤ ص١٧٨ وج٦ ص٢٨ ونور الثقلين ج٤ ص٢٥٤.

ونقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات هي التالية:

ضرورة الحراسة:

إن من البديهيات ضرورة الحذر من العدو المحارب، وحرمانه من فرصة تسديد ضربات هنا وهناك، من شأنها إرباك الجيش الإسلامي، أو إحداث ثغرات خطيرة فيه، وإلحاق الأذى بمعنوياته، وبثقته بقدارته، وطمأنينته إلى حسن تدبير القائمين على الأمور فيه.

ولم يكن يتولى الحراسة في حرب الخندق أشخاص عاديون، بل كان يتولاها قائد الجيش كله، وحامل لوائه وأميره الذي لم يكن فقط قادراً على اتخاذ القرار المناسب، ثم يأمر وينهى، بل كان يقرر ثم يباشر التنفيذ بنفسه، ثم هو في نفس الوقت لا يترك الفرصة تمر، ولا يمنح العدو أية قدرة على إتخاذ أي قرار آخر سوى الفرار، أو مواجهة الموت المحتم..

وكان لا بد لهذه الحراسة من أن تتواصل لتستغرق الزمان كله، لأن ذلك يعطي العدو الفرصة السانحة، ويجعل من الغفلة العارضة أو المنظمة منفذاً وسبباً لتضييع الجهد، وحمل النصر للعدو.

ولذلك كان لا بد من مواصلة الحراسة في الليل كله، لأن الليل هو وقت الهجعة اللذيذة، والغفلة القاهرة، لا سيما بعد أن يأخذ الملل والتعب مأخذهما.

والليل أيضاً هو الذي يمنح العدو الغطاء والوقاء، ويمكنه من تسديد ضرباته وفق ما يحلو له، وفي المكان الذي يختاره.

من أجل ذلك نقول:

إنها لا بد أن تكون حراسة غير خاضعة لحدود الزمان والمكان، فلا تستقر في نقاط بعينها، لأنها في هذه الحال تمنح العدو فرصة التخطيط لإختراقها، أو لتحاشيها..

كما أن إطلاقها هذا يضيع على العدو الإحساس بالأمن، في أي من حالاته، ويجعله يتوقع المفاجآت، فيشغله ذلك بالعمل على تحاشيها، والإهتمام بحفظ نفسه قبل أن يفكر بأي تحرك خارج هذا النطاق، حيث لا بد أن يتوقع أن يفاجأ بدوريات الحراسة في كل إتجاه..

رصد العدو قتالياً:

كما أن المهمة التي اضطلع بها علي «عليه السلام» لم تقف عند حدود الحراسة، بل تعدت ذلك إلى الرصد الدقيق لتحركات العدو..

ولم يكن ذلك مجرد رصد يهتم بنقل مشاهداته إلى القيادة لكي تتخذ هي القرار، بل هو الذي يرصد، ثم يقرر، ثم يباشر التنفيذ..

والذي يتولى الرصد ليس إنساناً عادياً، بل هو قائد الجيش كله، الذي لن يجد معلومات أصح مما يحصل هو بنفسه عليه، ويراه بعينيه، ويسمعه بأذنيه.. ولن يحسن أحد تنفيذ ما يريده، ويرسم خطته أكثر منه، ولا يحتاج في المستجدات إلى انتظار القرار من أحد.. وهو أيضاً رصد دائم ومتواصل.

وكان الموضع الذي يستقر فيه لممارسة مهمته، موقعاً متقدماً جداً، قد لا يجرؤ على الوصول إليه أحد سواه.. وإن بلغه أحد، فلن يجرؤ على الإستقرار فيه طوال الليل.

مسجد في موضع صلاة علي عليه السلام:

وقد بقي المسجد في ذلك المكان الذي كان علي «عليه السلام» يرصد ويصلي فيه طوال الليل ـ بقي ذلك الشاهد الصادق على هذه التضحيات الجسام من أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد صمد هذا المسجد عشرات أو مئات الأعوام.

ولكن هل تركته الفئة الوهابية، أم هدمته متذرعة بأعذار واهية، لممارساتها المتواصلة لمحو آثار الإسلام، حيث هدمت قبور أهل البيت، وأزالت المساجد، ومحت الآثار الدالة على جهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجهاد وصيه، والشاهدة على تضحيات الأخيار من أصحابه، والصفوة من أهل بيته؟!

وإذا كان لا يزال باقياً، فهل سيستمر بمرأى ومسمع منهم، ولا سيما إذا علموا أن لعلي «عليه السلام» أي أثر فيه؟!

الراصد المصلي:

ويواجهنا هنا سؤال يقول:

ذكروا: أن علياً «عليه السلام» أصاب رجله في غزوة أحد سهم صعب، فأمر «صلى الله عليه وآله» بإخراجه منها حين اشتغال علي «عليه السلام» بالصلاة، فأخرجوه من رجله، فقال بعد فراغه من الصلاة: إنه لم يلتفت لما جرى[1].

---

(١) إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦٠٢ عن المناقب المرتضوية الكشفي الحنفي ص٣٦٤.

وفي نص آخر: كانوا إذا أرادوا إخراج الحديد والنشاب من جسده الشريف تركوه حتى يصلي، فإذا اشتغل بالصلاة، وأقبل على الله تعالى أخرجوا الحديد من جسده ولم يحسّ، فإذا فرغ من صلاته يرى ذلك، فيقول لولده الحسن «عليه السلام»: إن هي إلا فعلتك يا حسن[١].

وفي نص ثالث: أن الزهراء «عليها السلام» هي التي أشارت عليهم بذلك[٢].

وفي نص آخر: أن ذلك كان في حرب صفين، وأنهم أخرجوه حال سجوده[٣].

ولا مانع من أن تتكرر الواقعة، فإنه «عليه السلام» قد خاض حروباً كثيرة، لعلها تعد بالعشرات، ولم يكن يجرؤ أحد على الإقتراب منه، فكان رشقه بالسهام هي الطريقة الممكنة لإلحاق الأذى به «عليه السلام»..

فلنا بعد هذا أن نسأل: كيف يمكن رصد حركة العدو من قبل من هو مشغول بالصلاة، إذا كان هذا هو حال الراصد في صلاته؟!

ونجيب:

أولاً: بأن الله تعالى قد أجاب عن ذلك في آية قرآنية مباركة، هي قوله

---

(١) إرشاد القلوب ص٢١٧ وحلية الأبرار ج٢ ص١٧٩.

(٢) المحجة البيضاء ج١ ص٣٩٧ و ٣٩٨ وجامع السعادات ج٣ ص٢٦٣.

(٣) الحدائق الناضرة ج٧ هامش ص٢٤٢ وأسرار الشهادة (ط سنة ١٣١٩هـ) ص٢٥٥.

تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(١).

وقد جعل الله تبارك وتعالى حديث التصدق بالخاتم في حال الركوع مبرراً للإعلان عن أخطر منصب، وأجلّ مقام، يرتبط بمستقبل ومصير البشرية بأسرها، لا في جيل بعينه، وإنما في الأجيال المتعاقبة كلها إلى يوم القيامة..

مع أن هذا التصدق إنما حصل من نفس هذا الذي استخرجت السهام من جسده وهو يصلي، ولم يشعر بذلك..

ثانياً: إن هذا التصدق لا يتنافى مع تلك الصلاة، فإنهما معاً من سنخ واحد، فهما عيش مع الله، وتفكير بما يرضيه، فهو لم يفكر في الدنيا، ولا اهتم لزبارجها وبهارجها.. بل انصرف إلى عبادة الله..

ثالثاً: بل هو «عليه السلام» قد مارسهما معاً في آن واحد، ومن الممكن توضيح ذلك بالإشارة إلى أن من يشرف على الجنة، فإنه يرى أشجارها، وأنهارها، وحورها، وقصورها بنظرة واحدة.

كما أن من يعيش في واحات الرضى والقرب الإلهي، فإنه يشعر ويحس ويرى، ويتفاعل مع كل ما تحويه تلك الواحات، فهو يسبح الله، ويبكي خوفاً منه، ويفرح بكونه في مقام الزلفى، ويرجو أن يحصل على المزيد من منازل الكرامة في آن واحد أيضاً.

---

(١) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

وهذا بالذات هو ما جرى حين التصدق بالخاتم في الصلاة، وكذلك حين كان «عليه السلام» يصلي ويرصد حركة أعداء الله..

رابعاً: حتى لو أردنا أن نضع هذا الأمر في سياق الحسابات المفرطة في ماديتها، فنسلخها عن أبعادها الإيمانية، العميقة، فإن الناس العاديين قد يتمكنون من فعل ذلك، فإذا كان الراصد يصلي ركعتين مثلاً، ثم يجري معاينة للمحيط الذي يرصده، فإن رأى أنه لم يتغير شيء عاد إلى صلاته.. فإن التحرك المؤثر للعدو، يستغرق أكثر مما تستغرقه صلاة ركعة أو ركعتين، لأن الهدوء في الليل يفضح الأصوات، لمن يكون قريباً من مصدرها، مهما حاول من تصدر عنه أن يتستر عليها، وتحتاج لكي تختفي في ذلك الزمان الذي كان يعتمد في تحركاته الوسائل المغرقة في بدائيتها إلى المزيد من الوقت، حال الإنتقال من مكان إلى مكان.

فكيف إذا كانت تلك التحركات في مكان لا يتحاشى العدو وفيها من أحداث الأصوات، لأنه يظن نفسه بعيداً عن مواقع الرصد من الطرف الآخر..

الفصل الثاني:

عمرو في المواجهة.. نصوص.. وآثار

علي عليه السلام يسد طريق الهرب:

وذُكر أنه لما عبر عمرو بن عبد ود ومن معه الخندق أمر النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»، بأن يمضي بمن خف معه ليأخذ الثغرة عليهم، وقال: «فمن قاتلكم عليها فاقتلوه»(١).

فخرج «عليه السلام» في نفر من المسلمين حتى أخذ الثغرة، وسلمها إليهم، فوقف عمرو، وطلب البراز(٢).

---

(١) شرح الأخبار ج١ ص٢٩٤.

(٢) راجع المصادر التالية: مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ والإرشاد للمفيد ص٥٢ و (ط دار المفيد) ج١ ص٩٨ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٧ و ٢٠٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٩ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ وعيون الأثر ج٢ ص٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٥ و (ط مكتبة محمد علي صبيح وأولاده) ج٣ ص٧٠٨ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٧ والبدء والتاريخ ج٤ ص٢١٨ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٦ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٢ وتاريخ=

وقد وصف علي «عليه السلام» قريشاً: «..وفارسها وفارس العرب عمرو بن ود يهدر كالبعير المغتلم..

إلى أن قال: والعرب لا تعد لها فارساً غيره»[1].

مبارزة علي عليه السلام لعمرو:

ونذكر هنا طائفة من النصوص التي تصف ما جرى بين علي وعمرو بن عبد ود ومن معه. وقد آثرنا أن نستعيرها من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»[2]، فنقول:

= الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٩ و (ط دار الكتاب العربي) ص٢٩٠ وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٠٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٩٢ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٤ والدرر لابن عبد البر ص١٧٤ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٣٤ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٧٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص١٠٨ عن مختصر سيرة الرسول لابن عبد الوهاب الحنبلي الوهابي (ط المطبعة السلفية في القاهرة) ص ٢٨٥.

(١) الخصال ج٢ ص٣٦٨ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٣٦٨ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٤ وج٣٨ ص١٧٠ والإختصاص ص١٦٧ وشرح الأخبار ج١ ص٢٨٧ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص١٢٦ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٦٣ وغاية المرام ج٤ ص٣١٩.

(٢) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» (الطبعة الخامسة) ج١١ ص١٢٠ ـ ١٣٦.

ذكروا: أن عمرو بن عبد ود جعل يدعو للبراز وكان قد أعلم[1]، لكي يرى مكانه.. وهو يعِّرض بالمسلمين.

فقال «صلى الله عليه وآله» على ما في الروايات: من لهذا الكلب؟!

فلم يقم إليه أحد.

فلما أكثر، قام علي «عليه السلام»، فقال: أنا أبارزه يا رسول الله، فأمره بالجلوس، انتظاراً منه ليتحرك غيره.

وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير، لمكان عمرو، والخوف منه وممن معه، ومن وراءه.

فقال عمرو: أيها الناس، إنكم تزعمون: أن قتلاكم في الجنة، وقتلانا في النار؟ أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة، أو يقدم عدواً له إلى النار؟.

فلم يقم إليه أحد.

فقام علي «عليه السلام» مرة أخرى، فقال: أنا له يا رسول الله، فأمره بالجلوس.

فجال عمرو بفرسه مقبلاً مدبراً. وجاءت عظماء الأحزاب، ووقفت من وراء الخندق، ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو: أن أحداً لا يجيبه قال:

ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز

---

(١) أعلم: أي ميز نفسه بعلامة، لكي يراه الأقران، وهو يدلل على شجاعته، وأنه غير هائب من أحد.

ووقــفــت مـذ جبـن المشجع　　مـوقــف الــقـــرن المـــنــاجـز
إنـــي كـــذلـــك لــــم أزل　　مـتـســرعـــاً قـبـل الهــزاهـــز
إن الـــشــجــاعــة فـــي الـفـتى　　والجـــود مـــن خـيـــر الغرائز

فقام علي «**عليه السلام**»، **فقال**: يا رسول الله، ائذن لي في مبارزته.

فلما طال نداء عمرو بالبراز، وتتابع قيام أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ادن مني يا علي.

فدنا منه، فقلده سيفه (ذا الفقار)، ونزع عمامته من رأسه، وعممه بها، وقال: امض لشأنك.

فلما انصرف، قال: اللهم أعنه عليه(١).

---

(١) راجع المصادر التالية: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٣ و ٦٤ والإرشاد للمفيد ص٥٩ و ٦٠ وعيون الأثر ج٢ ص٦١ و (ط مؤسسة عز الدين ـ بيروت) ج٢ ص٣٩ وإعلام الورى ص١٩٤ و ١٩٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٠ و ٤٧١ وحبيب السير ج١ ص٣٦١ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٥ وبحار الأنوار ج٣٩ ص٤ و ٥ وج٤١ ص٨٨ و ٨٩ وج٢٠ ص٢٢٥ ـ ٢٢٨ و ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٢٥٤ ـ ٢٥٦ وتفسير القمي ج٢ ص١٨١ ـ ١٨٥ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٤ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٩ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤١ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٨٧ ـ ٢٨٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٦٨ و إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٧٧.

ولكن ابن شهرآشوب قال: إن عمرواً جعل يقول: هل من مبارز؟! والمسلمون يتجاوزون عنه.

فركز رمحه على خيمة النبي «صلى الله عليه وآله»، وقال: ابرز يا محمد.

فقال «صلى الله عليه وآله»: من يقوم إلى مبارزته فله الإمامة بعدي؟!

فنكل الناس عنه.

إلى أن قال: روي: أنه لما قتل عمرو أنشد علي «عليه السلام»:

ضربته بالسيف فوق الهامة بضربة صارمة هدامة

أنا علي صاحب الصمصامة وصاحب الحوض لدى القيامة

أخو رسول الله ذي العلامة وقال إذ عممني عمامة

أنت الذي بعدي له الإمامة[1]

والمفارقة هنا أن علياً هو الذي يقتل عمرواً الذي نكل عنه أبو بكر الذي طلب الإمامة واستأثر بها لنفسه بالقوة والقهر..

وعن حذيفة قال: فألبسه رسول الله «صلى الله عليه وآله» درعه ذات الفضول، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وعممه بعمامته السحاب على رأسه تسعة أكوار، ثم قال: تقدم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لما ولى: اللهم احفظه من بين يديه،

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢٤ وبحار الأنوار ج٤١ ص٨٨.

ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه[١].

ويضيف البعض: «أنه رفع عمامته، ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه، وقال: اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحرث يوم بدر، وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد، وهذا أخي علي بن أبي طالب. ﴿**رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ**﴾[٢]»[٣].

---

(١) مجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٣ ص١٣٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٣ و ٢٢٦ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج٢ ص١١ وينابيع المودة ص٩٥ و (ط دار الأسوة) ج١ ص٢٨٤ وشرح الأخبار ج١ ص٣٢٣ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٨٨ وتفسير القمي ج٢ ص١٨٣ وجوامع الجامع ج٣ ص٥٢ والصافي ج٤ ص١٧٦ وج٦ ص٢٦ ونور الثقلين ج٤ ص٢٥١ وتأويل الآيات ج٢ ص٤٥١ وغاية المرام ج٤ ص٢٧٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٠ ص٦٢٥ وج٣١ ص٢٣٤.

(٢) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء.

(٣) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦١ وج ١٣ ص٢٨٣ و ٢٨٤ وكنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٩٧ و (ط مكتبة المصطفوي ـ قم) ص١٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢١٥ وج٣٨ ص٣٠٠ و ٣٠٩ وج٣٩ ص٣ وكنز العمال ج١٢ ص٢١٩ وج١٠ ص٢٩٠ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٦٢٣ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٢١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٦٢ =

وتصور لنا رواية عن علي «عليه السلام» الحالة حين عبور الفرسان الخندق، فهو يقول: «وفارسها وفارس العرب يومئذٍ عمرو بن عبد ود، يهدر كالبعير المغتلم، يدعو إلى البراز، ويرتجز، ويخطر برمحه مرة، وبسيفه مرة، لا يقدم عليه مقدم، ولا يطمع فيه طامع، فأنهضني إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعممني بيده، وأعطاني سيفه هذا ـ وضرب بيده إلى ذي الفقار ـ فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواك إشفاقاً عليَّ من ابن عبد ود، فقتله الله عز وجل بيدي، والعرب لا تعد لها فارساً غيره»[1].

ونحن نشك في الفقرة التي تذكر أن نساء المدينة بواك على علي «عليه السلام» حين خرج إلى عمرو.. فإن نساء المدينة لم يحضرن إلى ذلك المكان، إلا إن كان المقصود كل النساء اللواتي حضرن مع أزواجهن كما هو عادة كثير منهم.

= ومستدركات علم رجال الحديث ج٥ ص٢٠٠ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص١٥٢ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص٧٩ والمناقب للخوارزمي ص١٤٤ وكشف الغمة ج١ ص٣٠٠ وتأويل الآيات ج١ ص٣٢٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٧ ص٤٤ وج١٧ ص١١٢ وج٢٠ ص٦٢٤ و ٦٢٦ وج٢٣ ص٦٤٨ وج٣١ ص٣٩٤.

(١) راجع: الخصال ج٢ ص٣٦٨ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص٣٦٨ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٤ وج٣٨ ص١٧٠ والإختصاص ص١٦٦ و ١٦٧ وشرح الأخبار ج١ ص٢٨٧ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص١٢٦ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٦٣ وغاية المرام ج٤ ص٣١٩.

ويذكر البعض: أنه «صلى الله عليه وآله»: «أدناه، وقبله، وعممه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه. ثم لم يزل «صلى الله عليه وآله» رافعاً يديه إلى السماء، مستقبلاً لها بوجهه، والمسلمون صموت حوله، كأن على رؤوسهم الطير الخ..»[1].

برز الإسلام كله إلى الشرك كله:

وقال «صلى الله عليه وآله» حينئذٍ: برز الإسلام أو الإيمان كله، إلى الشرك كله[2].

فخرج له علي «عليه السلام» وهو راجل، وعمرو فارساً، فسخر به

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٨٥ والعثمانية للجاحظ ص٣٣٢ وغاية المرام ج٤ ص٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٠ ص٦٢٦.

(٢) راجع: كشف الغمة ج١ ص٢٠٥ وإعلام الورى ص١٩٤ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٦١ و ٢٨٥ وج١٩ ص٦١ والطرائف لابن طاووس ص٣٥ و ٦٠ وكنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٩٧ و (ط مكتبة المصطفوي ـ قم) ص١٣٧ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢١٥ و ٢٧٣ وج٣٩ ص٣ ونهج الحق ص٢١٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٨٨ والعثمانية للجاحظ ص٣٢٤ و ٣٣٣ وتأويل الآيات ج٢ ص٤٥١ وينابيع المودة ج١ ص٢٨١ و ٢٨٤ وغاية المرام ج٤ ص٢٧٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٩ وج١٦ ص٤٠٤ وج٢٠ ص١٤٠ و ٦٢٥ وج٣١ ص٢٣٤.

عمرو، ودنا منه علي[١]، ومعه جابر بن عبد الله الأنصاري «رحمه الله»، لينظر ما يكون منه ومن عمرو[٢].

وفي بعض الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لأصحابه: أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنة؟! والجنة اعظم خطرا من السلطة، ومن المناصب الدنيوية والأموال وكل ما في الدنيا ولكنهم زهدوا بها.

فلم يجبه منهم أحد هيبة لعمرو، واستعظاماً لأمره. فقام علي بن أبي طالب «عليه السلام» ثلاث مرات، والنبي «صلى الله عليه وآله» يأمره بالجلوس[٣].

وحسب نص ابن إسحاق، وغيره من المؤرخين: خرج عمرو بن عبد ود، وهو مقنع بالحديد، فنادى: من يبارز؟!

فقام علي بن أبي طالب، فقال أنا (له) يا نبي الله.

---

(١) إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٣٧١.

(٢) راجع: الإرشاد للمفيد ص٥٩ و ٦٠ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٠ و ١٠١ وحبيب السير ج١ ص٣٦١ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٣ وإعلام الورى ص١٩٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٣٨١ والدر النظيم ص١٦٤ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٧٠ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ و ٣٩٥.

(٣) كنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٩٧ و (ط مكتبة المصطفوي ـ قم) ص١٣٧ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢١٥.

فقال: إنه عمرو، إجلس.

ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟! فجعل يؤنبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟! أفلا تُبرزون إليَّ رجلاً؟!

فقام علي، فقال: أنا يا رسول الله.

فقال: إجلس.

ثم نادى الثالثة، فقال:

ولقد بححت من النداء (... إلى آخر الأبيات)

قال: فقام علي «عليه السلام»، فقال: يا رسول الله، أنا له.

فقال: إنه عمرو.

فقال: وإن كان عمرواً.

فأذن له رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فمشى إليه حتى أتاه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجا كل فائز
إني لارجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

وفي الديوان المنسوب لعلي «عليه السلام» بيتان آخران هما:

ولقد دعوت إلى البراز فتى يجيب إلى المبارز
يعليك أبيض صارماً كالملح حتفاً للمبارز

فقال له عمرو: من أنت؟!

قال: أنا علي.

قال: ابن عبد مناف؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك.

فقال له علي: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك.

فغضب، فنزل، وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي «عليه السلام» مغضباً، واستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في درقته، فقدها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجه.

وضربه علي «عليه السلام» على حبل عاتقة فسقط، وثار العجاج، فسمع رسول الله التكبير، فعرفنا أن علياً قد قتله، فثم يقول علي:

أعلي تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي

الأبيات.

إلى أن قال: وخرجت خيولهم منهزمة، حتى اقتحمت الخندق[1].

---

(١) راجع المصادر التالية: البداية والنهاية ج٤ ص١٠٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٢١ عن البيهقي في دلائل النبوة، عن ابن إسحاق. وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٤ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٣١ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٣ وج٢٥ ص٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٣٩ وج ٤١=

الخصال الثلاث وقتل عمرو:

وقد ذكرت بعض النصوص زيادة على ما تقدم: أن علياً «عليه السلام» عرض على عمرو خصلتين، وهما: الإسلام، فرفضه، أو النزال، فاعتذر بالخلة بينه وبين أبي طالب، أو بغير ذلك[1].

= ص٨٩ مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٥ و ١٣٦. وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٦ و ٤٨٧ وعيون الأثر ج١ ص٦١ و ٦٢ و (ط مؤسسة عز الدين ـ بيروت) ج٢ ص٤١ والروض الأنف ج٣ ص٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٨ و ٤٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٧٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص١٠٤. وراجع أيضاً: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٩ و ٣٢٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٦١ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٧ و ١٦٨ وديوان أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص٦٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٢ و ٣٣ والمناقب للخوارزمي ص١٠٤ وراجع: ينابيع المودة ص٩٥ و ٩٦ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٣٧.

(١) راجع عرض الخصلتين على عمرو، ثم قتل علي «عليه السلام» له في المصادر التالية: الإرشاد للمفيد ص٥٨ و (ط دار المفيد) ج١ ص٩٨ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص١٩٨ و ٢٠٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٣٩ و٢٤٠ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٥ و ٣٢٣ والدر النظيم ص١٦٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٢٠ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٣ و ٢٥٤ والسيرة النبوية لدحلان =

لكن بعض الروايات ذكرت: أنه عرض عليه ثلاث خصال. وأنه «عليه السلام» قال: يا عمرو، إنك كنت تقول في الجاهلية: لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها.

قال: أجل.

قال علي: فإني أدعوك إلى: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتسلم لرب العالمين.

قال: يا ابن أخي، أخِّر عنى هذه.

قال: وأخرى، ترجع إلى بلادك، فإن يك محمد صادقاً كنت أسعد

= ج٢ ص٦ و ٧ وبهجة المحافل وشرحه ج١ ص٢٦٦ و ٢٦٧ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٣ و ١٧٤ وكنز العمال ج١٠ ص٢٨٨ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٦ و ١٦٧ وعيون الأثر ج٢ ص٦١ و (ط مؤسسة عز الدين) ج٢ ص٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٦ و (مكتبة محمد علي صبيح وأولاده) ج٣ ص ٧٠٩ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٣ و ١٩٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٦ و ٤٣٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٩ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٢ وتفسير الثعلبي ج٨ ص١٥ وتفسير البغوي ج٣ ص٥١٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٣٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٧٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٢٩٠ ومطالب السؤول ص٢٠٧ وكشف اليقين ص١٣٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٣٧٢ وج١٨ ص١٠٦ وج٣٢ ص٣٣٦ و ٣٦٤.

الناس به، وإن يك كاذباً كان الذي تريد.

وفي نص آخر: كفتهم ذؤبان العرب أمره.

قال: هذا ما لا تحدث به نساء قريش أبداً، وقد نذرت ما نذرت، وحرمت الدهن(١).

قال: فالثالثة؟!

قال: البراز.

فضحك عمرو، وقال: إن هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومني عليها، فمن أنت؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك.

فقال علي «عليه السلام»: لكني ـ والله ـ لا أكره أن أهريق دمك.

فغضب عمرو، فنزل عن فرسه وعقرها، وسل سيفه كأنه شعلة نار،

---

(١) زاد في نص القمي: ولا تنشد الشعراء في أشعارها: أنه جبن ورجع، وخذل قوماً رأَّسوه عليهم. راجع: تفسير القمي ج٢ ص١٨٤ والصافي ج٤ ص١٧٦ وج٦ ص٢٧ ونور الثقلين ج٤ ص٢٥٢. وعند المعتزلي: إذن تتحدث نساء قريش عني: أن غلاماً خدعني. راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٤ وبحار الأنوار ج٣٩ ص٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٣٧٤.

ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله علي بدرقته الخ...

أما المفيد وغيره، فقالوا: إن عمرواً قال لعلي «عليه السلام»: إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً.

وعند الواقدي قال: «فأنت غلام حدث، إنما أردت شيخي قريش: أبا بكر وعمر.

فقال علي «عليه السلام»: لكني أحب أن أقتلك، فانزل إن شئت، فأسف عمرو، ونزل، وضرب وجه فرسه حتى رجع» انتهى.

وعند آخرين: أنه عرقب فرسه، وضرب علياً «عليه السلام» بالسيف، فاتقاه بدرقته، فقطها، فثبت السيف على رأسه.

وقال القمي وغيره: فقال له «عليه السلام»: أما كفاك أني بارزتك، وأنت فارس العرب، حتى استعنت علي بظهر؟!.

فالتفت عمرو إلى خلفه، فضربه على ساقيه، فقطعهما جميعاً.

وعبارة حذيفة هكذا: «وتسيف علي رجليه بالسيف من أسفل، فوقع على قفاه»(١).

وتستمر رواية القمي فتقول: وارتفعت بينهما عجاجة، فقال المنافقون: قتل علي بن أبي طالب، ثم انكشفت العجاجة، فنظروا، فإذا أمير المؤمنين

---

(١) راجع عبارة حذيفة في: مجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٣٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٤ وج ٤١ ص٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٦ و ١٣٧ والميزان ج١٦ ص٢٩٨.

«عليه السلام» على صدره آخذ بلحيته، يريد أن يذبحه.

فذبحه، ثم أخذ رأسه، وأقبل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم، وهو يقول والرأس بيده:

أنا علي وأنا ابن المطلب الموت خير للفتى من الهرب

فقال له «صلى الله عليه وآله»: يا علي، ماكرته؟!.

قال: نعم يا رسول الله، الحرب خدعة.

وينقل المفيد عن جابر، ونقله غيره من دون تصريح باسم الراوي قوله: فثارت بينهما قترة، فما رأيتهما. فسمعت التكبير تحتها، فعلمت أن علياً «عليه السلام» قد قتله.

فانكشف أصحابه، حتى طفرت خيولهم الخندق.

وتبادر أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم، فوجدوا نوفل بن عبد الله الخ..[1].

---

(١) راجع فيما تقدم بتفصيل أو إجمال المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٤ والإرشاد للمفيد ص٥٩ و ٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٤ و ٢٠٣ وإعلام الورى ص١٩٤ و ١٩٥ وتفسير القمي ج٢ ص١٨١ ـ ١٨٥ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٢٥ ـ ٢٢٨ و ٢٠٣ فما بعدها وص٢٥٤ ـ ٢٥٦ وج٤١ ص٩٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٩ والمغازي للواقدي ج٢ ص٤٧٠ و٤٧١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٣ و٤٦ وبهجة المحافل =

وعند المعتزلي: ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أن علياً قتل عمرواً، فكبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين[1].

وروي: أن عمرواً جرح رأس علي «عليه السلام»، فجاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فشده، ونفث فيه، فبرئ وقال: أين أكون إذا خضب هذه من هذه؟![2].

وفي القاموس وغيره: كان علي ذا شجتين في قرني رأسه، إحداهما: من

= وشرحه ج١ ص٢٦٦ و ٢٦٧ وحبيب السير ج١ ص٣٦١ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٢ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٣٥.

وراجع المصادر التالية: شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ. ق) ج٢ ص١١ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٣ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ والبدء والتاريخ ج٤ ص٢١٨ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٦ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٥ و ٢٩٦ وكنز العمال ج١٠ ص٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٩.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٨٤ والغدير ج٧ ص٢١٢ والعثمانية للجاحظ ص٣٣٢ وغاية المرام ج٤ ص٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٠ ص٦٢٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٢٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٦١ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٢٩٩.

عمر بن عبد ود، والثانية: من ابن ملجم، ولذا يقال له: ذو القرنين[1].

وعنه «عليه السلام» أنه قال عن عمرو: «وضربني هذه الضربة. وأومأ بيده إلى هامته»[2].

نص الحسكاني:

وقد ذكر لنا الحاكم الحسكاني بعض التفصيلات الهامة هنا، فقال:

«ثم ضرب وجه فرسه فأدبرت، ثم أقبل إلى علي «عليه السلام»، وكان رجلاً طويلاً، يدواى دبرة البعير وهو قائم.

وكان علي في تراب دق، لا يثبت قدماه عليه، فجعل علي ينكص إلى ورائه يطلب جلداً من الأرض يثبت قدمه، ويعلوه عمرو بالسيف. وكان في درع عمرو قصر، فلما تشاك بالضربة، تلقاها علي بالترس، فلحق ذباب السيف في

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ وتاج العروس ج٩ ص٣٠٧ و (ط دار الفكر) ج١٨ ص٤٤٧ والنهاية لابن الأثير ج٤ ص٥٢ و ٥١ والقاموس المحيط ج٤ ص٢٥٨ ولسان العرب ج١٣ ص٣٣٢ و ٣٣٣ والغارات للثقفي ج٢ ص٧٤٤ والكنى والألقاب ج٢ ص٢٥٧ وراجع: المستدرك للحاكم ج٣ ص١٢٣ لتجد حديث: إنك لذو قرنيها. وكذا نوادر الأصول ص٣٠٧.

(٢) الخصال ج٢ ص٣٦٨ و ٣٦٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٤ وج٣٨ ص١٧١ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٣ ص١٢٦ وشرح الأخبار ج١ ص٢٨٨ والإختصاص للمفيد ص١٦٧ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٦٤ وغاية المرام ج٤ ص٣١٩.

رأس علي، حتى قطعت تسعة أكوار، حتى خط السيف في رأس علي.

وتسيف علي رجليه بالسيف من أسفل، فوقع على قفاه.

وثارت بينهما عجاجة، فسمع علي يكبر.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قتله والذي نفسي بيده.

فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب، فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو.

فكبر عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، قتله.

فحز علي رأسه، ثم أقبل يخطر في مشيته، فقال له رسول الله: يا علي، إن هذه مشية يكرهها الله عز وجل إلا في هذا الموضع الخ..[١].

وفي نص آخر عند الحسكاني عن علي «عليه السلام»: أنه لما برز لعمرو دعا بدعاء علمه إياه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اللهم بك أصول، وبك أجول، وبك أدرأ في نحره[٢].

لكن البعض يقول: «أتى برأسه وهو يتبختر في مشيته، فقال عمر: إلا ترى يا رسول الله إلى علي كيف يتيه في مشيته؟!

---

(١) شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ. ق) ج٢ ص١١ و ١٢ ومجمع البيان ج٨ ص٢٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٣٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٤.

(٢) شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ. ق) ج٢ ص١٣ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص٢٠٨.

فقال «صلى الله عليه وآله»: إنها مشية لا يمقتها الله في هذا المقام»[١].

نصوص أخرى:

وذكر نص آخر: أنه «عليه السلام» احتز رأسه، وحمله، وألقاه بين يدي النبي «صلى الله عليه وآله»، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس علي، ووجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتهلل، فقال: هذا النصر، أو قال: هذا أول النصر[٢].

وقال له أبو بكر: المهاجرون والأنصار رهين شكرك ما بقوا[٣].

وقالوا: إن علياً «عليه السلام» ضرب عمرواً على حبل العاتق فسقط

---

(١) كنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٩٧ و (ط مكتبة المصطفوي ـ قم) ص١٣٧ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢١٦ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٨٩.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٢ والإرشاد للمفيد ص٦١ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٤ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٥ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٣٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٦ و ٢٥٨ وج٣٩ ص٤ وج٤١ ص٩١ وحبيب السير ج١ ص٣٦٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ و ٣٩٦ والدر النظيم ص١٦٥ ورسائل المرتضى ج٤ ص١١٩ و ١٢٣.

(٣) مناقب آل طالب ج٣ ص١٣٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢٦ وبحار الأنوار ج٤١ ص٩١.

وثار العجاج.

وقيل: طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه، فسقط وسمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» التكبير، فعرف أن علياً قتله(١).

وحكى البيهقي عن ابن إسحاق: أن علياً طعنه في ترقوته(٢).

وقالوا أيضاً: أنه حين قتل علي عمرواً ومن معه «انصرف إلى مقامه الأول، وقد كادت نفوس القوم الذين خرجوا معه إلى الخندق تطير جزعاً»(٣).

وقال علي «عليه السلام» في المناسبة أبياتاً نذكرها، ونضم ما ذكروه بعضه إلى بعض، وهي:

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٧٩ والمناقب للخوارزمي ص١٦٩ وعيون الأثر ج٢ ص٤١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٣٦٦ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٣٧.

(٢) البداية والنهاية ج٤ ص١٠٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٢٢ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٥ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٧٥ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٣٣ والميزان ج١٦ ص٢٩٨ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص١٥٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٥.

(٣) راجع: الإرشاد للمفيد ص٦٠ و (ط دار المفيد) ج١ ص٩٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ و ٣٩٤ و ٣٩٦ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٣.

أعلي تـقـتـحـم الـفـوارس هكـذا عـنـي وعـنـهم أخرجوا أصحابي
الـيـوم تمـنـعـنـي الفرار حفيظتـي ومـصـمـم فـي الرأس ليس بناب
آلى ابـن ود حـيــن شــد ألـيـــة وحـلـفـت فاستمعوا إلى الكذاب
أن لا أصـد ولا يــولي والـتـقـــى رجــلان يضطربــان كـل ضراب
عـرف ابن عبد حين أبصر صارماً يـهـتـز أن الأمـــر غـــيـــر لـعاب
أرديـت عـمـــرواً إذ طغى بمهنـد صـافي الحـديـد مجـرب قضـاب
نـصـر الحـجـارة مـن سفاهة رأيه ونـصـرت رب محـمـد بـصـواب
فـصـدرت حـيـن تركته متجدلاً كـالجــذع بـين دكـــادك وروابي
وعففت عـن أثـــوابــه ولـو أنني كـنـت المـقـطـر بـزني أثــــوابي
لا تحـــسـبـن الله خـــاذل ديـنـه ونـبـيـه يـا مـعـشـر الأحزاب(١)

---

(١) هذه الأبيات توجد موزعة ومجتمة في مصادر كثيرة، لكن رواية السهيلي لها تختلف جزئياً عما ذكرناه هنا، ومهما يكن من أمر، فإن ما ذكرناه مذكور كله أو بعضه في المصادر التالية وغيرها: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٦ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص١٩٩ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٢٢ والإرشاد للمفيد ص٥٩ و ٦١ و و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٤ وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٠٠ و ١٠١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٣ و ٢٠٥ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٩ وراجع: مجمع =

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي «عليه السلام»[1].

وستأتي لنا: وقفة مع ابن هشام فيما يرتبط بكلامه هذا.

وخرجت خيولهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق.

قال ابن هشام وغيره: وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذٍ، وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فــرَّ وألــقــى لــنــا رمحــه لــعــلــك عــكــرم لم تــفــعــل

وولــيــت تــعــدو كعدو الظليم مــا إن تجــور عــن المــعــدل

= البيان ج٨ ص٣٤٣ و ٣٤٤ وبحار الأنوار ج٤١ ص٩١ وج٢٠ ص٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٥٤ و ٢٥٧ و ٢٦٤ و ٦٥ وعن الديوان المنسوب لأمير المؤمنين «عليه السلام» ص٢٣ وعيون الأثر ج٢ ص٦١ والبدء والتاريخ ج٤ ص٢١٨ وحبيب السير ج١ ص٣٦٢ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٨ و ١٦٩ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٧ و ١٣٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢٦ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٦ و (ط مركز النشر الإسلامي) ج١ ص٣٢٤ وكنز الفوائد للكراجكي ١٣٧ و ١٣٨ ومكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص٦٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٧٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٣٦٦.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٧٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٦ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٠٩ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٢١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٣.

ولـــم تـــلـــق ظـــهـــرك مستأنساً كـــأن قـــفـــاك قـــفـــا فرعل[١]

وحول مبارزة علي لعمرو، وقتله على يده، راجع المصادر الموجودة في الهامش[٢]، وبعضها قد صرح: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رد علياً

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٧٩ وراجع: خاتم النبيين ج٢ ص٩٣٨ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٣٧ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٠٩ وتهذيب سيرة ابن هشام ص١٩٤ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص١٠٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٢١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٦. والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٣ و ٢٠٥ وشرح الأخبار ج١ ص٢٩٦ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص١٣٤.

(٢) راجع فيما عدا المصادر التي تقدمت في الهوامش السابقة ما يلي: مرآة الجنان ج١ ص١٠ وزاد المعاد ج٢ ص١١٨ وراجع: جوامع السيرة النبوية ص١٥٠ والوفاء ج٢ ص٦٩٣ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٢ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٥ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٠ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٦ و ٢٦٧ وراجع: إعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٠٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٠ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٩ وتجارب الأمم ج٢ ص١٥٣ والأوائل للعسكري ج٢ ص٢٢٣ والطرائف ص٦٠ وبحار الأنوار ج٣٩ ص١ عنه.

«عليه السلام» مرتين، وأجازه في الثالثة[١].

وقد ذكر رجز عمرو في طلب البراز، وجواب علي له برجز على نفس الوزن والقافية في كثير من المصادر أيضاً[٢].

---

(١) خاتم النبيين ج٢ ص٩٣٧ وينابع المودة ص٩٤ و ١٣٦ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج٢ ص١٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤١ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٣ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٣١ والميزان ج١٦ ص٢٩٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ و ٢٣٠ و ٣٩٥ وعيون الأثر ج٢ ص٤١ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص١١٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص١٠٤ و ١٠٧ وج٣٠ ص١٤٨.

(٢) راجع بالإضافة المصادر المتقدمة ما يلي: كشف الغمة ج١ ص١٩٧ و ١٩٨ وتفسير القمي ج٢ ص١٨٣ وعن ديوان أمير المؤمنين ص٦٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٩١ وج١٩ ص٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٣ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص١٦٧ و ١٦٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٨ و ٣١٩ ورسائل المرتضى ج٤ ص١١٨ وشرح الأخبار ج١ ص٣٢٣ والإرشاد (ط دارالمفيد) ج١ ص١٠٠ وكنز الفوائد ص١٣٧ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢٤ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٣ و ٢١٥ و ٢٢٥ و ٢٥٥ وج٣٩ ص٥ وج٤١ ص٨٩ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٨٨ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٤٥٢ والصافي ج٤ ص١٧٥ وج٦ ص٢٦ ونور الثقلين ج٤ ص٢٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٧٩ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٦ =

يقول أهلكت مالاً لبداً:

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر في قوله: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾[(١)]، قال:

هو عمرو بن عبد ود، حين عرض عليه علي بن أبي طالب الإسلام يوم الخندق، وقال: فأين ما أنفقت فيكم مالاً لبداً؟! وكان قد أنفق مالاً في الصد عن سبيل الله، فقتله علي[(٢)].

ولم نجد هذه الرواية إلا في تفسير القمي، فليلاحظ ذلك.

ونقول:

هنا وقفات عديدة، نذكر منها ما يلي:

= و(ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٢١ ومطالب السؤول ص٢٠٦ وعيون الأثر ج٢ ص٤١ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٣٣٩.

(١) الآية ٦ من سورة البلد.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص٤٢٢ وبحار الأنوار ج٩ ص٢٥١ وج٢٠ ص٢٤٢ والأصفى ج٢ ص١٤٤٤ والصافي ج٥ ص٣٣٠ وج٧ ص٤٨٣ ونور الثقلين ج٥ ص٥٨٠.

الفصل الثالث:

قتل عمرو..

أخذ الثغرة على الفرسان:

إن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» علياً بأن يأخذ الثغرة على الفرسان يشير إلى عدة أمور:

أحدها: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر علياً «عليه السلام» بأن يأخذ الثغرة، رغم الخطر الذي يمثله وجود فارس العرب، وفرسان آخرين معه، يرون أن هذا الإجراء يعنيهم،

فدلنا ذلك على ثقة النبي «صلى الله عليه وآله» بقدرة علي «عليه السلام» على تحقيق المطلوب، وعلى أن الذين كانوا مع علي «عليه السلام» لم يكن لهم دور يذكر في أخذ تلك الثغرة، بل دورهم كان في حفظها، بعد أن يأخذها علي «عليه السلام» لهم، ويمكنهم منها..

الثاني: لعله «صلى الله عليه وآله» كان يخشى أن يوجه الخطاب للمجموعة كلها، فيظهر بعضها التردد، فيكون ذلك سبباً في زيادة رعب المسلمين، وظهور الفشل فيهم، وطمع عدوهم بهم.

الثالث: إن أخذ الثغرة من شأنه أن يجعل الفرسان الذين عبروا إلى جهة المسلمين محاصرين وغير آمنين، لا من جهة المسلمين، ولا من الجهة الأخرى التي عبروا منها..

الرابع: إن ذلك يمنع من وصول المدد إليهم، أو يؤخره، فلا يصلهم إلا بعد فوات الأوان، أو أنه يعرقل تقهقرهم لو احتاجوا إلى ذلك، فيتمكن المسلمون منهم.. وذلك من موجبات قلقهم، وإرباك حركتهم، وتحديد وتضييق مجال عملهم..

الخامس: إن المسلمين الذين يحرسون الثغرة، بعضهم ما كان يجرؤ على الوصول إلى ذلك الموقع، والوقوف فيه لولا شعوره بقدر من الطمأنينة بسبب وجود علي «عليه السلام» معهم، وعلمهم بأنه سوف ينجدهم لو تعرضوا لأي خطر، فإلى علي «عليه السلام» استندوا، وعلى مبادرته لحمايتهم ونجدتهم اعتمدوا.

السادس: إنه لا محل للسؤال عن دور الذين أخذوا الثغرة في منع من هرب من الهرب، فإن الهرب خفيف المؤنة، فإنه يخيفه بسيفه، ثم يزيغ عنه. ولا مجال للحاق به، لأن ذلك معناه: التصادم المباشر مع جيش الأحزاب كله..

عمرو شيخ كبير!!:

زعموا: أن عمرواً بن عبد ود كان قد بلغ تسعين سنة، وقد حرم الدهن حتى يثأر بمحمد وأصحابه، وذلك أنه في بدر قد أثبتته الجراحة، وارتثت فلم يشهد أحداً[١].

---

(١) راجع المصادر التالية، فقد تعرضت لذلك كله أو بعضه: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٣٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢١٨ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤١ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٧٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨١ والمغازي =

وإذا صح هذا فلماذا نكل كبار الصحابة عن مبارزته..

وهذه مبالغة في مقدار عمره، لعلها بهدف التقليل من شأن عمرو، وأن قتله ليس بذلك الإنجاز المهم، لأنه كان قد شاخ وضعف..

وهو كلام باطل، فإن وصف علي «عليه السلام» له بأنه فارس العرب يومئذٍ، ولا تعد العرب لها فارساً غيره، ثم جبن المسلمين عن مواجهته ـ وهم يعدون بالمئات، وكذلك ما قاله النبي «صلى الله عليه وآله» في حق قاتله كل ذلك يدل على مكانة عمرو في ساحات الحرب..

علي عليه السلام غلام حدث:

وفي رواية: أن عمرو بن عبد ود قال لعلي «عليه السلام»: «إذن تتحدث نساء قريش أن غلاماً خدعني»[1]..

= للواقدي ج٢ ص٤٧٠ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٦ وعيون الأثر ج٢ ص٦١ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٢ و٦٣ وج١٥ ص٨٥ و٨٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٢ و ٢٠٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣٩ ووفاء الوفاء ص٦٩٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ٢ ص٣٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٣٧٠.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٤ وبحار الأنوار ج٣٩ ص٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٣٧٤.

ووصفه في رواية الواقدي: بأنه «عليه السلام» حدث[1].

ونقول:

أولاً: إن كلمة «غلام» وإن كانت تطلق على الشيخ الكبير، وعلى الفتى الناشيء، ولكن المقصود هنا هو القول بأن علياً كان غلاماً صغيراً بنظر الناس، يأنف الرجال الكبار أن يقال: إنهم خدعوا منه، أو من أمثاله.. ويؤيده: إضافة إلى الواقدي لكلمة «حدث»!!

وهذا كلام غير دقيق، فإن علياً «عليه السلام» كان قد بلغ السابعة أو الثامنة والعشرين عاماً.. فهو رجل كامل الرجولة، لا يأنف أحد من منازلته.

إلا إذا فرض: أن عمرواً كان يريد أن يوجه إهانة متعمدة لعلي «عليه السلام» في هذا الموقف.

ثانياً: إذا صحت هذه الرواية، فإن أنفة عمرو من أن تتحدث نساء قريش بهذا الأمر، ليست بذات قيمة، فإن المعيار يجب أن يكون هو العدل، والإنصاف، وللإنقياد لحكم العقل وقضاء الفطرة، وفوق ذلك كله طلب رضا الله تبارك وتعالى، لا حديث النساء، اللواتي كان عمرو وأشباهه من أهل الجاهلية يحتقرونهن، ويظلمونهن، بل كانوا يئدونهن في التراب، وهن أحياء.. ويصفونهن بالنقص، والمهانة، ولا يعتدون برأيهن.

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٧١.

شيخا قريش:

وتقدم في رواية الواقدي قول عمرو بن عبد ود لعلي «عليه السلام»: «فأنت غلام حدث، إنما أردت شيخي قريش: أبا بكر وعمر»[١].

ونقول:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» لم يكن حدثاً كما تقدم، كما أن أبا بكر وعمر لم يكونا شيخي قريش، لا يوم الخندق، ولا قبله في أي يوم من الأيام، فلماذا يعطيهما سمة ليست فيهما؟!

وقد أوردنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»: أنهما من أقل وأذل حي في قريش. فراجع.

ثانياً: إنه إذا كان المقصود: أنهما شيخا قريش من حيث الفروسية، والبطولة.. أو من حيث إن قتلهما سوف يفت في أعضاد المسلمين، وتنكسر بذلك شوكتهم، ويختل أمرهم.. فهو غير ظاهر الوجه.. لأنهما لم يكونا معروفين بالفروسية والشجاعة والإقدام، ولم يظهر لهما أي أثر في ذلك، لا في بدر، ولا في أحد، بل إن فرارهما في أحد، وعزوفهما عن مبارزة عمرو، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ضمن الجنة أو الإمامة لمن يبرز إليه قد أظهر أنهما على خلاف ذلك..

والذي كان له الأثر العظيم في الحروب هو علي «عليه السلام»، وقد شاهد عمرو نفسه بعض آثاره «عليه السلام» في بدر، وسمع عما فعله في أحد.

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٧١.

كما أن قتل أبي بكر وعمر لا يغير شيئاً، ولا يفيد عمروا فيما يرمي إليه، إذ أنهما ليسا بأعظم من عبيدة بن الحارث بن المطلب، ولا من حمزة بن عبد المطلب.. ومع ذلك لم يوجب إستشهادهما إنكسار جيش المسلمين، ولا إختلال أمرهم، ولا إنكسار شوكتهم..

بل لقد رأينا لأبي بكر موقفاً من أسرى بدر، لا تذمه قريش.. كما أن لخالد بن الوليد وضرار بن الخطاب الفهري موقفاً من عمر بن الخطاب العدوي، لا يذمهما عليه عمر[١].

من يبرز لعمرو فله الإمامة:

وتقدم أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «من يقوم إلى مبارزته فله الإمامة بعدي»..

فقد دلت هذه الكلمة على أمور، وهي:

ألف: الأخبار عن فشل المشركين في معركتهم، لأن الإسلام سيبقى إلى ما بعد إستشهاد الرسول «صلى الله عليه وآله»، وإن الإمامة ستكون من بعده..

والمقصود بالإمامة: هو معناها الشرعي الحقيقي، لأنه هو الذي يجعله النبي «صلى الله عليه وآله» لهذا أو لذاك من بعده. وهذا الجعل النبوي لا يعني التخلي عما جرى في يوم إنذار عشيرته الأقربين، بل هو يؤكده، لأنه

---

(١) راجع غزوة بدر وأحد في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

كان يعرف أصحابه، ويعرف أن الإمام الحقيقي هو الذي يضحي بنفسه إلى هذا الحد.

ب: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يعط الإمامة لمن يقتل عمرو، فلعل الكثيرين يرون أنفسهم عاجزين عن قتله لفروسته وشدته.. بل جعلها لمن يقوم لمبارزته..

ج: إنها إخباراً بأن مبارز عمرو لن يصاب بأذى.

د: تضمنت الأخبار عن بقاء مبارزه على قيد الحياة إلى ما بعد إستشهاد الرسول«صلى الله عليه وآله».. وضمان الجنة للمبارز لا تعني استشهاده، إذ إن نفس المبارزة هي التي تجعله مستحقاً للجنة.

والقول: بأن مبارزة علي «عليه السلام» لعمرو لا تدل على شجاعته، لأنها اقترنت بإخبار النبي «صلى الله عليه وآله» للمبارز بالبقاء حياً لا ينفع قائله.. إذ لماذا لم يبرز له غير علي «عليه السلام» مع علمهم بالبقاء، فإن الأخبار بالبقاء لا يختص بعلي «عليه السلام» لكن نفس يقين علي «عليه السلام» بصحة وقوع ما يخبر به النبي «صلى الله عليه وآله»، وشكهم في ذلك كان من أعظم فضائله «عليه السلام».

على أننا قد ذكرنا في حديث إنذار العشيرة ما يفيد في دفع هذا التوهم.. فلا بأس بمراجعته.

هـ: إننا نعلم إن للإمامة مؤهلات وشروطاً، ومنها العلم والعصمة والشجاعة... فكيف أنيطت هنا بمجرد القيام لمبارزة شخص ما من الناس.. مع أن قد يقوم إليه من لا يملك شيئاً من ذلك.

ويجاب:

بأن إطلاق هذه الكلمة في مثل هذا الحال، يشير إلى أنه الله سبحانه قد أطلع نبيه على غيبه، وأنه لن يقوم لمبارزة ذلك الرجل إلا من إختاره الله تعالى للأمامة، ويكون هذا الإعلان مستبطن للنص على صاحب الحق، وكاشفاً عنه وعن إختيار الله تعالى له..

و: لا ندري لماذا نكل أبو بكر وعمر عن مبارزة عمرو ألم يكفهما هذا الضمان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» لسلامتهما لو بارزا عمرواً . ولماذا لم يثقا بالله ورسوله ولم يتيقنا بصدق هذا الوعد القاطع.

ز: إن هذا لا يتنافى مع قوله «صلى الله عليه وآله»: من يبرز لعمرو وأضمن له على الله الجنة، إذ يمكن أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد قال الكلمتين معاً..

هل جرح علي عليه السلام؟!:

زعمت بعض الروايات المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» جرح بسيف عمرو، وكان «عليه السلام» ذا شجتين في رأسه:

إحداهما: من عمرو.

والأخرى: من ابن ملجم، فهو ذو قرنيها كما ورد في الرواية.. فإن البلاذري يقول: ويقال: إن علياً لم يجرح قط[1].

---

(١) راجع: أنساب الأشراف ج١ ص٣٤٥ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٧٨ =

ونحن لا نوافق البلاذري على مدعاه، فقد جرح «عليه السلام» في أحد جراحات كثيرة، بل ورد أنهم كانوا يسلون السهام من جسده حين كان يدخل في الصلاة، لأنه لا يشعر بالألم في حال الصلاة[١].

بين علي عليه السلام وعمرو:

ذكر الحاكم الحسكاني: أن علياً «عليه السلام» حينما برز لعمرو، وكان عمرو طويلاً: «جاء حتى وقف على عمرو، فقال: من أنت؟!.

فقال عمرو: ما ظننت أني أقف موقفاً أُجهل فيه، أنا عمرو بن عبد ود، فمن أنت؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال: الغلام الذي كنت أراك في حجر أبي طالب؟!

قال: نعم.

قال: إن أباك كان لي صديقاً، وأنا أكره أن أقتلك.

فقال له علي «عليه السلام»: لكني لا أكره أن أقتلك.

= وأعيان الشيعة ج١ ص٤٩٨ وصفين للمنقري ص٣٦٣.

(١) راجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦٠٢ عن المناقب المرتضوية الكشفي الحنفي ص٣٦٤ وراجع: إرشاد القلوب ص٢١٧ وحلية الأبرار ج٢ ص١٧٩ والحدائق الناضرة ج٧ هامش ص٢٤٢ وأسرار الشهادة (ط سنة ١٣١٩هـ) ص٢٥٥.

ثم ذكر تخييره بين الخصال الثلاث، فرفضها، فقال له علي «عليه السلام»: فأنت فارس وأنا راجل.

فنزل عن فرسه وقال: ما لقيت من أحد ما لقيت من هذا الغلام[١].

والظاهر: أن علياً «عليه السلام» أراد إذلال عمرو، وتحطيم كبريائه. وقد تحقق له ما أراد، حتى شكا ذلك عمرو نفسه كما ترى.

وقلنا ذلك، لأننا لا نشك في أنه «عليه السلام» كان يعرف قِرنه، الذي كان قد حضر بدراً، وأخبره النبي «صلى الله عليه وآله» حين أذن له بمبارزته بقوله: إنه عمرو، وكان يراه منذ صغره، كما صرحت به الرواية الآنفة الذكر نفسها.

ثانياً: قال المعتزلي: «كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول، إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع: والله، ما أمره بالرجوع إبقاء عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم أنه إن ناهضه قتله. فاستحيا أن يظهر الفشل، فأظهر الإبقاء والإرعاء، وإنه لكاذب فيهما»[٢].

إنه عمرو:

تقدم: أن علياً «عليه السلام» ألحّ على النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يأذن له بمبارزة عمرو، فقال له «صلى الله عليه وآله»: إنه عمرو.

---

(١) شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج٢ ص١١.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٤ وراجع: بحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٤ وسيرة المصطفى ص٥٠٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ و ٣٩٥.

فقال «عليه السلام»: وأنا عليّ.

فاعتبر الإسكافي: أن هذا يدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ضن بعلي «عليه السلام» عن مبارزة عمرو[1].

ونقول:

إن كلام الإسكافي غير دقيق.. لأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف علياً «عليه السلام»، ويعرف عَمرواً، ولعل الأصح أن يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يقطع عذر الآخرين، حتى لا يقول قائل قد سبقني إليه علي «عليه السلام»، أو أن يتوهم: أنه كان يمكن أن يقتل عمرو على يد أي رجل كان من المسلمين، فأراد «صلى الله عليه وآله» أن يعرِّفنا أن من أحجم عن مبارزة عمرو إنما أحجم فَرَقاً وجبناً، وضعف ثقة بالله وبرسوله، وأن يعرِّف الناس بقيمة الإنجاز الذي سوف يقدمه علي «عليه السلام» في منازلة عمرو وغيره، وانه توفيق إلهي عظيم، فلا معنى للإستخفاف بعمرو بهدف انكار هذا الفضل لعلي «عليه السلام» الذي لم يكن لديه أدنى تردد في بذل نفسه في سبيل دينه وربه.

ويريد أن يعرف الناس أن علياً «عليه السلام» قد بارز عمرواً مع علمه بفروسيته، وأن قتله لم يكن مجرد صدفة، حالفه الحظ فيها.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٨٣ و ٢٨٤ والغدير ج٧ ص٢١٢ والعثمانية للجاحظ ص٣٣٢ وغاية المرام ج٤ ص٢٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٠ ص٦٢٦.

عرض الخصال الثلاث على عمرو:

إن عرض علي «عليه السلام» الخصال الثلاث على عمرو، وهي أن يُسْلِم، أو يرجع، أو يبارز.. لهو الغاية في النَصَفَة، وتدل على أن الهدف ليس هو قتل الناس، بل المطلوب هو حقن دمائهم، ودفع بغيهم.. وقد ترك هذا التصرف الحكيم، والمنصف، عمرواً في موقع الباغي والمعتدي، والظالم..

وقد رأينا: أنه «عليه السلام» لم يفرض عليه أن يسلم أو يقتل، ولو أنه فعل ذلك لصحت التهمة التي يروج لها أعداء الإسلام أن الإسلام قام بالسيف، بمعنى أن الناس أسلموا تحت طائلة التهديد بالقتل، ولم يكن أمامهم سوى أحد خيارين: إما القتل، أو الإسلام..

لقد خيره «عليه السلام» بين ثلاثة أمور هي:

الإسلام.. أو الرجوع عن البغي والعدوان، أو المبارزة التي فرضها هو على نفسه حين جاء لحرب المسلمين بغياً منه وعتواً..

وذلك لأن المشركين قد قطعوا تلك المسافات الطويلة، لكي يمنعوا الناس من ممارسة حريتهم، ويسلبوهم الإختيار الذي منحه الله لهم ولكل البشر.

والنبي «صلى الله عليه وآله» إنما عرض الإسلام على الناس فاختاروه، ولم يفرضه على أحد، لكن قريشاً والطواغيت هم الذين انبروا لقتال من مارس حريته في الإختيار، والتدين..

وحين عرض علي «عليه السلام» الإسلام على عمرو فإنما عرضه عليه، من موقع الرفق به، والإنصاف له، وإعطائه فرصة أخيرة لينقذ نفسه من النار..

على أنه لم يقتصر على هذا الخيار، بل شفعه بخيار آخر، يمنحه فرصة

النجاة في الدنيا، وهو خيار يتناغم مع رغبته في الحياة، والتمتع بمباهجها، كما أنه لا يعارض آراءَه وميولَه ومعتقداتِه، فإنه «عليه السلام» لم يكتف بطلبه الرجوع عن حرب محمد والمسلمين، بل شفع ذلك بما يرغِّبه في هذا الخيار بالذات، حين قال له: إن يكن محمد صادقاً كان أسعد الناس به، وإن يك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب أمره.

وهي كلمة تحتم على عمرو إعادة النظر في صوابية قراره الذي جاء به إلى هذه الحرب، مستثيراً في نفسه نوازع الطموح، ومستحثاً في داخله مشاعره القبلية، علها تفيد في ضبط حركته، ولجم اندفاعه نحو الهاوية..

كما أن هذه الكلمة تسهّل عليه إختيار ما يتناغم مع حب السلامة، والإبتعاد عن المشاكل والأخطار.

ولكن عمرواً رفض هذا الخيار أيضاً معتمداً على سراب خادع، وإلى نزعة استكبار ظالم، وعنجهية جاهلية، وبغي بغيض، يزين له التجني والظلم الذي يودي بصاحبه إلى الخزي والعار، والخسران في الدنيا والآخرة، وساء للظالمين بدلاً.

ولم يبق أمام أمير المؤمنين «عليه السلام» إلا التعامل مع خيار عمرو الأخير، ودفع غائلة هذا الجبار الظالم، فكان النصر على يديه، وأورد عليه ضربته التي تعدل عبادة الثقلين، (الجن والإنس) إلى يوم القيامة..

قطع رجل عمرو:

قال بعضهم: «وتبادر المسلمون يكبرون، فوجدوه على فرسه برجل واحدة، يحارب علياً «عليه السلام». ورمى رجله نحو علي، فخاف من

هيبتها رجلان، ووقعا في الخندق»[١].

ونقول:

إن هذا لا يصح لما يلي:

أولاً: تقدم أن علياً «عليه السلام» ألزم عمرواً بالنزول عن فرسه، فنزل عنها كارهاً لذلك.

ثانياً: إن كان عمرو قد استمسك على فرسه، ورجله مقطوعة، ـ والمفروض أنها سقطت على الأرض ـ فكيف استطاع أن يتناولها وهو على فرسه، ويقذف بها علياً «عليه السلام»؟! وكيف مكنه علي «عليه السلام» من تناولها، ثم من أن يرميه بها؟!

ثالثاً: تقدم: أنه «عليه السلام» تسيف رجلي عمرو فقطعهما بضربة واحدة. وهذا لا يكون إلا إذا كان عمرو راجلاً، لا راكباً.

توقف علي عليه السلام عن قتل عمرو:

ويقول النص التاريخي: إن علياً «عليه السلام» حين أدرك عمرو بن عبد ود لم يبادر إلى قتله، فوقع بعض المسلمين في علي «عليه السلام»، فرد عنه حذيفة.

فقال «صلى الله عليه وآله»: مه يا حذيفة، فإن علياً سيذكر سبب وقفته.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢٦ وبحار الأنوار ج٤١ ص٩٠.

ثم إنه «عليه السلام» أجهز على عمرو، فلما جاء سأله النبي «صلى الله عليه وآله» عن ذلك، فقال: قد كان شتم أمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظِّ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي، ثم قتلته في الله»[١].

ونقول:

إن علينا أن نلتفت إلى النقاط التالية:

١ ـ إن قتل هذا المشرك كان محبوباً لله تعالى على كل حال، فلو قتله «عليه السلام» لأنه شتم أمه لم يكن في ذلك ضير، فهو محارب من جهة، وهو يجترئ على المسلمين بالشتم وهم أموات من جهة أخرى.

٢ ـ إننا على يقين من أنه «عليه السلام» لم يكن ليقتل عمرواً حتى في اللحظة الأولى انتقاماً لنفسه، أو لمجرد شتمه لأمه، ولكنه «عليه السلام» أراد أن يتعامل مع الأمور كما لو كان رجلاً عادياً.. وهذا هو تكليفه الذي يجب عليه العمل به.. وهو أيضاً يمكنه من أن يقدم للناس العظة والأمثولة بصورة عملية وحية، ليروا بأم أعينهم كيف يكون الرجل الإلهي، الذي يتعامل مع كل الأمور من موقع الإخلاص والخلوص، والمعرفة، والوعي، والثبات والتثبت، والسيطرة على النفس، حتى في أحرج اللحظات، ويصل

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص١١٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٨١ وبحار الأنوار ج٤١ ص٥١ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٢٨ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٦٣١ والدرجات الرفيعة ص٢٨٧ وأعيان الشيعة ج٤ ص٥٩٨.

كل أعماله، ما دق منها وقل، وما عظم وجل بالله سبحانه، ليقربه خطوة إليه.

إنه ذلك الجبل الأشم الشامخ، الذي لا تزله الرياح العواصف، وهو الإنسان القوي والرصين، الذي لا يثور ولا يغضب إلا لله، ولله فقط، وحده لا شريك له.

فبإرادة الله ورضاه يسل سيفه، ويقاتل الأبطال، ويسحق كل جبروتهم وكبريائهم، وهو يغمد سيفه ويستسلم لإرادة الله سبحانه وامتثالاً لأمره، حتى حين يهجمون عليه في بيته، ويضربون زوجته، ويسقطون جنينها، ويحرقون عليه بيته، أو يكادون.

وهو علي هنا، وهو علي هناك، ولا أحد غير علي والأئمة الأطهار من ولده «عليهم السلام» يستطيع أن يفعل ذلك.

علي عليه السلام وسلب عمرو!!:

وحين قَتل أميرُ المؤمنين «عليه السلام» عمرو بن عبد ود ولم يسلبه درعه، ولا غيرها.. أقبل نحو رسول الله «صلى الله عليه وآله» ووجهه يتهلل، فقال له عمر بن الخطاب: هلا سلبته يا علي درعه؟! فإنه ليس في العرب درع مثلها.

وعند الحسكاني: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي سأله عن سبب عدم سلبه له.

فقال علي «عليه السلام»: يا رسول الله، إنه تلقاني بعورته[١].

وفي نص آخر: إني استحييت أن أكشف سوأة ابن عمي. أو قال: ضربته فاتقاني بسوأته، فاستحييت من ابن عمي أن أسلبه[٢].

ويقال: إنه «عليه السلام» حين جلس على صدر عمرو يريد أن يذبحه، وهو يكبر الله، ويمجده، طلب منه عمرو أن لا يسلبه حلته.

فقال له علي «عليه السلام»: هي أهون علي من ذلك، وذبحه[٣].

---

(١) راجع: شواهد التنزيل ج٢ ص١٢.

(٢) راجع: الإرشاد للمفيد ص٦١ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٤ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٧ و ٢٠٤ وج ٤١ ص٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٣٤ و ٥٣٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٧ والروض الأنف ج٣ ص٢٨٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٤٣٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤٣ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٣٨ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٨٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ و ٢٦٥ و ٣٩٧ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٥ وكشف اليقين ص١٣٣ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص١١٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص٣٠ وج٣٠ ص١٤٨ وج٣٢ ص٣٦٦.

(٣) كنز الفوائد (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٩٧ و (ط مكتبة المصطفوي ـ قم) ص١٣٧ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢١٦ و ٢٦٣ وراجع: الإرشاد (ط دار =

وزعم الحلبي: أن هذا اشتباه من بعض الرواة، وأن ذلك كان في حرب أحد مع طلحة بن أبي طلحة[١].

ونقول:

هما قضيتان مختلفتان، وقد كان السؤال في أحد من قبل سعد لعلي «عليه السلام».. وفي الخندق كان السائل هو عمرو.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات هي التالية:

الذي يجاحش على السلب:

ونعيد التذكير هنا بمقارنة المعتزلي بين سعد بن أبي وقاص الذي كان يتأسف على فوت سلب أحد الفرسان منه، وبين علي في موقفه هذا، فقد قال:

«**قلت**: شتان بين علي وسعد، هذا يجاحش على السلب، ويتأسف على فواته، وذلك يقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق، وهو فارس قريش وصنديدها، ومبارزه، فيعرض عن سلبه، فيقال له: كيف تركت سلبه، وهو أنفس سلب؟!

فيقول: كرهت أن أبز السبي، ثيابه.

= المعرفة) ج١ ص١١٢ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٩٩ والدر النظيم ص١٦٩ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٨.

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤٣.

فكأن حبيباً عناه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتها   يوم الكريهة في المسلوب لا السَلَبِ[1]

حرص عمر على السلب.. ونبل علي عليه السلام:

١ ـ ولا ندري بماذا نفسر حرص عُمر بن الخطاب على سلب عَمرو درعه، لا سيما مع قوله: ليس في العرب درع مثلها، وعتبه على أمير المؤمنين «عليه السلام» لعدم مبادرته لأخذها. مع أنه يعلم: أن الدرع لن تخرج من يد المسلمين، وأن غير أمير المؤمنين أحوج إلى تلك الدرع منه «عليه السلام»..

إلا إن كان يرى أن الحصول على درع ليس في العرب مثلها أمر يهتم له علي «عليه السلام»، وسوف يتحسر أو يتحرق على فواته.. حتى وهو يعلم أن بعض المسلمين يحتاجونها لحفظ أنفسهم..

ولكن الحقيقة هي: أن من يضحي بنفسه في سبيل الله، ويشري نفسه ابتغاء مرضات الله، لا يفكر بالحصول على الغنائم والأسلاب.

٢ ـ إن جواب علي «عليه السلام» ينضح بالترفع، ويفيض بالنبل والكرم والرجولة، ويؤكد عزوفه عن كل ما هو من حطام الدنيا..

كما أنه «عليه السلام» حتى في هذا الموقف الصعب والخطير، الذي تزل فيه الأقدام، وتختل فيه المعايير والضوابط، وفي زحمة الأهوال والمخاطر، وفي

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٤ ص٢٣٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٥٥.

خضم إلتهاب المشاعر، يبقى محتفظاً بالدقة في ممارساته، وبالتوازن والإستقامة على خط القيم الرفيعة، والتزام الأخلاق الفاضلة والنبيلة..

وهو «عليه السلام» يتجاوز حدود الإنصاف مع أعدائه ليرتقي إلى درجات التفضل والتكرم عليهم بما ليسوا من أهله.. فهو يتعامل معهم بأخلاقه وقيمه، ولا يعاملهم بما تقتضيه ممارساتهم اللاإنسانية، وأخلاقهم الشيطانية.

علي عليه السلام استحيا من ابن عمه:

أما ما نسب إلى علي «عليه السلام» من أنه استحيا من ابن عمه أن يسلبه.. فيبقى موضع ريب عندنا، فإن عمرواً وإن كان ابن عم علي «عليه السلام»، فهو عمرو بن عبد ود بن أبي قيس، أخو بني عامر بن لؤي. ولؤي هو الأب التاسع لعلي «عليه السلام».. إلا أن ذلك لم يكن هو السبب في عدم أخذ سلبه، بل السبب هو ما ذكرته الرواية من أن عمرواً طلب منه ذلك، فقال له علي «عليه السلام»: هي علي أهون من ذلك..

لو صرفنا النظر عن ذلك، فقد صرح علي «عليه السلام»: بأنه إنما أعرض عنه، لأنه اتقاه بسوأته..

إتقاه بسوأته.. فلم يسلبه:

ثم إن التبرير الذي ذكر لعدم أخذه سلبه وهو أنه حين ضربه اتقاه بسوأته، فاستحيا منه أن يسلبه، غير واضح:

أولاً: قد يقال: إنه لا ربط لهذه العلة بذلك المعلول..

ثانياً: ان النص الآخر يناقض هذا النص، فإنه يجعل السبب في عدم

التعرض لسلبه أنه كره أن يكشف سوأته.. فأي ذلك هو الصحيح..

ثالثاً: إن النص يقول: إنه بعد أن ضربه وقطع رجله، جلس على صدره وذبحه.. وهو إنما فعل ذلك بعد أن اتقاه بسوأته بعد الضربة الأولى التي أطاحت برجله.. فما المانع من أن يسلبه في هذه الحال؟! فإن سوأته لم تكن ظاهرة!!

والذي نستخلصه مما تقدم: أنه يمكن أن تكون قد اجتمعت الأسباب كلها على صرف علي «عليه السلام» عن سلبه، فلعله لما سقط كان عازماً على سلبه، فلما اتقاه بعورته استحيا وأعرض عن ذلك، وتأكد هذا الإعراض حين علم أنه لو سلبه ستنكشف عورته.. ثم طلب منه عمرو أن لا يسلبه بزته، فقال له «عليه السلام»: هي أهون عليَّ من ذلك.

التكبير.. وتمجيد الله:

وقد تقدم: أنه حين أجهز علي «عليه السلام» على عمرو، كان «عليه السلام» يكبر الله ويمجده..

وهذا ينظر إليه في أكثر من اتجاه، فهو يمثل تحدياً إيمانياً لعمرو، الذي استحق أن يتجرع كأس الحسرة والغصة حتى في هذه اللحظات.. فإنه قد تجاوز كل الحدود في بغيه، وسعيه لإطفاء نور الله.

كما أنه يعطي: أن علياً «عليه السلام» لا يمارس القتل، لأنه حرفته، أو لأنه يغذي روحه به، أو لأنه يكتسب به مجداً، أو يحصل على موقع، بل هو يمارسه لأنه تكليف إلهي، تعلو به كلمة الله، ويعرف الناس به مجده وآلاءه ونعمه، وما إلى ذلك..

وللتكبير هنا معناه ومغزاه، حين يعلن به وهو على صدر جبار، يريد أن يجهز عليه، فإنه يريد أن يفهمه عملاً وقولاً: أن الله أكبر منه، ومن كل باغ وطاغ وجبار، ومن كل شيء..

الوسام الإلهي:

عن ابن مسعود، وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لمبارزة علي (أو قتل علي) لعمرو بن عبد ود (أو ضربة علي يوم الخندق) أفضل (أو خير) من عبادة الثقلين، أو أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة[١].

---

(١) راجع النصوص التي تشير إلى ذلك في: كنز العمال ج١٢ ص٢١٩ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١١ ص٦٢٣ وتاريخ بغداد ج١٣ ص١٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ص٤٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٢ وتلخيصه للذهبي بهامشه، والمناقب للخوارزمي ص٥٨ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص١٠٦ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢٦ وشرح المواقف ج٨ ص٣٧١ وفرائد السمطين ج١ ص٢٥٦ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١هـ) ج٢ ص١٤ وإقبال الأعمال ج٢ ص٢٦٧ والتفسير الكبير للرازي ج٣٢ ص٣١ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٠ ص٣٣٣ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢ ص٣٢٣ وحبيب السير ج١ ص٣٦٢ وينابيع المودة ص٩٤ و ٩٥ و ٩٦ وسعد السعود ص١٣٩ والطرائف لابن طاووس ص٦٠ و ٥١٤ وحلية الأبرار ج٢ ص١٦٠ وكنز الفوائد ص١٣٧ والسيرة الحلبية ج٢ =

وفي نص آخر عن ابن مسعود: أبشر يا علي، فلو وزن عملك اليوم بعمل أمتي لرجح عملك بعملهم(١).

= ص٣١٩ و ٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤٢ وشرح المقاصد للتفتازاني ج٥ ص٢٩٨ وفردوس الأخبار ج٣ ص٤٥٥ ونفحات اللاهوت ص٩١ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ وبحار الأنوار ج٣٦ ص١٦٥ وج٣٩ ص١ و ٢ وج٤١ ص٩١ و ٩٦ وج ٢٠ ص٢٠٥ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٨٧ وتنبيه الغافلين ص٥٢ والغدير ج٧ ص٢٠٦ وكشف الغمة ج١ ص١٤٨ ونهج الإيمان ص٦٢٧ وتأويل الآيات ج٢ ص٦٩٠ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٤٧٢ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٣٣٨ و ٣٦١ ومنهاج الكرامة ص١٦٦ ومشارق أنوار اليقين ص٣١٢ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ وج ٦ ص٥ وج ١٦ ص٤٠٣ عن بعض من تقدم، وعن حياة الحيوان (ط القاهرة) ص٢٧٤ وعن المصادر التالية: نهاية العقول (مخطوط) ص١١٤ وروضة الاحباب للدشتكي (مخطوط) ص٣٢٧ وتجهيز الجيش للدهلوي (مخطوط) ص٤٠٧ و ١٦٣ ومفتاح النجاة ص٢٦ وتاريخ آل محمد لبهجت أفندي ص٥٧ ومناقب علي ص٢٦ ووسيلة النجا ص٨٤.

(١) ينابيع المودة ص٩٤ و (ط دار الأسوة) ج١ ص٢٨١ و ٢٨٤ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١هـ) ص١٢ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٨٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢١٦ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٤٣٩ وكنز الفوائد ص١٣٧ وجوامع الجامع ج٣ ص٥٢ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٣٢ وتأويل =

زاد المجلسي والطبرسي قوله: «وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو. ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو»(١).

ونقول:

إن قيمة العمل ليست بمواصفاته المادية، ولا بكبره وصغره، ولا بقوته وضعفه، ولا بكثرته وقلته، ولا بشكله الظاهر، من حيث الجمال، وصفاء الألوان..

فالحديد مهما كثر وكبر، وازداد صلابةً، واتخذ اشكالاً جميلة ومتناسقة، واتخذ ألواناً لامعة وبديعة، فإنه لن تكون له قيمة الذهب أو الماس.

بل قيمته بخصوصيته الكامنة فيه، وبحقيقة جوهره، وشرف عنصره.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن الله سبحانه قد أنزل سورة قرآنية في الثناء على أهل البيت هي سورة هل أتى، لمجرد أنهم «عليهم السلام» تصدقوا بأقراص من شعير على مسكين ويتيم وأسير، كما أنه تعالى أنزل آية الولاية لتعلن لأمير المؤمنين «عليه السلام» أعظم وأجل مقام بعد مقام النبوة

= الآيات ج٢ ص٤٥٢ وغاية المرام ج٤ ص٢٧٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٦ ص٤٠٥ وج٢٠ ص١٤٠ و ٦٢٥ وج٢١ ص٥٨٤ وج٣١ ص٢٣٤.

(١) راجع: مجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٣٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٥ وج٣٩ ص٢ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١هـ) ج٢ ص١٢ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٣٧ وتفسير الميزان ج١٦ ص٢٩٨.

الخاتمة، وله مساس بمصير البشر إلى يوم القيامة، في خصوص مناسبة تصدقه بخاتم وهو راكع على سائل دخل المسجد.

وتنزل آية أخرى لتثني على علي «عليه السلام» وتخلد ذكره إلى يوم يبعثون، لمجرد تصدقه ببضعة دراهم، ليناجي رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وكذلك الحال حين تصدق بدرهم ليلاً ودرهم نهاراً، وبدرهم سراً ودرهم جهراً.. فإن القرآن نزل أيضاً بالثناء عليه صلوات الله وسلامه عليه من أجل ذلك..

وفي المقابل نجد: أنه تعالى يؤكد على الخطورة القصوى لبعض الأمور التي يظن الناس أنها ليست بذات أهمية، فيذكر أن عدم الحض على طعام المسكين هو من سمات من يكذب بيوم الدين..

وقد يدخل في هذا السياق كشاهد أو مؤيد أن بعض الأعمال يذكر لها في الأخبار مقادير متفاوتة من الثواب، فتارة يكون ثواب زيارة قبر الإمام الحسين «عليه السلام» مثلاً حَجَّة، وتارة يكون ثواب كل خطوة يخطوها الزائر حَجَّة.. مما يعني: أن لدرجة الإخلاص وما يكتشف الفعل من مشقات ومخاوف وغيرها مدخلية في مقدار المثوبة. وربما تخضع المثوبة والعقوبة لخصوصيات تضاف إلى نفس العمل، فقول الحق محبوب للمولى، وله مثوبة معينة، لكنه إذا كان أمام سلطان جائر، زادت مثوبته..

وقد تزيد المثوبة بسبب أحوال أخرى لها مدخلية في زيادة الأثر، فلو أن عمرو بن عبد ود، وهو فارس جيوش الأحزاب.. قتل في بدر أو مات من جراحته فيها، لم يمنع ذلك من أن تغزو قريش المسلمين.. ولكنه حين قاد

جيش الأحزاب، وقتل في الخندق أدى ذلك إلى عجز المشركين عن غزو المسلمين بعدها.. مما يعني: أن هذه الضربة قد غيرت مجرى الأحداث بصورة أساسية، غير أن الأساس في اعتبار ضربة علي «عليه السلام» أفضل من عبادة الثقلين هو درجة الصفاء والنقاء، والإخلاص فيها، وقيمتها في ذاتها، وشرف عنصرها، وارتقاء جوهرها..

تمحلات وتعصبات ابن تيمية:

وقد اعتبر ابن تيمية حديث: قتل علي لعمرو أفضل من عبادة الثقلين، ونحوه، من الأحاديث الموضوعة، التي ليس لها سند صحيح، ولم يروه أحد من علماء المسلمين في شيء من الكتب التي يعتمد عليها. بل ولا يُعرف له أسناد صحيح ولا ضعيف.

وهو كذب لا يجوز نسبته إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه لا يجوز أن يكون قتل كافر أفضل من عبادة الجن والإنس، فإن ذلك يدخل فيه عبادة الأنبياء.

وقد قُتل من الكفار من كان قتله أعظم من قتل عمرو، مثل أبي جهل وعقبة بن أبي معيط، وشيبة. وقصته في الخندق لم تذكر في الصحاح[١].

---

(١) منهاج السنة ج٤ ص١٧١ و ١٧٢ باختصار، والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤٣ وسيرة الرسول (ط دار الفكر للجميع سنة ١٩٦٨م) ص٢٢٠ و القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع للأصبهاني ص٣٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ و ٣٩٧.

أما الذهبي، فقال عن حديث: ضربة علي أفضل من عبادة الثقلين: «قبح الله رافضياً افتراه»[١].

ونقول:

أولاً: رد الحلبي استبعاد أن تكون ضربة عمرو أفضل من عبادة الثقلين بقوله: «فيه نظر، لأن قتل هذا كان فيه نصرة للدين، وخذلان للكافرين»[٢].

ونزيد على ذلك: أنه إذا كانت قد زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وصاروا يظنون الظنون السيئة بالله سبحانه. وإذا كان المسلمون قد أحجموا عن مبارزة عمرو، خوفاً ورعباً، وكانوا كأن على رؤوسهم الطير.

وإذا كان عمرو هو فارس الأحزاب، الذين هم ألوف كثيرة، وقد جاؤوا لاستئصال المسلمين، وهم قلة، وقد جاءهم اليهود من جانب، وقريش من جانب، وغطفان من جانب، وكانوا في أشد الخوف على نسائهم وذراريهم.

وإذا كان المنافقون لا يألون جهداً في تخذيل الناس، وصرفهم عن

---

(١) تلخيص مستدرك الحاكم للذهبي ج٣ ص٣٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤٣.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٥ و ٣٩٧.

الحرب، حتى أصبح الرسول «صلى الله عليه وآله» في قلة قليلة، لا تزيد على ثلاث مئة رجل، بل قيل: لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً.

وإذا كان الجوع والبرد يفتكان في المسلمين، ويضعفان من عزائمهم..

نعم.. إذا كان ذلك، فمن الطبيعي: أن يكون قتل هذا الكافر فيه حياة الإسلام، وانتعاش المسلمين، وفيه خزي الأحزاب، وفشلهم، ولاسيما وأن النصر كان بسبب قتل عمرو كما ربما نشير إليه فيما يأتي إن شاء الله..

ثانياً: أما بالنسبة لضعف سند الحديث، وعدم ذكره في الصحاح، فلا يقلل ذلك من قيمته واعتباره، إذ ما أكثر الأحاديث الصحيحة، والمتواترة التي لم تذكر في كتب الصحاح.

وقد عرفنا تعصب أصحاب الصحاح على علي وأهل بيته «عليهم السلام».

ثالثاً: قول ابن تيمية ليس له سند ضعيف ولا صحيح، يكذبه رواية المستدرك لهذا الحديث عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده، وقد قال أبو داود: بهز بن حكيم أحاديثه صحاح[(١)].

وهذا يسقط سائر دعاوى ابن تيمية حول سند هذا الحديث.

---

(١) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص٣٨١ وتهذيب الكمال ج٢٨ ص١٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٩ ص٧٩ والوافي بالوفيات ج١٠ ص١٩٣ وراجع سائر كتب الرجال والتراجم.

شهادة حذيفة:

قال المفيد: «روى قيس بن الربيع، قال: حدثنا أبو هارون العبدي، عن ربيعة السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت له: يا أبا عبد الله، إنا لنتحدث عن علي «عليه السلام» ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: إنكم تفرطون في علي «عليه السلام». هل أنت محدثي بحديث فيه؟!

فقال حذيفة: يا ربيعة، وما تسألني عن علي «عليه السلام»! فوالذي نفسي بيده، لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» في كفة الميزان، منذ بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل علي «عليه السلام» في الكفة الأخرى لرجح عمل علي «عليه السلام» على جميع أعمالهم.

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد.

فقال حذيفة: يا لكع: وكيف لا تحمل؟! وأين كان أبو بكر، وعمر، وحذيفة، وجميع أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» يوم عمرو بن عبد ود دعا إلى المبارزة، فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً «عليه السلام»؟! فإنه برز إليه وقتله الله على يده.

والذي نفس حذيفة بيده، لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» إلى يوم القيامة[1].

---

(١) الإرشاد ص٥٥ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٣ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٤ وسيرة المصطفى ص٥٠٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ =

شهادات ومواقف أخرى:

قال المعتزلي:

١ ـ «فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود، فإنها أجلُّ من أن يقال: جليلة، وأعظَمُ من أن يُقال: عظيمة.

٢ ـ وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل، وقد سأله سائل: أيما أعظم منزلة عند الله: علي أم أبو بكر؟!

فقال: يا ابن أخي، والله، لمبارزة علي عمرواً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها، وتربي عليها، فضلاً عن أبي بكر وحده.

٣ـ وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل ما هو أبلغ منه الخ..[1].

وعن حذيفة: لو قسمت فضيلة علي «عليه السلام» بقتل عمرو يوم

= ص٦٠ و٦١ وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٩٥ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج١ ص٣٧٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٦ و ٢٥٧ وج٣٤ ص٣٠٤ وج٣٩ ص٣ ونهج الحق ص٢٤٩ و ٢٥٠ وشرح الأخبار ج١ ص٢٢٩ و٣٠٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٥ و ٥٩٨ والدر النظيم ص١٦٥ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٢٢٢ وحلية الأبرار ج٢ ص١٥٨ وكشف اليقين ص١٣٤.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٠ وعنه في إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٨ وسيرة المصطفى ص٥٠٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٣ وج٣٩ ص٣.

الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم[١].

٤ ـ وقال أبو بكر بن عياش: لقد ضَرَبَ علي ضربة ما كان في الإسلام أعزّ منها ـ يعني ضربة عمرو بن عبد ود ـ ولقد ضُرِبَ علي ضربة ما ضرب الإسلام أشأم منها ـ يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله[٢].

٥ ـ وقال الحافظ يحيى بن آدم ـ عن جابر بن عبد الله الأنصاري: ما شبهت قتل علي عمرواً إلا بقوله تعالى: ﴿**فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ**﴾[٣]»[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٨٤ والغدير ج٧ ص٢١٢ والعثمانية للجاحظ ص٣٣٣ وأعيان الشيعة ج٤ ص٥٩٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٠ ص٦٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦١ والإرشاد ص٦١ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٥ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٥ ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٣٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٦ و ٢٥٨ وج٤١ ص٩١ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢٧ وقاموس الرجال للتستري ج١١ ص٢٣٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٥ و ٣٩٧ والدر النظيم ص١٦٥.

(٣) الآية ٢٥١ من سورة البقرة.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٧٩ والإرشاد للمفيد ص٦٠ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٢ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٥ والمستدرك للحاكم ج٣ =

٦ ـ وروي أن عمرواً قال لعلي: ما أكرمك قرناً[١].

لا نأكل ثمن الموتى:

قال ابن إسحاق ـ كما رواه البيهقي ـ : وبعث المشركون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشترون جيفة عمرو بن عبد ود بعشرة آلاف.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هو لكم، لا نأكل ثمن الموتى[٢].

= ص٣٤ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص١٩٦ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٣٨٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٦ وج٣٩ ص٤ وج٤١ ص٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج١٩ ص٦١ و ٦٢ والمناقب للخوارزمي ص١٠٦ و (ط مركز النشر الإسلامي) ص١٧١ وكنز الفوائد للكراجكي ص١٣٨ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ و ٣٩٦ والدر النظيم ص١٦٤.

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢٥ وبحار الأنوار ج٤١ ص٩٠.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٧٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٠ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤٣ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٨ (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٧١ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٥ ج٤١ ص٩٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ .

وراجع: مستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٧٥ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» =

وقال أبو زهرة: «ويظهر: أنه كان عظيماً بين المشركين، يعتزونه، فأرسلوا يطلبون جثمانه[١]».

وقد ذكرت نفس هذه الحادثة: بالنسبة لجيفة نوفل بن عبد الله بن المغيرة، ونكاد نشك في صحة ذلك. ولعل الزبيريين قد حرفوا ما قيل عن جيفة عمرو ليكون لصالح جيفة نوفل، بهدف تضخيم شأن نوفل، ليصبح أهم من عمرو بن عبد ود، زعماً منهم أن روايتهم المكذوبة: أن الزبير قد قتل نوفلاً قد راجت على الناس.

مع أن علياً «عليه السلام» أيضاً هو الذي قتل نوفلاً وغيره كما سيأتي.

وإن كنا نحتمل أيضاً: أن يكون بنو مخزوم قد طلبوا جيفة صاحبهم، ليرفعوا من شأنه حتى لا يكون أقل من عمرو.

فرح الملائكة بقتل عمرو:

عن الصادق «عليه السلام»: لما قتل علي «عليه السلام» عمرو بن عبد ود أعطى سيفه الحسن «عليه السلام»، وقال: قل لأمك تغسل هذا الصيقل.

= للطباطبائي ص٢٣٢ ومجمع البيان ج٨ ص١٣٣ وتفسير الميزان ج١٦ ص٢٩٨ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص١٥٦ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٧ (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٥.

(١) خاتم النبيين ج٢ ص٩٣٨.

فردَّه ـ وعلي «عليه السلام» عند النبي «صلى الله عليه وآله» ـ وفي وسطه نقطة تنق َ ، قال: أليس قد غسلته الزهراء؟!

قال: نعم.

قال: فما هذه النقطة؟!

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا علي، سل ذا الفقار يخبرك.

فهزه، وقال: أليس قد غسلتك الطاهرة، من دم الرجس النجس؟!

فأنطق الله السيف فقال: بلى، ولكنك ما قتلت بي أبغض إلى الملائكة من عمرو بن عبد ود، فأمرني ربي فشربت هذه النقطة من دمه، وهو حظي منه، فلا تنتضيني يوماً إلا ورأته الملائكة وصلَّت عليك[1].

نقول:

ليس لدينا ما ينفي صحة هذه الرواية. ومجرد الإستبعاد، والإعلان بإنكارها، لا يكفي، لأن الجواب على ذلك هو أنه حين يصعب علينا فهم بعض ما ورد فيها، فإن علينا أن نكل علم ذلك إلى أهله، ما دام أنه لا يمس أساس العقيدة، ولا يؤثر على الضوابط والمرتكزات العامة للبحث العلمي الرصين.

---

(١) بحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٩ و ١٥٠ والخرائج والجرائح ج١ ص٢١٥ و ٢١٦ ومدينة المعاجز ج٢ ص١٩ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٨٩.

أين المخلصون؟!:

ويبقى هنا سؤال: أين كان المخلصون الأوفياء، والأبرار الأتقياء من أصحاب خاتم الأنبياء: كالمقداد، وعمار وسواهما عن إجابة طلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمبارزة عمرو بن عبد ود، وقد وعدهم «صلى الله عليه وآله» بالجنة؟!

ونجيب:

أولاً: لم تصرح الروايات بحضور هؤلاء الأشخاص بين ذلك الجمع، فلعلهم غابوا لأعذار مختلفة، كالمرض، والسفر، ولعل بعضهم بقي في المدينة لحراستها من بني قريظة.

ثانياً: لقد رتب النبي «صلى الله عليه وآله» على أبواب الخندق الثمانية لحراستها أشخاصاً من قبائل شتى، كما أن من الطبيعي أن يكون للجيش المرابط حراس يمنعون الأعداء من الإيقاع بالمسلمين على حين غفلة منهم.. فلعل هؤلاء المخلصين كانوا من هؤلاء، أو من أولئك..

ولكن مما لا شك فيه: هو أن معظم المسلمين كانوا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفيهم الطامحون والطامعون، وأصحاب الدعاوى العريضة.. وقد تحداهم عمرو ومن معه، وطلب النبي «صلى الله عليه وآله» منهم مبارزته، فلم يستجب منهم أحد..

ثالثاً: لم يكن هؤلاء الذين تذكر أسماؤهم يدَّعون، ولا كان أحد يدَّعي لهم أنهم يقدرون؛ على مواجهة عمرو بن عبد ود. كما أنهم لا يرشحون أنفسهم لمقامات تفرض اتصافهم بصفات معينة، التي منها العلم الشامل،

والعصمة، والشجاعة التي تفوق شجاعة البشر كلهم.

الخوارج.. وقتل عمرو بن عبد ود:

هذا.. وقد أورد الحاكم النيسابوري العديد من الأحاديث عن قتل علي «عليه السلام» لعمرو، ثم قال:

«قد ذكرت في مقتل عمرو بن عبد ود من الأحاديث المسندة، ومما عن عروة بن الزبير، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار ما بلغني، ليتقرر عند المنصف من أهل العلم: أن عمرو بن عبد ود لم يقتله، ولم يشترك في قتله غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام».

وإنما حملني على هذا الإستقصاء فيه قول من قال من الخوارج: إن محمد بن مسلمة أيضاً ضربه ضربة، وأخذ بعض السلب.

ووالله، ما بلغنا هذا من أحد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

وكيف يجوز هذا وعلي «عليه السلام» يقول ما بلغنا: إني ترفعت عن سلب ابن عمي، فتركته. وهذا جوابه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب بحضرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1]» انتهى.

فظهر أن الخوارج كانوا يتعمدون وضع الحديث الذي يسيء إلى علي «عليه السلام».. وهذا هو المتوقع منهم، فقد تاب شيخ منهم ورجع عن مقالتهم، فقال: «إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم،

---

(١) المستدرك للحاكم ج٣ ص٣٤.

فإنَّا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً»[١].

وقال الجوزجاني عن الخوارج في الصدر الأول: «نبذ الناس حديثهم إتهاماً لهم»[٢].

فكيف يروي البخاري إذن عن عمران بن حطان، مادح عبد الرحمان بن ملجم، لقتله علياً؟!![٣].

---

(١) لسان الميزان ج١ ص١٠ و ١١ والكفاية في علم الرواية للخطيب ص١٢٣ و ١٥٦ وآفة أصحاب الحديث ص٧١ و ٧٢ وتذكرة الموضوعات ص٧ وفتح الملك العلى ص٩٠ والجامع لأحكام القرآن ج١ ص٧٨ والموضوعات لابن الجوزي ص٣٨ واللآلي المصنوعة ج٢ ص٤٦٨ وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص٢٩ وعن السنة ومكانتها في التشريع، للسباعي ص٩٧ وراجع: العتب الجميل ص١٢٢.

(٢) أحوال الرجال ص٣٤ وراجع: لسان الميزان ج١ ص١٠ و١١ والكفاية للخطيب ص١٢٣ وآفة أصحاب الحديث ص٧١ و ٧٢ واللآلي المصنوعة ج٢ ص٤٦٨ وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص٢٩ عن الأولين، وعن: السنة ومكانتها في التشريع، للسباعي ص٩٧ وعن: الموضوعات لابن الجوزي ص٣٨ راجع: العتب الجميل ص١٢٢.

(٣) راجع: العتب الجميل (ط الهدف للإعلام والنشر) ص٩٩ والسقيفة للمظفر ص١٨٦ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٢٨٦ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٥٧٣ و ٥٨٧ وفتح الباري (المقدمة) ص٤٣٢ وج١٠ =

وكيف يقول أبو داوود: «ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج»(١).

= ص٢٤٤ وعمدة القاري ج٢٢ ص١٣ وأضواء البيان ج٣ ص١٢٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٦٥٤ والنصائح الكافية ص٣١ ومستدرك الوسائل ج١ ص١٨ ومقاتل الطالبيين ص٢٣ وأجوبة مسائل جار الله ص٧٢ والنص والإجتهاد ص٥٣٥ والغدير ج٥ ص٢٩٣ وج٩ ص٣٩٣.

(١) ميزان الإعتدال ج١ ص١٠ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٣٦ وتهذيب الكمال ج٢٢ ص٣٢٣ وسير أعلام النبلاء ج٤ ص٢١٤ وتهذيب التهذيب ج٨ ص١١٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٦ ص١٥٥ والعتب الجميل ص١٢١ و (ط الهدف للإعلام والنشر) ص٢٠ وفتح الباري (المقدمة) ص٤٣٢ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٥٨٧ وسؤالات الآجري لأبي داود ج٢ ص١١٧ والكفاية في علم الرواية للخطيب ص١٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٣ ص٤٨٩ .

الفصل الرابع:

علي عليه السلام في نهايات حرب الخندق

قاتل عمرو، وحسل، ونوفل:

وذكر ابن هشام: أن علياً «عليه السلام» قتل عمرو بن عبد ود، وابنه حسل بن عمرو[1]، وهو الذي قتل نوفل بن عبد الله أيضاً.

قال اليعقوبي: «وكبا بنوفل بن المغيرة بن عبد الله فرسه، فلحقه علي فقتله[2].

وقال الطبرسي، وابن كثير، والطبري: إنه لما تورط في الخندق جعل يقول: قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب، فنزل إليه علي فقتله، وطلب

---

(١) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٦٥ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٣٢ وراجع: سيرة المصطفى ص٥٠٢ و ٥٠٣ عنه والبداية والنهاية ج٤ ص١١٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٢ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص١٩٨ و ١٩٨ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢ وراجع: نهاية الأرب ج١٧ ص١٧٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٠ وراجع: بهجة المحافل ج١ ص٢٦٦.

المشركون رِمَّتَه، فمكنهم من أخذه[١].

وذكرت بعض المصادر: أنه «عليه السلام» ضربه بالسيف فقطعه نصفين[٢].

وذكر ابن إسحاق: أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه، فمات في الخندق[٣].

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الإستقامة) و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٢٤٠ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٨٠ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ و ٤٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٧ وبحار الأنوار ج٤١ ص٩٠ وج٢٠ ص٢٧٤ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٣٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٠٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٢٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٥ و (ط دارالمعرفة) ج٢ ص٦٣٧ وراجع ص٣٢٠ وسيرة المصطفى ص٥٠٢ ومحمد رسول الله لمحمد رضا ص٢٣١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ و ٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٤ وبهجة المحافل ج١ ص٢٦٧ وحبيب السير ج١ ص٣٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٦ والإرشاد للمفيد ص٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٤ وإعلام الورى ص١٩٥ وتفسير الثعلبي ج٨ ص١٦.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ و ٤٨٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣١٥ و (ط دارالمعرفة) ج٢ ص٦٣٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٩٦.

(٣) مجمع البيان ج٨ ص٣٤٣ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٣٣ وبحار الأنوار=

وزعم بعضهم: أن الزبير هو الذي قتله، وقد ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»: أن ذلك لا يصح، وذكرنا بعض ما يفيد في ذلك(١).

الهاربون من علي عليه السلام:

وقد هرب ضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن وهب من وجه علي «عليه السلام»، وقالوا: إن الزبير قد ضرب هبيرة آنئذٍ حتى فلق هامته.

ونقول:

نحن نشك في صحة ذلك، استناداً إلى ما يلي:

١ ـ لو كان الزبير قد ضرب هبيرة بالسيف حتى فلق هامته، فاللازم أن يكون قد قُتل، مع أن الجميع متفقون على أنه لم يقتل آنئذٍ.

٢ ـ ذكرت بعض النصوص: أن علياً «عليه السلام» لحق هبيرة فأعجزه، وضرب قربوس سرجه، فسقطت درع كانت عليه، وفر عكرمة، وهرب ضرار(٢).

= ج٢٠ ص٢٠٥ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٧٥ وتفسير الميزان ج١٦ ص٢٩٨ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص١٥٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٠٥.

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج١١ ص١٦١ فما بعدها.

(٢) راجع: الإرشاد للمفيد ص٦٠ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٢ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٣٢٦ والمستجاد من كتاب الإرشاد =

٣ ـ ويفصل ذلك نص آخر، فيقول: ثم حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة على علي، فأقبل علي عليهما. فأما ضرار فولى هارباً ولم يثبت، وأما هبيرة فثبت أولاً، ثم ألقى درعه وهرب. وكان فارس قريش وشاعرها[(١)].

وسئل ضرار عن سبب فراره، فقال: خيل إلي أن الموت يريني صورته[(٢)].

٤ ـ ومما يدل على بقاء هبيرة حياً.. أنه اعتذر عن فراره من وجه علي «عليه السلام»، فقال:

لعمرك ما وليت ظهراً محمداً وأصحابه جبناً ولا خيفة القتلِ

ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناءً إن وقفت ولا نبلي

الخ.. الأبيات..

ويؤيد قولهم بأن الفرسان قد هاجموا علياً بعد قتله عمرواً، قوله «عليه السلام»:

أعلي تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي

= (المجموعة) ص٧٢ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٤ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٦ وج٤١ ص٩٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ و ٣٩٦ والدر النظيم ص١٦٤ وراجع: إعلام الورى ص١٩٥ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ و ٤٨٨ عن روضة الأحباب.

(١) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢١ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٩٦.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧.

ولعل مواجهة هبيرة لعلي «عليه السلام» ولو للحظات جعلته يستحق وسام فارس قريش وشاعرها[١].

عن علي «عليه السلام» أنه قال:

وكانوا على الإسلام إلباً ثلاثة　　فقد خر من تلك الثلاثة واحدُ

وفر أبو عمرو هبيرة لم يعد　　ولكن أخو الحرب المجرب عائد

نهتهم سيوف الهند أن يقفوا لنا　　غداة التقينا والرماح مصائد

فإن كان الزبير قد ضرب هبيرة ـ ونحن لا نرى صحة ذلك ـ فلعلها كانت ضربة خفيفة جرحته في رأسه، ولم تعقه عن ممارسة الحرب، والطعن والضرب..

بل نستطيع أن نؤكد على أن علياً «عليه السلام» كان في الميدان وحده، أما سائر المسلمين فلم يضربوا بسيف، ولا طعنوا برمح أصلاً..

أشعار في حرب الخندق:

وعنه «عليه السلام» في الخندق:

الحمد لله الجميل المفضلِ　　المسبغ المولي العطاء المجزلِ

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٨٨ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٩٦٣ وأسد الغابة ج٥ ص٦٢٤ والعثمانية للجاحظ ص٣٣٦ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٤١ وعيون الأثر ج١ ص٣٧٨ وج٢ ص٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص١٢٧.

شكـــراً عـلـى تمـكينـه لرسوله بـالـنـصر مـنـه عـلى الغواة الجُهّلِ
كـم نـعـمة لا أسـتطـيع بلوغها جهداً ولـو أعـمـلـت طاقة مِقول
لله أصـبـح فـضـلـه مـتـظـاهراً مـنـه عـلي سـألـت أم لم أســأل
قـد عـايـن الأحزاب مـن تأييده جـنـد النبي وذي البيــان المرسـل
مـا فـيـه مـوعـظة لـكـل مفـكر إن كــان ذا عـقــل وإن لم يـعـقل

وعنه «عليه السلام» مخاطباً لعمرو بن عبد ود:

يـا عـمرو قـد لاقيت فارس بهمة عنـد الـلـقـاء مـعــاود الأقـــدامِ
مـن آل هـاشــم مــن سناء باهر ومـهـذبـيــن مـتـوجـيــن كـرام
يـدعــو إلى ديــن الإلـه ونصـره وإلى الهـــدى وشــرائــع الإسلام
بـمـهـنـد عـضـب رقـيـق حـده ذي رونـق يـقـري الـفـقار حسام
ومحـمــــد فـيـنـا كـأن جـبـيـنـه شـمـس تجـلـت مـن خـلال غمام
والله نـــــاصــــر ديـنـه ونـبـيـه ومـعـيـن كـل مـوحـــد مـقـدام
شـهدت قـريـش والـقـبائل كلها أن ليـس فـيها من يقوم مقامي[1].

وروي أنه لما قتل عمرواً أنشد:

---

(١) راجع المقطوعات الثلاث المتقدمة في: بحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٩ و ٢٨٠ وج٤١ ص٨٩ و ٩١ و ٩٠ عن ديوان علي أمير المؤمنين «عليه السلام» ص٤٦ و ١٠٩ و ١١٠ و ١٢٦ و ١٢٧ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٦ و١٣٧.

ضـربتـه بـالسيـف فـوق الهامَة بـضـربـــة صـارمـــة هــدامَــة
أنـــا عـلي صاحب الصمصامَـة وصـــاحب الحـوض لدى القيامَة
أخـــو رســـول الله ذي الـعـلامَة قـــد قـــال إذ عممـنـي العِـمامَـة
أنـت الــذي بـعـدي لـه الإمـامَـة[١]

أشعار قيلت في حرب الخندق:

وقال حسان بن ثابت:

أمسى (الفتى) عمرو بن عبد يبتغي بـجـنـوب يـثـرب عـادة لم تنـظـرَ
ولـقـد وجـدت سيوفنا مشهورة ولـقـد وجـدت جـيـادنـا لم تقصر
ولـقـد رأيـت غـــداة بـدر عصبة ضـربوك ضرباً غير ضرب المحسر
أصـبحت لا تدعى ليـوم عظيمـة يا عمـرو أو لجسـيـم أمر منكر[٢]

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص٨٨ وراجع: الفصول المختارة ص٢٨٩ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٢١٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٥٣ وتنبيه الغافلين ص٥٦.

(٢) الإرشاد للمفيد ص٥٦ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٦ وراجع: بحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٩ وج٤١ ص٩٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٨١ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٤٢ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٣٤٤ والفصول المختارة ص٢٩٣ والعثمانية للجاحظ ص٣٣٧ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣١٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٩٠ والبيت الأول فيه =

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم ينكرها لحسان فأجابه فتى من بني عامر:

كذبتم وبيتِ الله لا تقتلوننا ... ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغا ... بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن عبد ببأسكم ... ولكنه الكُفؤُ الهِزَبرُ الغَضَنفَرُ
علي الذي في الفخر طال بناؤه ... فلا تكثروا الدعوى علينا فتحقروا
ببدر خرجتم للبراز فردكم ... شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما أتاهم حمزة وعبيدة ... وجاء علي بالمهند يخطر
فقالوا: نعم أكفاء صدق فأقبلوا ... إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال علي جولة هاشمية ... فدمرهم لما عتوا وتكبروا
فليس لكم فخر علينا بغيرنا ... وليس لكم فخر نعد ونذكر(١)

وروي: أن علياً «عليه السلام» لما قتل عمرواً لم يسلبه، وجاءت أخت عمرو حتى قامت عليه فلما رأته غير مسلوب سلبه قالت: ما قتله إلا كفؤ

= وفي بحار الأنوار عن الإرشاد هكذا:

أمسى الفتى عمرو بن عبد ناظراً ... كيف العبور وليته لم ينظر

(١) الإرشاد للمفيد ص٥٦ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٧ والفصول المختارة ص٢٩٣ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٦ وبحار الأنوار ج١٩ ص٢٩١ وج٢٠ ص٢٥٩ وج٤١ ص٨٠ و ٩٩ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣١٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٦ و ٢٩٩ والدر النظيم ص١٦٦.

كريم، ثم سألت عن قاتله، قالوا: علي بن أبي طالب، فأنشأت هذين البيتين[١]:

لـو كـان قـاتــلَ عمرو غـيرُ قـاتلـه لكـنـت أبـكـي عـليه آخر الأبدِ

لـكـن قـاتـل عـمـرو لا يعاب بـــه من كان يدعى قديماً بيضةَ البلد[٢]

ولكن نصاً آخر يقول: لما نعي عمرو إلى أخته قالت: من ذا الذي اجترأ عليه؟!

فقالوا: ابن أبي طالب.

فقالت: لم يعد موته إلا على يد كفؤ كريم. لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه. قتل الأبطال، وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفؤ كريم من قومه.

وفي لفظ آخر: «على يد كريم قومه»، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر. ثم أنشأت تقول:

لـو كـان قـاتــلَ عمرو غـيرُ قـاتلـه الخ..

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٨ وحبيب السير ج١ ص٣٦٢ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص٦٤٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٣٨١ عن مفتاح النجا للبدخشي (مخطوط) ص٢٦ وج١٨ ص٢٨ عن تاريخ الخميس.

(٢) الإرشاد للمفيد ص٥٧ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٨ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٩ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٦ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٦٠ وج٤١ ص٧٣ و ٩٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٥ و ٣٩٨.

وقال المعتزلي: «فأما قتلاه، فافتخار رهطهم بأنه «عليه السلام» قتلهم أظهر وأكثر، قالت: أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبداً ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد[1]

وقالت أيضاً في ذلك:

أسدان في ضيق المِكَرّ تصاولا وكلاهما كفؤ كريم باسل

فتخالسا مهج النفوس كلاهما وسط المدار مخاتل ومقاتل

وكلاهما حضر القراع حفيظة لم يثنه عن ذاك شغل شاغل

فاذهب علي فما ظفرت بمثله قول سديد ليس فيه تحامل

والثار عندي يا علي فليتني أدركته والعقل مني كامل

ذلت قريش بعد مقتل فارس فالذل مهلكها وخزي شامل

ثم قالت: والله، لا ثأرت قريش بأخي ما حنت النيب[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٠ والبيتان في لسان العرب أيضاً ج٨ ص١٩٥ وفيه: بكيته ما أقام الروح في جسدي. وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص٤١٥ وبحار الأنوار ج٤١ ص١٤٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٣٨. وراجع: المستدرك للحاكم ج٣ ص٣٣.

(٢) الإرشاد للمفيد ص٥٧ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٨ والفصول المختارة ص٢٩٣ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٩ و (ط المكتبة الحيدرية ـ النجف)=

وقال مسافع بن عبد مناف يبكي عمرو بن عبد ود، لما جزع المذاد، أي قطع الخندق:

عـمـرو بـن عبد كـان أولَ فـارسٍ جـزع المذاد وكـان فارسَ مَليَلِ[1]

إلى أن قال:

سـأل الـنـزال هـنـاك فارس غالب بـجـنـوب سـلـع لـيـتـه لم يـنزل

فـاذهـب عـلي مـا ظـفـرت بمثلهـا فـخـراً ولـو لاقيت مثل المعضل

نفسي الـفـداء لـفـارس من غالب لاقـى حمـام المـوت الخ...[2]

وعند ابن هشام: تسل النزال علي فارس غالب.

وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي، يعتذر من فراره عن علي بن أبي طالب وتركه عمرواً يوم الخندق، ويبكيه:

لـعـمـرك مـا ولـيـت ظهراً محمداً وأصحـابـه جـنـباً ولا خيفة القتل

= ج١ ص١٧١ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٦ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٦٠ وج٤١ ص٩٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٥ والدر النظيم ص١٦٧.

(١) الصحيح: يليل، وهو واد ببدر.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٨٨ وذكرها في آخر العثمانية ص٣٣٦ عنه، وراجع: مجمع البيان ج٨ ص٣٤٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٠٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٧٨ و ٢٧٩ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٤١ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٦ والدر النظيم ص١٦٦.

إلى أن يقول:

كفتك علي لن ترى مثل موقف وقفت على شلو المقدم كالفحل

فما ظفرت كفاك يوماً بمثلها أمنت بها ما عشت من زلة النعل[١]

وقال هبيرة بن أبي وهب يرثي عمرواً، ويبكيه:

لقد علمت عَلْيَا لؤي بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب

وفارسها عمرو إذا ما يسوقه[٢] علي، وإن الموت لا شك طالب

عشية يدعوه علي وإنه لفارسها إذ خام عنه الكتائب

فيا لهف نفسي إن عمرواً لكائن بيثرب لا زالت هناك المصائب

لقد أحرز العليا علي بقتله وللخير يوماً لا محالة جالب[٣]

وقال حسان:

لقد شقيت بنو جمح بن عمرو ومخزوم وتيم ما نقيل

وعمرو كالحسام فتى قريش كأن جبينه سيف صقيل

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص٢٨٩ وعيون الأثر ج٢ ص٦٧ و (ط مؤسسة عز الدين) ج٢ ص٤٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٨٠ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٤٢ والملحق بالعثمانية ص٣٣٦.

(٢) وفي نسخة (يسومه).

(٣) مسلحب: منبطح. والأبيات في شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٩٠ والملحق بالعثمانية ص٣٣٧.

فتى من نسل عامر أريحي ... تطاوله الأسنة والنصول
دعاه الفارس المقدام لما ... تكشفت المقانب والخيول
أبو حسن فقنعه حساماً ... جرازاً لا أفل ولا نكول
فغادره مكباً مسلحباً ... على عفراء لا بعد القتيل[1]

وقال مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو، فأجلوا عنه وتركوه:

عمرو بن عبد والجياد يقودها ... خيل تقاد له وخيل تنعل
أجلت فوارسه وغادر رهطه ... ركناً عظيماً كان فيها أول
عجباً وإن أعجب فقد أبصرته ... مهما تسوم علي عمرواً ينزل
لا تبعدن فقد أصبت بقتله ... ولقيت قبل الموت أمراً يثقل
وهبيرة المسلوب ولى مدبراً ... عند القتال مخافة أن يقتلوا
وضرار كان البأس منه محضراً ... ولى كما ولى اللئيم الأعزل

قال ابن هشام: بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له[2].

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود:

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٣ ص٢٨٩ و ٢٩٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٨١ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٤٢ والملحق بالعثمانية ص٣٣٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٨٠ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٤١.

بقيتكم عمرو أبحناه بالقنا بيثرب نحمي والحماة قليل
ونحن قتلناكم بكل مهند الخ..

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان[(١)].

وروى المعتزلي عن بعض شعراء الإمامية قوله:

إذا كنتمُ ممن يروم لحاقَهُ فهلا برزتم نحو عمروٍ ومرحبِ[(٢)]

ولا ننسى هنا قول الأزري «رحمه الله»:

فانتضى مشرفيه فتلقى ساق عمرو بضربة فبراها
وإلى الحشر رنة السيف منه يملأ الخافقين رجع صداها
يا لها ضربة حوت مكرماتٍ لم يزن ثقلَ أجرها ثقلاها
هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها[(٣)]

ابن هشام مغرض في السيرة النبوية:

ويلاحظ هنا: أن ابن هشام قد علق على عدد من مقطوعات الأشعار المتقدمة المرتبطة بعلي «عليه السلام» بما يوجب التشكيك في صحة نسبتها إليه «عليه السلام» وإلى غيره، بل هو يدعي أن أكثر أهل العلم ينكر أن

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٨١ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٥ ص٧ وراجع: أعيان الشيعة ج١ ص٥٣٠.

(٣) الأزرية للشيخ الأزري (ط دار الأضواء) ص١٢٥ والكنى والألقاب ج٢ ص٢٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٥٧ وج٩ ص١٨.

يكون هذا الشعر لعلي، أو لحسان بن ثابت أو لمسافع إلخ.. رغم أننا لم نعثر ولو على رجل واحد أنكر نسبة أي من تلك المقطوعات المشار إليها إلى حسان، أو مسافع أو علي «عليه السلام».

وقد تعودنا أمثال هذه التشكيكات من ابن هشام في كتابه، وكثير منها له ارتباط بعلي «عليه السلام».

كما أنه قد استبعد من سيرته نصوصاً كثيرة أخرى ترتبط بعلي وأهل بيته، أو الخلص من أصحابه.. مع أنها مذكورة في سيرة ابن إسحاق، فليلاحظ ذلك..

تجاهل قتل عمرو بن عبد ود في الخندق:

١ ـ ورغم أن قتل علي «عليه السلام» لعمرو بن عبد ود كالنار على المنار، أو كالشمس في رائعة النهار، فإننا نجد بعض المتعصبين الحاقدين يسوق حديث الخندق، بطريقة يتجاهل فيه هذا الحدث الهام الذي كان هو سبب هزيمة المشركين في تلك الحرب، فيقول أحدهم مثلاً:

«ولم يكن بين القوم قتال إلا الرمي بالنبل والحصا، فأوقع الله بينهم التخاذل، ثم أرسل الله عليهم في ظلمة شديدة من الليل ريح الصبا الشديدة في برد شديد، فأسقطت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وزلزلتهم، حتى جالت خيولهم بعضها في بعض في تلك الظلمة، فارتحلوا خائبين»[1].

---

(١) حدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٠ وراجع: الزمخشري في الكشاف ج٣ ص٥٢٦ وقد تعجب منه في سعد السعود ص١٣٨ و ١٣٩.

ثم يذكر إرسال الزبير بن العوام لكشف خبر القوم.

بينما نجد رجلاً مسيحياً، لا يرغب بالإعتراف للمسلمين بشيء ذي بال، يعتبر قتل علي «عليه السلام» لعمرو ولصاحبه «سبب هزيمة الأحزاب على كثرة عَدَدِهم، ووفرة عِدَدِهم»[١].

٢ ـ ادعى ابن تيمية: أن عمرو بن عبد ود لم يعرف له ذكر إلا في هذه الغزوة[٢].

وحاول الجاحظ أن يدَّعي: أن شهرة عمرو بن عبد ود بالشجاعة مصنوعة من قبل محبي علي، حتى تركوه أشجع من عامر بن الطفيل، وعتيبة بن الحارث، وبسطام بن قيس، مع أنه لم يسمع لعمرو ذكر في حرب الفجار، ولا في الحروب بين قريش ودوس.

وقد رد عليه الإسكافي بما حاصله: أن أمر عمرو بن عبد ود أشهر من أن يذكر، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل. ثم ذكر شعر مسافع بن عبد مناف، وشعره الآخر في رثائه له.

وليس أحد يذكر عمرواً إلا قال: كان فارس قريش وشجاعها، وقد شهد بدراً، وجرح فيها، وقتل قوماً من المسلمين. وكان عاهد الله عند الكعبة أن لا يدعوه أحد إلى إحدى ثلاث خصال إلا قبلها، وآثاره في أيام

---

(١) تاريخ مختصر الدول ص٩٥.

(٢) منهاج السنة ج٤ ص١٧٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٤٣ وسيرة الرسول ص٢٢٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٦٤ و ٢٦٥ و ٣٩٧.

الفجار مشهورة.

كما أنه لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدهم، جبن المسلمون كلهم عنه، وهو يوبخهم ويقرعهم، وملكهم الرعب والوهل، فإما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم.

وإنما لم يذكر مع الفرسان الثلاثة لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب، وأهل بادية، وقريش أهل مدينة، وساكنوا مدر وحجر، لا يرون الغارات، ولا ينهبون غيرهم من العرب، وهم مقيمون ببلدتهم، فلم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء[١].

ونضيف إلى ذلك: أن قتل عمرو قد أرعب بني قريظة، ولما رأوا أمير المؤمنين «عليه السلام» تصايحوا: جاءكم قاتل عمرو. ولم يظهر لنا أن عمرواً كان مسناً بحيث يمكنه أن يحضر حرب الفجار، فقد وصف في بعض الأشعار بالفتى. وحتى لو كان قادراً على الحضور، فقد يغيب عنها لسفر، أو لمرض، أو لعلة أخرى..

سبب هزيمة الأحزاب:

إن سبب هزيمة المشركين يوم الأحزاب يرجع إلى أمور ثلاثة:

أحدها: صعوبة المقام بعد طول الحصار.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٨٧ ـ ٢٩١ وراجع الملحق آخر العثمانية ص٣٣٥ ـ ٣٣٩.

الثاني: ما أرسله الله عليهم من الريح والجنود التي لا ترى.

ثم كان السبب الأهم، والأبعد أثراً في هزيمتهم قتل فارسهم، وكبش كتيبتهم، ومعه غيره على يد علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وذلك هو الذي قطع آمالهم بغزو المسلمين مرة أخرى.. ويدل على ذلك النصوص التالية:

ألف: قال ابن العبري: «وبقوا بضعة وعشرين يوماً لم يكن بينهم حرب. ثم جعل واحد من المشركين يدعو إلى البراز، فسعى نحوه علي بن أبي طالب، فقتله، وقتل بعده صاحباً له، وكان قتلهما سبب هزيمة الأحزاب، على كثرة عَددهم، ووفرة عُدَدِهم»(١).

ب: وقال المعتزلي: «الذي هزم الأحزاب هو علي بن أبي طالب، لأنه قتل شجاعهم وفارسهم عمرواً لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هاربين مفلولين، من غير حرب سوى قتل فارسهم»(٢).

ج: وقال الشيخ المفيد: «فتوجه العتب إليهم، والتوبيخ والتقريع، والخطاب. ولم ينج من ذلك أحد بالإتفاق إلا أمير المؤمنين «عليه السلام»، إذ كان الفتح له، وعلى يديه. وكان قتله عمرواً ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين»(٣).

---

(١) تاريخ مختصر الدول ص٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٥ ص٧.

(٣) الإرشاد ص٦٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٣٩ و ٣٩٧.

د: ويقولون أيضاً: «وفر عكرمة، وهبيرة، ومرداس، وضرار، حتى انتهوا إلى جيشهم، فأخبروهم قتل عمرو ونوفل، فتوهن من ذلك قريش، وخاف أبو سفيان. وكادت أن تهرب فزارة، وتفرقت غطفان»[١].

هـ: تقدم عن علي «عليه الصلاة والسلام»: أنه قال عن قتله لعمرو بن عبد ود يوم الأحزاب: «فهزم الله قريشاً والعرب بذلك، وبما كان مني فيهم من النكاية»[٢].

و: روي عن ابن مسعود: أنه كان يقرأ: ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بعلي[٣].

---

(١) تاريخ الخميس ج١ ص٤٨٧ و ٤٨٨ عن روضة الأحباب.

(٢) الخصال ج٢ ص٣٦٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٤ والإختصاص للمفيد ص١٦٧ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٦٤ وغاية المرام ج٤ ص٣١٩.

(٣) راجع: الدر المنثور ج٥ ص١٩٢ عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر وينابيع المودة ص٩٤ و ٩٦ و ١٣٧ و (ط دار الأسوة) ج١ ص٢٨١ و ٢٨٣ عن المناقب، وأبي نعيم، ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٤ والإرشاد للمفيد ص٦٢ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٥ و ٣٢٤ وروضة الواعظين ص١٠٦ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص٣٢٣ والبحر المحيط ج٧ ص٢٢٤ وروح المعاني ج٢١ ص١٧٥ وكشف اليقين ص١٣٤ وكفاية الطالب ص٢٣٤ ومجمع البيان ج٨ ص٣٥٠ و ٣٣٤ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص١٣٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص١٩٦ و ٢٠٥ و ٢٥٩ وج٤١ ص٨٨ ومستدرك سفينة البحار ج٨ =

فكلمة: بعلي ليست من القرآن، وإنما هي زيادة تفسيرية للآية، للتأكيد على نزولها في أمير المؤمنين «عليه السلام».

وما أكثر القراءات التفسيرية هذه، فراجع كتابنا: «حقائق هامة حول القرآن الكريم».

ز: عن ابن عباس: كفاهم الله القتال يوم الخندق، بعلي بن أبي طالب، حين قتل عمرو بن عبد ود[1].

= ص٤٥٤ والتبيان للطوسي ج٨ ص٣٣١ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص١٧٥ وميزان الإعتدال ج٢ ص٣٨٠ وإكمال الكمال ج٧ ص٦٧ وتفسير جوامع الجامع ج٣ ص٥٨ وشواهد التنزيل (ط وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية) ج٢ ص٧ و ٨ و ٩ ونهج الحق ص١٩٩ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج٢ ص٤٢٠ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص٣٠٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣ ص٣٧٦ ـ ٣٨٠ وج١٤ ص٣٢٧ ـ ٣٢٩ وج٢٠ ص١٤٠ عن مصادر تقدمت، وعن المصادر التالية: معارج النبوة للكاشفي ج١ ص١٦٣ ومناقب مرتضوي ص٥٥ ومفتاح النجا للبدخشي (مخطوط) ص٤١ وتجهيز الجيش ص٨١ (مخطوط) ودر بحر المناقب (مخطوط) ص٨٥ وأرجح المطالب ص٧٥ و ١٨٦.

(١) شواهد التنزيل (ط وزراة الثقافة والإرشاد الإيرانية) ج٢ ص١٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٢٨٤ عن الإسكافي، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٤ ص٣٢٩.

وذكر القمي أيضاً: نزول الآية في علي فراجع أيضاً(١).

وكذا روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»(٢).

ح: تقدم في الفصل السابق قول الحافظ يحيى بن آدم، أو جابر بن عبد الله الأنصاري: ما شبهت قتل علي عمرواً إلا بقوله تعالى: ﴿**فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ**﴾(٣).

ط: قال الشيخ المفيد: «وقال رسول الله بعد قتله هؤلاء النفر (يعني: عمرواً وأصحابه): الآن نغزوهم ولا يغزوننا»(٤).

وعند المعتزلي الشافعي: أنه «صلى الله عليه وآله» قال عند قتل عمرو:

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص١٨٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٣٣ وراجع: شجرة طوبى ج٢ ص٢٨٩.

(٢) ينابيع المودة ص٩٦ و (ط دار الأسوة) ج١ ص٢٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٣٤ وبحار الأنوار ج٤١ ص٨٨ وغاية المرام ج٤ ص٢٧٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٠ ص١٤٠.

(٣) الآية ٢٥١ من سورة البقرة.

(٤) الإرشاد ص٦٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٨ وتفسير مجمع البيان ج٨ ص١٣٦ وتفسير الميزان ج١٦ ص٣٠٠ وتفسير الثعلبي ج٨ ص٣٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٣٢ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٢٩٦ وإعلام الورى ج١ ص٣٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢١ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٨٩.

«ذهبت ريحهم، ولا يغزوننا بعد اليوم، ونحن نغزوهم إن شاء الله»(١).

أشجع الأمة:

قال المحقق التستري: تدل الآية بناء على قراءة ابن مسعود: «على كون علي أشجع من كل الأمة، وأنه تعالى به «عليه السلام» كفى شر العدو عنهم يوم الأحزاب، فيكون أفضل منهم، ﴿**وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً**﴾(٢)»(٣).

وقال المظفر: «..فمنه حياة الإسلام والمسلمين، ولولا أن يكفيهم الله تعالى القتال بعلي لاندرست معالم الإسلام، لضعف المسلمين ذلك اليوم، وظهور الوهن عليهم الخ..»(٤).

الآن نغزوهم ولا يغزوننا:

وعن قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد قتل عمرو، أو بعد رحيل الأحزاب: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، أو نحو ذلك(٥).**نقول:**

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٣ وج٣٩ ص٤.

(٢) الآية ٩٥ من سورة النساء.

(٣) إحقاق الحق (الملحقات) ج٣ ص٣٨١.

(٤) دلائل الصدق ج٢ ص١٧٥.

(٥) راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٤ ص٥٤٩ عن أحمد، والبخاري، والبزار، والبيهقي، وأبي نعيم، وفتح الباري ج٧ ص٣١٢ والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥. =

كان المشركون قد أشاعوا زوراً أنهم قد انتصروا في حرب أحد، وبدأوا بالإستعداد للجولة التالية، فحزبوا الأحزاب، وجمعوا الجموع، واتفقوا مع يهود قريظة، وشاركتهم القبائل الفاعلة في المنطقة مشاركة واسعة، طمأنت زعماء قريش، الذين حشدوا كل ما لديهم من قوى بشرية ومادية إلى أن الأمر سيحسم لصالحهم..

وزين لهم الشيطان أن المسألة أصبحت مسألة وقت.

وجاءوا بقضهم وقضيضهم، وحدهم وحديدهم، ففوجئوا بالخندق.. وبحسن إدارة الحرب.

وطاولهم المسلمون في الحرب، حتى ملوا، وواجهوا مشاكل مختلفة

= وراجع: ودلائل النبوة للبيهقي ج٣ ص٣٩٤ و ٤٥٧ و ٤٥٨ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٢ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٩ ص٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٥١ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢٨.

وراجع: صحيح البخاري ج٣ ص٢٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٥٨ و ٢٧٣ و ٢٠٩ والإرشاد للمفيد ص٦٢ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٧٨ وعيون الأثر ج٢ ص٦٦ وراجع ص٧٦ وحدائق الأنوار ج٢ ص٥٩٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٥ عن ابن إسحاق، ومجمع البيان ج٨ ص٣٤٤ وبهجة المحافل ج١ ص٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢١ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٢.

ومنها مشكلة البرد، ومشكلة التموين، ومشكلة الريح، ومشكلة الإرهاق، بسبب إستمرار الإستنفار، وغير ذلك، وفسد الأمر بينهم وبين بني قريظة..

ثم جاءتهم قاصمة الظهر بقتل علي «عليه السلام» فارسهم، وألحق به آخرين إلى درك الجحيم..

فآثروا الفرار على القرار، ورضوا بالخزي والعار على البوار والدمار، على يد حيدر الكرار «عليه السلام»، الذي كان الحق معه وكان هو مع الحق يدور معه حيثما دار.

فإذا كان هذا أكبر حشد وأقواه، من حيث العدد والعدة، وقد طار صيته في طول البلاد وعرضها، وتوقع الناس في أرجاء الجزيرة العربية، وربما في خارجها نتائجه، فإن النتائج التي عاد بها هذا الحشد كانت بمثابة زلزال هز المنطقة بأسرها من الأعماق، وبث الوهن والفشل في كل قلب، وزرع الرعب في كل بيت، وسقط عنفوان الشرك، وتزلزل جبروته..

وبذلك تكون قريش قد فقدت هيبتها، والكثير من نفوذها في المنطقة، وانفك الإرتباط بينها وبين القبائل المختلفة في طول البلاد وعرضها، فلم تعد هذه القبائل ترى نفسها ملزمة بالخط، أو بالموقف التي تريد قريش أن تلزمها به، ولم يعد بإمكان قريش إقناع الكثير من القبائل بالمخاطرة بمستقبلها، وبأمنها، وبعلاقاتها مع المسلمين..

كما أن فساد العلاقة بين بني قريظة والأحزاب قد أعطى الإنطباع بأن الإعتماد والرهان على التحالفات والتفاهمات لم يعد مُطَمئناً، بل هو رهان يكاد يكون على يباب وسراب.

ولا بد لقريش من أن ترضى على مضض بأن ترى القبائل تسعى لمد الجسور مع المسلمين، وترميم علاقاتها بهم، والتفاهم معهم في المجالات المختلفة. ما دام أن تيار الإسلام والمسلمين في حالة نمو وتعاظم مطرد في البلاد القريبة والبعيدة..

وظهر مصداق قوله «صلى الله عليه وآله»: بعد ما جرى: الآن نغزوهم ولا يغزوننا.

شهداء المسلمين، وقتلى المشركين:

في عدد الشهداء من المسلمين اختلاف ـ يبدأ من أربعة إلى ثمانية.

كما أن الأقوال في عدد قتلى المشركين تتراوح ما بين ثلاثة إلى ثمانية(١).

وقد قتل علي «عليه السلام» منهم حسب إحصائية ابن شهرآشوب خمسة، هم:

١ ـ عمرو بن عبد ود.

٢ ـ حسل بن عمرو بن عبد ود.

٣ ـ نوفل بن عبد الله بن المغيرة.

٤ ـ منبه بن عثمان العبدري.

---

(١) للإطلاع على هذه الأقوال وبعض مصادرها راجع كتابنا: الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» ج١١ ص٢٤٧ ـ ٢٤٩.

٥ ـ هبيرة بن أبي هبيرة المخزومي[(١)].

غير أننا نقول:

ألف: بالنسبة لشهداء المسلمين: لم يثبت لنا أنهم قتلوا في سياق معركة جرت.. إذ لا نحسب ان شيئاً من ذلك قد حصل..

إلا إن كان بعض الناس الذين كانوا يترددون بالقرب من جيش الأحزاب كانوا يصادفون دوريات المشركين في ذلك المحيط، فيوقع بهم المشركون..

كما أن ما يثير الشبهة هو هذا الترديد في عدد الشهداء بين ثلاثة إلى ثمانية.. والحال أن ضبط عددهم وأسمائهم، وأسماء قاتليهم، وسائر ما جرى لهم كان مطلوباً لمناوئي علي «عليه السلام»، لكي يخطفوا بعضاً من بهجة النصر الذي تحقق على يد علي «عليه السلام»، ويقللوا من أهميته، بإيجاد شركاء له في الجهاد والتضحية..

ب: بالنسبة لعدد القتلى من المشركين أيضاً نقول: لقد عجز التاريخ عن الإفصاح بغير من قتلهم علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويبقى ما عدا ذلك في حيز الإدعاءات التي لا مجال لإثباتها.

ج: تقدم: أن قتل هبيرة موضع شك، مع أن ابن شهرآشوب قد عده في جملة من قتلهم علي «عليه السلام»..

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٨٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٥٥ وبحار الأنوار ج٤١ ص٦٦.

الفصل الخامس:

علي عليه السلام في غزوة بني قريظة..

علي عليه السلام في بني قريظة:

قالوا: لما عاد النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمون إلى المدينة جاءه جبرئيل مباشرة يأمره بالمسير إلى بني قريظة، وكان حينئذ ـ كما يبدو ـ في بيت فاطمة «عليه السلام»، وأنفذ علياً «عليه السلام» في ثلاثين من الخزرج، قال المفيد والأربلي وغيرهما: وقال له: انظر إلى بني قريظة، هل تركوا حصونهم؟!

فلما شارف حصونهم سمع منهم الهُجْر، فعاد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فأخبره، فقال: دعهم، فإن الله سيمكن منهم. إن الذي أمكنك من عمرو بن عبد ودّ لا يخذلك، فقف حتى يجتمع الناس إليك، وأبشر بنصر الله، فإن الله قد نصرني بالرعب بين يدي مسيرة شهر.

قال علي «عليه السلام»: فاجتمع الناس إلي، وسرت حتى دنوت من سورهم، فأشرفوا عَلَيّ، فلما رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو.

وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو.

وجعل بعضهم يصيح ببعض، ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب، وسمعت راجزاً يرتجز:

قتل علي عمرواً صاد علي صقراً

قصم علي ظهراً أبرم علي أمراً

هتك علي ستراً

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك.

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قال لي حين توجهت إلى بني قريظة: سر على بركة الله، فإن الله قد وعدك (وعدكم) أرضهم وديارهم.

فسرت مستيقناً لنصر الله عز وجل حتى ركزت الراية في أصل الحصن، (وجعل «صلى الله عليه وآله» يسرّب إليه الرجال)، واستقبلوني في صياصيهم، يسبون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما سمعت سبهم له «عليه السلام» كرهت أن يسمعه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فعملت على الرجوع إليه، فإذا به «عليه السلام» قد طلع(١).

ثم ذكر المفيد «رحمه الله» حصار النبي «صلى الله عليه وآله» لهم خمسة وعشرين يوماً، ثم نزولهم على حكم سعد بن معاذ، ثم قال:

ولما جيء بالأسارى إلى المدينة حبسوا في دار من دور بني النجار، وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى موضع السوق اليوم، فخندق

---

(١) الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ج١ ص١٠٩ و ١١٠ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٦١ و ٢٦٢ وج٤١ ص٩٥ و ٩٦ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٤٥ و (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٥١ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢٠٧ و ٢٠٨ وكشف اليقين ص١٣٥.

فيها خنادق، وحضر أمير المؤمنين «عليه السلام» معه والمسلمون، فأمر بهم أن يخرجوا، وتقدم إلى أمير المؤمنين أن يضرب أعناقهم في الخندق. فأخرجوا أرسالاً، وفيهم حيي بن أخطب وكعب بن أسد، وهما ـ إذ ذاك ـ رئيسا القوم، فقالوا لكعب بن أسد، وهو يُذْهَبُ بهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟!

فقال: في كل موطن لا تعقلون، ألا ترون الداعي لا ينزع، ومن ذهب منكم لا يرجع، هو والله القتل.

وجيء بحيي بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه، فلما نظر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: أما والله ما لمت نفسي على عداوتك، ولكن من يخذل الله يخذل.

ثم أقبل على الناس، فقال: يا أيها الناس، إنه لا بد من أمر الله، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل. ثم أقيم بين يدي أمير المؤمنين علي «عليه السلام» وهو يقول: قتلة شريفة بيد شريف.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: «إن خيار الناس يقتلون شرارهم، وشرار الناس يقتلون خيارهم، فالويل لمن قتله الأخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأرذال الكفار».

فقال: صدقت، لا تسلبني حلتي.

قال: «هي أهون عَلَيّ من ذاك».

قال: سترتني سترك الله، ومد عنقه، فضربها علي «عليه السلام» ولم يسلبه من بينهم.

ثم قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لمن جاء به: ما كان يقول حيي وهو يقاد إلى الموت؟!

فقال: كان يقول:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

لجاهد حتى بلغ النفس جهدها وحاول يبغي العز كل مقلقل

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»:

لقد كان ذا جد وجد بكفره فقيد إلينا في المجامع يعتل

فقلدته بالسيف ضربة محفظ فصار إلى قعر الجحيم يكبل

فذاك مآب الكافرين ومن يكن مطيعاً لأمر الله في الخلد ينزل[(١)]

الراية واللواء مع علي عليه السلام:

روي عن جعفر بن محمد، عن أبيه «عليهما السلام»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث علياً «عليه السلام» يوم بني قريظة بالراية، وكانت سوداء تدعى العقاب، وكان لواؤه أبيض[(٢)].

---

(١) الإرشاد للمفيد ص٦٥ و (ط دار المفيد) ج١ ص١١١ ـ ١١٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٦٢ ـ ٢٦٤.

(٢) قرب الإسناد ص٦٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ص١٣١ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٦ عنه، ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص١٤٤ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص١١٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص١١٥ ومستدرك=

وقال ابن إسحاق: «وقدَّم رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة»(١).

وصرح القمي: بأنها كانت الراية العظمى(٢).

= سفينة البحار ج٤ ص٢٥٧ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٠٩.

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٥ وعيون الأثر ج٢ ص٥٠ و ٦٩ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧١٦ وتفسير فرات (ط سنة ١٤١٠ هـ. ق) ص١٧٤ ومجمع البيان ج٨ ص٣٥١ وجامع البيان ج٢١ ص١٨١ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٧ و ٢١٠ وإمتاع الأسماع ج٨ ص٣٧٦ وراجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ و ٤٩٤ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١١.

وراجع ايضاً: تاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٨٥ ووفاء الوفاء ج١ ص٣٠٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٣ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٥٩ ونور اليقين ص١٦٦ ومحمد رسول الله وأثره في الحضارة ص٢٤٥ وفقه السيرة للغزالي ص٣٣٨ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٤٦ والثقات ج١ ص٢٧٤ وجوامع السيرة النبوية ص١٥٣.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص١٨٩ و ١٩٠ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٣٣ و ٢٣٤ عنه.

وقال البعض: وخرج علي بالراية، وكانت على حالها لم تطو بعد[1].

ويظهر من روايات أخرى: أن راية المهاجرين أيضاً كانت مع علي «عليه السلام»..

فقد روي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» دعا علياً، فقال: قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة، فقام علي «عليه السلام»، ومعه المهاجرون، وبنو عبد الأشهل، وبنو النجار كلها، لم يتخلف عنه منهم أحد[2].

ويظهر من روايات أخرى: أنه «صلى الله عليه وآله» قد دفع إلى علي اللواء أيضاً، فهي تقول:

«فدعا «صلى الله عليه وآله» علياً فدفع إليه لواءه. وكان اللواء على حاله، لم يحل من مرجعه من الخندق، فابتدر الناس»[3].

وفي نص آخر: وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحمل لواءه علي

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي ج١ ص١٢١.

(٢) إعلام الورى (ط سنة ١٣٩٠ هـ. ق) ٩٣ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٩٥ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٢ و ٢٧٣ عنه، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٢.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٧ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤١ و ٢٤٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٢٤٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٧٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٥٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٣ وراجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣.

بن أبي طالب[١].

وعن عروة بعث علياً «عليه السلام» على المقدمة، ودفع إليه اللواء، وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أثره[٢].

وجمع نص آخر بين اللواء والراية فهو يقول: «وكان علي قد سبق في نفر من المهاجرين والأنصار فيهم أبو قتادة.. وغرز علي الراية عند أصل الحصن.

إلى أن قال أبو قتادة: وأمرني أن ألزم اللواء فلزمته، وكره أن يسمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» أذاهم وشتمهم»[٣].

---

(١) الثقات ج١ ص٢٧٤ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٥ وعيون الأثر ج٢ ص٦٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٧.

(٢) عمدة القاري ج٧ ص١٩٢ عن الحاكم، والبيهقي، وموسى بن عقبة، وفتح الباري ج٧ ص٣١٨ عنهم، والمواهب اللدنية ج١ ص١١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٠ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٥٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٤ ومجمع البيان ج٨ ص٣٥١ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢١٠ عنه.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٤٩٨ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٠ ص٥٩٩ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥ وراجع أيضاً: السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤٢ و (ط دار الكتب العلمية) ص٢٤٥ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٣ و ٤٩٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٩ ص٩٢.

ونقول:

لا بأس بالإشارة إلى ما يلي:

الحرب خدعة:

وذكروا: أن علياً «عليه السلام» قال: إن الحرب خدعة، واستشهد على ذلك بأن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي أوقع الخلاف بين بني قريظة، وجيش الأحزاب، فإنه حين بلغه أن بني قريظة بعثوا إلى أبي سفيان: إذا التقيتم أنتم ومحمد، أمددناكم وأعناكم، خطب فقال: إن بني قريظة بعثوا إلينا: أنا إذا التقينا نحن وأبو سفيان أمددونا وأعانونا..

فبلغ ذلك أبا سفيان، فقال: غدرت يهود، فارتحل عنهم(١).

ويستوقفنا في هذه الرواية:

أولاً: أن الضمير في هذه الرواية في قوله: فارتحل عنهم يرجع إلى المسلمين، وهذا معناه: أن فساد الأمر بين بني قريظة وبين أبي سفيان قد حصل قبل قتل عمرو بن عبد ود.

مع أن ذلك لا يستقيم، فإن ارتحال أبي سفيان كان بعد ذلك، وقتل

---

(١) راجع: قرب الإسناد ص٦٣ و (ط مؤسسة آل البيت) ص١٣٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٦ عنه، وج٩٧ ص٣١ وج١٠٠ ص٣١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص١٣٤ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص١٠٢ و ١٠٣ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص١٥٢ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج٣ ص٢٧٠.

عمرو بن عبد ود كان هو السبب في ارتحالهم.

ثانياً: ظاهر هذه الرواية: هو أن ارتحال أبي سفيان والأحزاب كان بسب فساد الأمر بين أبي سفيان وبين بني قريظة، مع أن السبب هو قتل عمرو بن عبد ود ومن معه من الفرسان، لأجل ما أصاب الأحزاب من رعب وخوف.

ثالثاً: إن كان الضمير في قوله: فارتحل عنهم يرجع إلى بني قريظة: فهو لا يستقيم أيضاً، لأن أبا سفيان لم ينزل عليهم، ولم يكن عندهم، وإنما بلغه كلام النبي «صلى الله عليه وآله» وهو في جيشه الذي كان عند الخندق..

على أنه لو كان قد قصد بني قريظة لينسق معهم، فبلغه كلام النبي «صلى الله عليه وآله».. فالسؤال هو:

كيف علم بخطبة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وهل لحقه لاحق إلى هناك وأخبره؟!

وإذا كان قد حصل ذلك، فلماذا لم يطالبهم؟! وإذا كان قد طالبهم، فبماذا أجابوه؟! ولِمَ لم يقبل منهم؟!

إن ذلك لم يتضح لنا من نص الرواية المذكورة.

والسؤال الأهم هو: إذا كان قد اتفق مع بني قريظة، وبلغ خبر الإتفاق إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فما الحاجة إلى الذهاب إليهم مرة أخرى؟!

وإذا كان لم يتفق بعد معهم، فلا معنى لقول الرواية: إنه بلغ رسول الله اتفاقهم على كذا، إذ لم يكن هناك اتفاق أصلاً..

رابعاً: المعروف: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان إذا أراد غزوة ورّى بغيرها، وهذا معناه: أنه «صلى الله عليه وآله» ينزه نفسه حتى عن الكذب الجائز، كالكذب في الحرب، إذ ليس كل جائز يليق أن يصدر من النبي والرسول، لأن الناس إذا رأوا النبي يكذب فيما يجوز، فإنهم يستحلون الكذب فيما لا يجوز أيضاً.

لماذا علي عليه السلام؟! ولماذا الخزرج؟!:

وقد ذكر النص المتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل في أول الأمر علياً «عليه السلام» في ثلاثين من الخزرج، وقال له: انظر بني قريظة هل تركوا حصونهم؟!

فهنا أمور، لا بد من فهمها، هي:

١ ـ إرسال علي «عليه السلام».

٢ ـ اختيار الخزرج دون غيرهم.

٣ ـ اختيار ثلاثين رجلاً.

٤ ـ توقع أن يترك بنو قريظة حصونهم.

ونوضح ذلك بما يلي:

ألف: إرسال علي عليه السلام:

بالنسبة لاختياره «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» لهذه المهمة نقول:

قد ظهر سببه من حال بني قريظة، حيث أرعبهم مجيء علي، وانبهروا

بحضوره، ونادى بعضهم: جاءكم قاتل عمرو، ثم ما كان من تصايحهم، وخوفهم..

ب: إختيار الخزرج:

وعن سبب اختيار الخزرج نقول:

إن بني قريظة كانوا أو أكثرهم يميلون إلى الأوس، لوجود حلف بينهم، كانوا يظنون أنه سيفيدهم في الحالات الصعبة، ولا أصعب من هذه الحالة، ولأجل ذلك رفضوا النزول على حكم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورضوا بالنزول على حكم سعد بن معاذ، الأوسي.

فاختيار الخزرج دون أن يكون معهم أوسي واحد، ولا مهاجري واحد، يشير إلى تعمد هذا الإختيار، وإلى أن أمرهم عند النبي «صلى الله عليه وآله» شديد، وأنه سوف لا يتسامح معهم، وأنه لن تنفع فيهم الشفاعات، ولا مجال لمراعات الخواطر في أمرهم..

ولو أنه خلطهم بغيرهم، ولو من المهاجرين، فلربما يخيل إليهم أن انضمام الخزرج ولو بكثرة لا يشير إلى شيء من ذلك، لأنه قد يكون عفوياً..

ج: ثلاثون رجلاً:

ومما ذكرناه آنفاً يظهر الوجه في تكثير عددهم إلى ثلاثين، إذ لو كان العدد قليلاً: خمسة، أو ستة أو أكثر أو أقل مثلاً، لتخيلوا أن كونهم خزرجيين قد جاء على سبيل الصدفة، لحضورهم في المجلس مثلاً، أو لرابطة شخصية تدفع بعضهم للإلتحاق بالبعض الآخر، أو لغير ذلك من

أسباب..

على أن طبيعة المهمة المعلنة لم تكن تحتاج إلى أكثر من رجل أو رجلين لإنجازها، إذ كان يكفي أن يذهب قلة قليلة ليتحسسوا أمر بني قريظة، ليعرفوا إن كانوا في حصونهم، أو خرجوا منها. ولا يجب أن يراهم بنو قريظة!!.

ولكنه «صلى الله عليه وآله» أراد لبني قريظة أن يروا هذه الكثرة، وأن يلتفتوا إلى خصوصيتها الخزرجية..

د: ترك الحصون:

ويبقى هنا سؤال يقول: إن الأمر الطبيعي هو أن يستقر الإنسان في بيته، وفي حصنه، وفي أرضه، فما هو المبرر إذن لتوقع النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكون بنو قريظة قد تركوا حصونهم ـ وقد قال: «تركوا» ولم يقل: خرجوا.

ونجيب:

بأن بني قريظة قد نقضوا العهد باتفاقهم مع المشركين على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانوا على يقين من أن نتيجة الحرب ستكون لصالح أهل الشرك، وأنهم سوف يتمكنون بمعونة بني قريظة من استئصال شأفة أهل الإيمان، وقتل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وخيار أصحابه..

فهم قد أقدموا على أمر كانوا قد تعاهدوا مع الرسول على عدم الإقدام عليه، فإن فعلوا ذلك فلا بد من الإنتقام منهم بمثل الفعل الذي أقدموا عليه، وسعوا إلى تحقيقه، وهو الإستئصال، والإخراج من الأرض، والقتل،

وما إلى ذلك.. فللنبي «صلى الله عليه وآله» أن يتوقع منهم أن يتركوا حصونهم، ويهربوا إلى أرض أخرى..

فمقامهم في حصونهم يعد تحدياً سافراً ووقحاً، إمعاناً في البغي، والتجني.. لا سيما وأنها حصون يتمنعون بها ممن أعلنوا أنهم يسعون إلى قتلهم واستئصالهم.

فإن أمكن تبرير البغض والعداوة الدينية أو الثأرية، ولو بما هو غير مقبول ولا معقول، فإن تضحيتهم بالقيم، بارتكابهم جريمة الغدر، ونقض العهود، لا يمكن تبريرها، فكيف إذا جعلوا تلك القيم ثمناً لارتكاب جريمة استئصال مَنْ حَفِظَهم، وراعى جانبهم، ورضي بالتعامل معهم. الأمر الذي يزيد في قبح هذه الجريمة وبشاعتها وفظاعتها..

فكيف إذا كان من يريدون قتله واستئصاله هو نبي الله، وأنهم يفعلون ذلك سعياً منهم في إطفاء نور الله، وإبطال دينه، وسد أبواب الهداية الإلهية للبشر..

ثم إنهم أمعنوا في بغيهم وعداوتهم حين بادروا إلى إظهار الكلام القبيح في حق رسول «صلى الله عليه وآله»، رغم أن المفروض بالمذنب والمعتدي، والناكث للعهود أن يستحي من نفسه، وأن يظهر الندم على ما بدر منه.

الدليل الحسي:

وقد استفاد النبي «صلى الله عليه وآله» من الدليل والشاهد الحسي للبرهنة على ما يخبر به هنا عن المستقبل، وذلك حين قال لعلي «عليه

السلام» عن بني قريظة: دعهم، فإن الله سيمكن منهم، إن الذي أمكنك من عمرو بن عبد ود لا يخذلك إلخ..

وكان «عليه السلام» على يقين من ذلك، ولكنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يسمع الناس ذلك، ويفهمهم: أن لله عناية خاصة بعلي «عليه السلام».. وأن قتل عمرو بن عبد ود إنما هو بتمكين من الله تعالى.. وأنه «عليه السلام» موفق من الله تعالى، وغير مخذول.. وأن مصير بني قريظة هو أن يمكن الله منهم علياً «عليه السلام»، مقتصراً على ذكر علي «عليه السلام»، ولم يضف إليه أحداً، فلم يقل سيمكنني، أو يمكننا، أو يمكن المسلمين أو المؤمنين منهم..

وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن علياً وحده سيأتي بالنصر على بني قريظة، ولن يشاركه فيه أحد.

ويدل على ذلك أيضاً: قوله «صلى الله عليه وآله» لعلي بعد ذلك: سر على بركة الله، فإن الله قد وعدك أرضهم وديارهم.

ومعنى هذا: أن بني قريظة كانت خالصة لعلي «عليه السلام» لأنه فتحها وحده، ولكن رواية ابن شهرآشوب تقول: «وعدكم أرضهم إلخ..».

وهي لا تنافي ما ذكرناه، فإن الله وعد المسلمين أرضهم، ولكن على يد علي «عليه السلام»..

الأوس.. والمهاجرون:

قال الطبرسي، وكذا ابن شهرآشوب: «فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»، فقال: قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة.

فقام علي «عليه السلام»، ومعه المهاجرون، وبنو عبد الأشهل، وبنو النجار كلهم لم يتخلف عنه منهم أحد[1]..

فيلاحظ هنا ما يلي:

ألف: تقديم راية المهاجرين:

إن تقديم راية المهاجرين، معناه: أن يتبعها، ويحيط بها المهاجرون أنفسهم، وليذكّر بني قريظة بأنهم قد نقضوا عهدهم، وجروا البلاء لأنفسهم، وأرادوا أن يشاركوا أهل مكة في استئصال محمد «صلى الله عليه وآله» ومن معه، والقضاء على دينه.

وهؤلاء من أهل مكة أيضاً، وعلى رأسهم ابن شيخ الأبطح، وأنبل وأفضل رجل في مكة.. وقد جاء ليفعل بهم نفس ما أرادوا هم وأهل مكة أن يفعلوه بالمسلمين..

---

(١) إعلام الورى (ط سنة ١٣٩٠ هـ) ص٩٣ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٩٥ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٥١ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٧٢ و ٢٧٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٢.

ب: بنو عبد الأشهل:

وهؤلاء حلفاؤهم، الأوسيون: ومنهم بنو عبد الأشهل، وهم أحد جناحي المدينة، والذين يأملون أن يجدوا لديهم بعض الرأفة، أو الميل لمساعدتهم، قد جاؤوا أيضاً لحربهم، بل كانوا في طليعة المبادرين لهذه الحرب، ولا بد أن يؤلمهم ذلك غاية الإيلام، وسيزرع ذلك الحسرة والخيبة واليأس في قلوبهم.

د: بنو النجار:

وهؤلاء بنو النجار، وهم من الجناح الآخر في المدينة، فإنهم من الخزرج، قد جاءوا أيضاً لينتقموا منهم، ولن يجدوا فيهم إلا الغلظة والشدة، ولا شيء يمنعهم من ذلك، أو يخفف من غلوائهم فيه..

إذا رأوني لم يقولوا شيئاً:

ويقول المؤرخون: قدَّم رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب برايته (العظمى) إلى بني قريظة، وابتدرها الناس.

فسار حتى دنا من الحصون، فسمع منها مقالة قبيحة لرسول الله، فرجع حتى لقي النبي «صلى الله عليه وآله» في الطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابيث

(**وفي نص آخر**: ارجع يا رسول الله، فإن الله كافيك اليهود).

قال: لِمَ؟! أظنك سمعت منهم لي أذى.

قال: نعم يا رسول الله.

قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً.

فلما دنا منهم (زاد في نص آخر: أمرهم «صلى الله عليه وآله» أن يستروه بجحفهم، ليقوه الحجارة، حتى يسمع كلامهم، ففعلوا)، فناداهم: يا إخوان القردة (والخنازير)، هل أخزاكم الله، وأنزل بكم نقمته؟!

فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً (أو: ما كنت فاحشاً) الخ..»[١].

ونقول:

أولاً: لم نفهم الوجه في قوله «صلى الله عليه وآله» لبني قريظة: هل أخزاكم الله، وأنزل بكم نقمته؟! فإن شيئاً من ذلك لم يحصل حتى تلك اللحظة، فإنهم كانوا لا يزالون في حصونهم، ولم يقع بينهم وبين أحد قتال

---

(١) عيون الأثر ج٢ ص٦٩ وراجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٤٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٣ ومجمع البيان ج٨ ص٣٥١ وراجع: بحار الأنوار ج٢٠ ص٢١٠ و ٢٧٢ و ٢٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٥٥ و ٢٥٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٢٦ و ٢٢٨ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٧٠ وراجع: دلائل النبوة لأبي نعيم ص٤٣٨.

وراجع المصادر التالية: إعلام الورى ص٩٣ ومحمد رسول الله سيرته وأثره في الحضارة ص٢٤٥ و ٢٤٦ والبداية والنهاية ج٤ ص١١٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٢ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٤٥ وحياة محمد لهيكل ص٣٠٦ والتفسير السياسي للسيرة ص٢٧٩ وجوامع السيرة النبوية ص١٥٣ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٤٦.

ولا هزيمة ولا نصر..

وقد كان بإمكانهم أن يجيبوه بالنفي، بأن يقولوا: نحن في حصوننا، ولم يتغير علينا شيء، ويمكنهم أن يدَّعوا أن خذلان قريش لهم لا يعني نزول النقمة بهم.. بل قد يدعون أنه إذا وقعت الحرب، فسيكون النصر لهم، أو نحو ذلك..

إلا إذا كان «صلى الله عليه وآله» يقول لهم ذلك على سبيل التوقع بحصوله، ولفت نظرهم إليه..

ثانياً: قوله في الرواية: «إذا رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً» لا ينسجم مع ما جاء من أنهم «أشرفوا عليه وسبوه، وقالوا: فعل الله بك، وبابن عمك وهو واقف لا يجيبهم»[1].

ثالثاً: إن ما قاله لهم النبي «صلى الله عليه وآله» لم يتضمن فحشاً، ولا سباً، ولا جهالة.. بل هو أراد أن يحذرهم من أن يصيبهم ما أصاب فئة من قومهم، ومن بني إسرائيل، كان الله تعالى قد مسخهم قردة وخنازير، فعليهم أن لا يسيروا على نفس الخط، وأن لا يصروا على نهجهم، ولا يعملوا مثل عملهم، حتى لا ينتقم الله منهم كما انتقم من أولئك.

فهذا الموقف منه «صلى الله عليه وآله» في غاية الحكمة والدقة، وليس فيه جهالة، ولا ما يوجب الإستحياء، ولا ما يستوجب سقوط العَنَزَةَ من

---

(١) إعلام الورى (ط سنة ١٣٩٠ هـ) ص٩٣ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٩٥ وبحار الأنوار ص٢٧٢ و ٢٧٣.

يده، والرداء عن ظهره كما زعموا.

مبررات لحقد بني قريظة:

تقدم: أن بني قريظة حين جاءهم النبي «صلى الله عليه وآله»: «سبوه، وقالوا: فعل الله بك، وبابن عمك».

ونقول:

إن سبب حقد بني قريظة على علي «عليه السلام»، والدعاء عليه، هو ما فعله بإخوانهم من بني النضير وبني قينقاع، يضاف إلى ذلك: رؤيتهم آمالهم تتبخر على يديه، بما سجله من نصر مؤزر على أهل الشرك، بقتل أعظم فرسانهم في الخندق، بالإضافة إلى ما فعله فيهم في أحد وبدر قبل ذلك..

ثم هم يتوقعون أن يواجهوا مصيرهم الأسود على يديه المباركتين..

ولا بد أنهم قد لاحظوا: أن سائر من كان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن له أثر يذكر في أي من المواقف الصعبة، بل ربما كان أثر بعضهم سلبياً وخطيراً على الإسلام وعلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أحيان كثيرة.. فعلي «عليه السلام» هو المحور، وهو الأساس بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

علي عليه السلام يحمد الله:

ويلاحظ هنا: أن علياً «عليه السلام» لم يفرح بغير رضا الله تبارك وتعالى، ولم ينسب ما جرى على يديه إلى نفسه، فلم يقل: انتصرت على عدوي، بل قال: إن الله هو الذي فعل هذا.

كما أنه «عليه السلام» لم يكن في جهاده هذا وموقفه ذاك يدافع عن نفسه، ولا عن غيره من الناس، ولا عن أموالهم وأعراضهم.. وإنما كان يريد إظهار الإسلام، وقمع الشرك..

ولم يكن يرى أنه حين حقق ذلك الإنجاز الكبير يستحق ثناءً، وحمداً، بل هو ينشئ الحمد كله لله تبارك وتعالى.. وهذا كله هو ما يفيده قوله «عليه السلام»: «الحمد لله الذي أظهر الإسلام، وقمع الشرك».

علي عليه السلام ينتصر بيقينه:

وقد صرح علي «عليه السلام» بأنه كان على يقين بالنصر، فقال: «فسرت مستيقناً لنصر الله عز وجل، حتى ركزت الراية في أصل الحصن..».

فهو لم يقل مستيقناً بالنصر، بل نسب النصر إلى الله. كما أنه أراد أن يعلم الناس باستيقانه بالنصر، ليكون درساً لهم، لتضمنه التدليل على تسليمه وتصديقه لرسول الله «صلى الله عليه وآله». وهذا يجب أن يكون شيمة كل مسلم.

علي عليه السلام ضرب أعناقهم:

ذكرنا أكثر من مرة، ولا سيما في غزوة بدر أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقدم أهل بيته في الحروب، ويعرضهم للأخطار لأكثر من سبب، وهو هنا يأمر علياً بأن يتولى قتل بني قريظة بعد أخذهم، جزاء إجرامهم الذي لم يقف عند حد..

وسبب ذلك أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يحصر المشكلة

ويحاصرها، فهو يحصرها هنا وفي كل موطن في علي «عليه السلام»، فهو الذي قتل صبراً عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، ومعاوية بن المغيرة، وأبا عزة الجمحي، وبني قريظة.. وكل من استحق القتل، فأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بقتله!!

وذلك لأنه كان يعلم: أن العرب لا تنسى ثاراتها بسهولة، وهي تثأر من الغريم، ومن كل من له صلة به، ولم يكن يمكن إشاعة الثارات بين القبائل، لأن ذلك سيؤدي إلى انفراط عقد المجتمع الإسلامي وتمزقه، وتلاشي كل نبضات الحياة فيه، ولم يكن غير علي قادراً على تحمل ذلك.. والتعامل معه بحكمة وروية.. فآثر حصر هذا الموضوع فيه «عليه السلام»، وهكذا كان..

الخيار يقتلون الأشرار:

وتقدم: أن حيي بن أخطب أقيم للقتل بين يدي أمير المؤمنين وهو يقول: قتلة شريفة بيد شريف.

فقال له علي «عليه السلام»: إن خيار الناس يقتلون شرارهم، وشرار الناس يقتلون خيارهم، فالويل لمن قتله الخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأراذل الكفار.

فقال: صدقت.

فنلاحظ:

١ ـ إعتراف هذا اليهودي بشرف علي «عليه السلام»، وبأن الشريف يقابله الشرير، وهذه شهادة منه على نفسه بأنه من الأشرار، وشهادة منه

لعلي بأنه من الأشراف.

وإذا كان قد صدَّق بالمعادلة التي أوردها علي «عليه السلام»، وهي أن الأشرار يقتلهم الأخيار، فإنه يكون قد اعترف أيضاً بأن علياً «عليه السلام» من الأخيار..

٢ ـ إن المعادلة التي أوردها علي «عليه السلام»، واعترف بصحتها ذلك اليهودي المعاند، رغم أن ذلك في غير صالحه.. هي معادلة واقعية وصحيحة، فإن الشرير يندفع لقتل الأخيار، لأنه يحقد عليهم ويعاديهم، لمنافرة حاله مع حالهم، ومناقضة واقعه وكل وجوده مع كل وجودهم وواقعهم، وهو يراهم حجر عثرة في طريقه، فيسعى لإزاحته والتخلص منه، لشدة أنانيته من جهة، ولحقده البالغ من جهة أخرى..

كما أن الأخيار حين يرون أن وجود الأشرار معناه إشاعة الموت والفناء والتلاشي، ويقضي على كل نبضات الحياة، ويهاجم مختلف مصادر الخير والعطاء، ويذهب بكل موجبات الفلاح والنجاح فيها، فإنه يندفع أيضاً لإزاحته من الطريق، لأنه يريد للبشرية أن تحيا، وللخير أن يستمر ويتنامى..

شكوك في حديث ابن أخطب:

أما ما ذكروه عن حيي بن أخطب، وشعر أمير المؤمنين، فهو موضع ريب أيضاً، يضاف إلى ذلك بعض الأمور الأخرى، التي نجملها في الملاحظات التالية:

الأولى: بالنسبة للشعر المنسوب إلى علي أمير المؤمنين «عليه السلام» نقول: إنه ليس في المستوى الذي يؤهله، لأن ينسب إلى أمير البيان، وسيد

الفصحاء والبلغاء، أمير المؤمنين «عليه السلام»، وذلك واضح بأدنى تأمل.

الثانية: إن التجاء حيي بن أخطب إلى القدر والقضاء لتبرير ما يتعرض له هو وبنو قريظة ليس له ما يبرره، إلا إرادة التبرير والتزوير للحقيقة. ومحاولة التنصل من المسؤولية، بإلقاء اللوم على الله سبحانه، الذي لم يأمره بأن يتآمر، ولا رضي منه أن ينقض العهود والمواثيق، ولا طلب منه ومن أصحابه أن يواجهوا النبي «صلى الله عليه وآله» بالحرب، وهم يعرفون صدقه، وصحة نبوته كما يعرفون أبناءهم، ويجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

وإذا كان لكلام حيي هذا أساس من الصحة، فصحته تكمن في أنه يبين أن الله سبحانه قد قدَّر على الباغي، والناكث، والمكذب للصادقين، وقتلة الأنبياء: أن يُقْتَل جزاء ذلك البغي، والنكث، والتكذيب.

الثالثة: ذكروا: أن جبل بن جوال الثعلبي هو الذي قال:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنه من يخذل الله يخذل[1]

ولكننا نرجح: أن يكون حيي بن أخطب نفسه هو الذي قال هذا الشعر كما ذكر البعض[2].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٢٣ .

(٢) تفسير القمي ج٢ ص١٩١ و ١٩٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٣٧ ومقاتل الطالبيين ص٣١٢ والإرشاد (ط دار المفيد) ج١ ص١١٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٤٥١ وفي دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٢٣ قال: «وبعض الناس يقول: حيي بن أخطب قالها» وكذا في الإصابة ج١ ص٢٢٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٥٦٣.

بل ذكرت بعض النصوص: أن علياً «عليه السلام» سأل الذي جاء بحيي: ما كان يقول وهو يقاد إلى الموت؟!

فقال: كان يقول:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يُخذل

فجاهد حتى أبلغ النفس جهدها وحاول يبغي العز كل مقلقل[1]

وهي بحيي أنسب منها بجبل بن جوال، خصوصاً إذا كان جبل قد أسلم قبل قتل حيي وبني قريظة، فإنه بعد أن أسلم لم يكن ليرثي حيي بن أخطب بهذه الأبيات.

الرابعة: إننا نلمح في هذه الروايات، كما هو في غيرها، قدراً من الاهتمام بإظهار مزيد من القوة والثبات لدى اليهود، والصبر على مواجهة المصاب الكارثة، ثم المزيد من التأكيد على أنهم قد اختاروا الموت كراماً على الخضوع لما يخالف قناعاتهم.. وهذا هو أحد سبل تزوير الحقيقة، وتشويه التاريخ الصحيح..

الفتح على يد علي عليه السلام:

قد تقدم: أن بني قريظة قد طارت قلوبهم رعباً من علي «عليه السلام» حين قدم إليهم، ونزيد هنا:

(١) بحار الأنوار ج٢٠ ص٢٦٣ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٨ والإرشاد للمفيد ص٢٦٥ و (ط دار المفيد) ج١ ص١١٢ والدر النظيم ص١٧٠.

ان الزبير بن بكار، يذكر لنا في كتاب المفاخرات نصاً يفيد: أنه قد جرى في قريظة كالذي جرى في خيبر.

فقد ذكر ابن بكار مناظرة جرت بين الإمام الحسن «عليه السلام» وبين عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، عند معاوية، فكان مما قاله لهم الإمام الحسن «عليه السلام»:

«وأنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون.. أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة، فنزلوا من حصنهم فهزموا، فبعث علياً بالراية، فاستنزلهم على حكم الله، وحكم رسوله، وفعل في خيبر مثلها»؟!(١).

وقال القاضي النعمان مشيراً إلى جهاد علي «عليه السلام» في بني قريظة: «وانصرف رسول الله صلوات الله عليه وآله على بني قريظة، فقتلهم، وسبى ذراريهم، وكان ذلك بصنع الله لرسوله صلوات الله عليه وآله، وللمسلمين، وبما أجراه الله على يدي وليّه علي صلوات الله عليه، وكان مقامه ذلك من أشهر المقامات وأفضلها»(٢).

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص٢٨٩ والغدير ج١٠ ص١٦٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٧٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٢١٢ وج٢٦ ص٥٤١.

(٢) شرح الأخبار ج١ ص٢٩٩ والإرشاد للمفيد ص٦٦ فإنه ذكر ما يقرب من هذا أيضاً.

تفاصيل يحسن الوقوف عليها:

ويروي المؤرخون: أنه لما تباطأ اليهود في إجابة طلب النبي «صلى الله عليه وآله» بالتسليم، والنزول على حكمه، صاح علي بن أبي طالب قائلاً: «يا كتيبة الإيمان».

وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: «والله، لأذوقن ما ذاق حمزة أو اقتحم (أفتحن) حصنهم».

(فخافوا، وقالوا: ننزل على حكم سعد).

فأرسل اليهود إلى حلفائهم من الأوس: أن يأخذوا لهم مثلما أخذت الخزرج لإخوانهم بني قينقاع الخ..»[1].

ونقول:

ليلاحظ القارئ: حشر اسم الزبير في هذا المقام!!

وقال ابن الحجاج:

أنا مولى الكرار يوم حنين والظبا قد تحكمت في النحورِ

---

(١) محمد رسول الله سيرته وأثره في الحضارة ص٢٤٧. وراجع المصادر التالية: السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٢٥٧ و ٢٥١ و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٢١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٦ وعيون الأثر ج٢ ص٧٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٣٤ وخاتم النبيين ج٢ ص٩٢٩ وتاريخ الإسلام السياسي ج١ ص١٢١ وذخائر العقبى ص٩٩ وإمتاع الأسماع ج٨ ص٣٧٧ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٢٦٦.

أنا مولى لمن به افتتح الإسـ ـلام حصني قريظة والنضير
والذي علم الأرامل في بدر على المشركين جز الشعور
من مضت ليلة الهرير وقتلاه جزافاً يحصون بالتكبير[1]

وسام الفتح:

ويحدثنا التاريخ: أن جماعة من الصحابة اعترضوا على أبي بكر على إقدامه على غصب الخلافة من علي بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله». وكان أول من تكلم منهم خالد بن سعيد بن العاص الأموي، فقال له: «اتق الله، وانظر ما تقدم لعلي بن أبي طالب، أما علمت أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لنا، ونحن محدقون به، وأنت معنا في غزاة بني قريظة، وقد قتل علي «عليه السلام» عدة من رجالهم.

(**وعند البياضي**: وقد قتل علي رجالهم.

وعند ابن طاووس: وقد قتل علي «عليه السلام» عشرة من رجالهم، وأولي النجدة منهم): وكان الذين يحدقون به «صلى الله عليه وآله» آنئذٍ: جماعة من ذوي القدر والشأن من المهاجرين والأنصار:

«يا معاشر قريش، إني أوصيكم بوصية فاحفظوها عني، ومودعكم أمراً، فلا تضيعوه، إن علي بن أبي طالب إمامكم من بعدي، وخليفتي

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص٩٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٥٦ وأعيان الشيعة ج٥ ص٤٣٤.

فيكم، وبذلك أوصاني جبرئيل عن الله عز وجل..»(١).

ونقول:

إننا نشير هنا إلى ما يلي:

١ ـ اتضح مما تقدم: أن القتال الذي حصل يوم فتح قريظة لم يكن مجدياً، بل كان مخزياً، إلا ما كان من قتال علي «عليه السلام»، فإنه هو الذي كان الفتح على يديه، دون كل أحد سواه، وذلك بعد أن بعث النبي «صلى الله عليه وآله» أكابر أصحابه إلى بني قريظة، فهزمهم بنو قريظة، تماماً كما جرى في خيبر..

٢ ـ إن قول القاضي النعمان عن علي «عليه السلام»: «وكان مقامه ذلك من أشهر المقامات» يثير الدهشة، حيث نرى أن هذا الأمر قد تم تجاهله، أو التعتيم عليه، حتى زال وتلاشى، وطمست معالمه فلم يعد يعرفه أحد.

وهذا يدل على أنه ثمة خيانة كبيرة تعرض لها تاريخ الإسلام الصحيح، وتاريخ النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليه السلام».

---

(١) راجع المصادر التالية: الإحتجاج (ط سنة ١٣١٣ هـ. ق) ج١ ص١٩٠ و ١٩١ و ٣٠٠ والصراط المستقيم ج٢ ص٨٠ و ٨٢ وقاموس الرجال ج٣ ص٤٧٦ و ٤٧٨ و ٤٧٩ والخصال ج٢ ص٤٦٢ و ٤٦٣ واليقين في إمرة أمير المؤمنين ص١٠٨ ـ ١١٠ عن أحمد بن محمد الطبري، المعروف بالخليلي، وعن محمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ في كتابه: مناقب أهل البيت «عليهم السلام» وبحار الأنوار ج٢٨ ص٢١٠ و ٢١١ و ٢١٤ و ٢١٩ ورجال البرقي ص٦٣ و ٦٤.

٣ ـ إن حشر إسم الزبير بن العوام في حديث إستسلام بني قريظة ليس له أي مبرر، فإن علياً «عليه السلام» هو الذي أرسله النبي بالراية إليهم، بعد إرسال أكابر أصحابه، وهو الذي تهدد بني قريظة بقوله: لأذوقن ما ذاق حمزة، أو أقتحم حصنهم، فخافوا ونزلوا على حكم سعد.

وهو «عليه السلام» الذي قتل عشرة من رجالهم، وأولي النجدة فيهم أو قتل رجالهم، وليس للزبير أي دور في ذلك.

ولأجل ذلك لم يقل أحد: إنه شارك في فتح بني قريظة، أو كان له أي نصيب فيه، بل خصصوا علياً دون سواه بهذا الفضل..

فإن كان للزبير دور فلعله دور الهزيمة، إن كان يُعْتَبَر من أكابر الأصحاب الذين يقول النص: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسلهم إلى بني قريظة، فهزموا، وذلك قبل أن يرسل علياً «عليه السلام» إليهم، فيفتح الله على يديه..

٤ ـ يبدو من النصوص أن ما جرى كان على هذا الترتيب: إن علياً «عليه السلام» قتل طائفة من رجال قريظة، وذوي النجدة فيهم، وهم عشرة فرسان، ثم حاصرهم النبي والمسلمون، ثم بعث «صلى الله عليه وآله» أكابر أصحابه إليهم، فنزلوا من حصنهم إليهم، فهزموهم.

ثم بعث علياً «عليه السلام» بالراية، فحاصرهم، وقهرهم، واستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، فنزلوا حتى حكم فيهم ابن معاذ، وفعل في خيبر مثلها، قال ابن واضح اليعقوبي: «وقتل من بني قريظة، ثم تحصنوا

فحاصرهم»[١].

وصية النبي ’ بالإمام والإمامة:

أما بالنسبة لوصية النبي «صلى الله عليه وآله» المسلمين بعدم تضييع إمامة علي «عليه السلام»، فنشير إلى ما يلي:

١ ـ إن هذه الوصية كانت بعد قتل علي «عليه السلام» فرسان بني قريظة.. ثم كان الفتح بعد ذلك على يده «عليه السلام».

٢ ـ إن الذين حضروا هذه الوصية يفترض أن يكونوا من المهاجرين، ومن الأنصار، ومن مختلف القبائل، ولكنه «صلى الله عليه وآله» وجه كلامه فيها إلى خصوص قريش، مما يدل على أنه يتوقع من قريش موقفاً ذا طابع معين، يريد منها أن تعيد النظر فيه، أو يريد أن يحرجها فيه، بإسماعه الآخرين أمراً يمكنهم مطالبتها به في الوقت المناسب.

وقد يكون «صلى الله عليه وآله» قد علم بالوحي، ويمكن أن يكون قد بلغه بأن لدى قريش نوايا معينة، تكونت، أو هي في طور التكوين تجاه ما سمعته من النبي «صلى الله عليه وآله» في حق علي في المواقف المختلفة عن المقام الذي حباه الله به، وأن ثمة رفضاً باطنياً لهذا الأمر.. وهذا ما دلت عليه نصوص عديدة..

٣ ـ إن هذه الوصية إنما تصبح ذات تأثير، ولها تبريرها المعقول والمقبول حين يكون علي «عليه السلام» قد حقق إنجازاً عظيماً عَجَزَ عنه

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٢.

المعنيون المخاطبون بهذه الوصية، وهم جماعة من ذوي القدر والشأن من المهاجرين والأنصار، وهم الذين لهم نفوذهم وكلمتهم المسموعة في الناس، إلى حد أن موقعهم هذا يجعلهم يطمحون إلى مواقع ومقامات، وإلى الحصول على إمتيازات لا يطمح لها، ولا يطمع بها غيرهم..

وهم الذين يتوقع منهم الإبتلاء بداء الحسد البغيض، لمن هو جدير حقاً بتلك المقامات والمناصب..

٤ ـ والإنجاز الذي حققه علي «عليه السلام» في هذه الغزوة كان عظيماً، وهذه الوصية ستكون أعظم نفعاً، وأشد وقعاً، لأن أولئك الطامحين ليس فقط قد أخفقوا للتوّ في تحقيق نفس ذلك الذي تحقق على يد من يحسدونه ويتآمرون عليه، وإنما هم قد مثلوا هذا الإخفاق وجسدوه ضمن خطيئة كبرى تجلب لهم العار في الدنيا والآخرة، وهي جريمة الفرار من الزحف الذي هو من عظائم الذنوب..

وإرتكاب هذه الخطيئة سوف يلجمهم، ولا يبقى لهم مجالاً للجهر بالإعتراض على هذا القرار الإلهي النبوي، ويحد من قدرتهم على تسميم الأفكار، وبلبلة الخواطر، والتشكيك في صوابية ما يريده الرسول منهم، ويأمرهم بمراعاته والإلتزام به.

٥ ـ إن تسجيل موقف في لحظة وقوع حدث هائل يجعل الإنسان أكثر انشداداً إليه، وذاكرته تصبح أكثر استعداداً للإحتفاظ به، كما أنه يعطيه بعداً مشاعرياً يميزه عما عداه.

ولذلك نلاحظ: أن خالد بن سعيد بن العاص لما رأى أن تلك الوصية

خولفت بادر إلى التذكير ، والمطالبة بالإلتزام بها.

٦ ـ لقد حصر «صلى الله عليه وآله» عواقب نقض تلك الوصية بثلاثة أمور، هي:

ألف: الإختلاف في الأحكام.

ب: اضطراب أمر دينهم عليهم.

ج: أن يليهم شرارهم.

وهي أمور خطيرة وحساسة، تلامس بصورة مباشرة سعادتهم في الدنيا والآخرة، لأن ولاية الأشرار تضر بأمنهم في الدائرة الأوسع: الأنفس والأعراض والأموال، ثم هي تفقدهم الثقة بسياسات حكامهم، وبسلامة نواياهم، وبصحة وصوابية قراراتهم، وتفقدهم القدرة على التخطيط السليم للمستقبل، وتضعهم في مهب رياح الأهواء، وتكون قراراتهم غبية، ومرتجلة، وعشوائية. وتتهيأ الفرصة لغيرهم ليتدخل في شؤونهم، ويتحكم في مصيرهم بما ينسجم مع مصالحه وأهوائه..

وذلك هو الخسران المبين في الحياة الدنيا..

كما أن إبعاد من نصبه الله ولياً، وإماماً، وحاكماً عن موقعه الطبيعي، يحرمهم من قسط كبير مما كان يمكن أن يوفره لهم من تربية وتعليم، وهداية، وتهذيب، وتزكية، كما أنه يؤدي بهم إلى الإختلاف في الأحكام، لأن ترك الإمام، وإبعاده عن مقامه يجعل الناس بمثابة غَنَمٍ غاب عنها راعيها، وفقدت في غابات الجهالات والضلالات حافظها وحاميها.

وسيجعلهم ذلك نهبة لكل ناهب، وطعمة لكل سالب، ولن ينتفعوا بما

يقدمه لهم الآخرون، لأن الآخرين لن يكونوا أحسن حالاً منهم، وليس لديهم ضمانة تجعلهم يأمنون من أن يقع من يريدون اللجوء إليه في الزلل، والخطأ، والخطل..

وسيجعلهم غير قادرين على معرفة الكثير الكثير من الحقائق والدقائق، والعلل، والمؤثرات، بل هم قد يفهمون الأمور على غير وجهها، فيقعون في فخ الجهل المركب، الذي لا يرحم، فيفهمون الخاص عاماً والعام خاصاً، والمطلق مقيداً، وعكسه، وتختلط عليهم الأمور، ويضيعون في متاهات الأهواء..

وقد روي عن الإمام الحسن «عليه السلام» عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «ما ولت أمة أمرها رجلاً قط، وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا..»(١).

والدلائل على ذلك كثيرة ووفيرة.

---

(١) أمالي الطوسي ج٢ ص١٧٢ و (ط دار الثقافة) ص٥٦٠ و ٥٦٦ والإحتجاج (ط دار النعمان) ج١ ص٢١٩ وج٢ ص٨ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٤٣ وج٣٠ ص٣٢٣ وج٣١ ص٤١٨ وج٤٤ ص٢٢ و ٦٣ وج٦٩ ص١٥٥ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٦٦ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٤٧ وج١١ ص٣٠ والعدد القوية ص٥١ وينابيع المودة ج٣ ص٣٦٩ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج١ ص٣٣٦ وج٢ ص٢٦٢ والتعجب للكراجكي ص٥٨ وحلية الأبرار ج٢ ص٧٧ و ٨٠ ومدينة المعاجز ج٢ ص٨٧ والغدير ج١ ص١٩٨ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٤٦٧ والدر النظيم ص٥٠٠ وصلح الحسن للسيد شرف الدين ص٢٨٧.

الدنيا تعير المحاسن وتسلبها:

وهناك أحداث جليلة تُبْذَل محاولات لنسبتها إلى من أثبتت الوقائع، وتضافرت الشواهد على أنه ليس أهلاً لها، وأمور رذيلة تبذل محاولات لنسبتها إلى من هو منزه عنها..

وقد لاحظنا: كيف أنهم ينسبون فضائل علي «عليه السلام» إلى غيره، مثل كونه أول من أسلم، وكونه قاتل مرحب، وغير ذلك، كما أنهم يحاولون نسبة بعض النقائص التي ابتلى بها غير علي إلى علي «عليه السلام»، حتى لقد ادعوا أن آية: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ**﴾(1) نزلت بحقه(2).

بل لقد قالوا عنه «عليه السلام»: إنه لا يصلي(3).

---

(١) الآية ٢٠٤ من سورة البقرة.

(٢) راجع المصادر التالية: النصائح الكافية ص٧٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص٧٣ والغارات للثقفي ج٢ ص٨٤٠ وفرحة الغري لابن طاووس ص٤٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٣٨٤ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٢١٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٨٦ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٦٣ وشجرة طوبى ج١ ص٩٧ والغدير ج١١ ص٣٠ وإكليل المنهج في تحقيق المطلب للكرباسي ص٢٩٠ وإحقاق الحق (الأصل) ص١٩٦ وسفينة النجاة للتنكابني ص٣٠٣ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج٢ ص١٥٦.

(٣) المعيار والموازنة ص١٦٠ وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج٤ =

وهذا مصداق قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «إذا أقبلت الدنيا على شخص أعارته محاسن غيره.. وإذا أدبرت سلبته محاسن نفسه»[١].

وربما يكون الهدف من نسبتها إلى هذا وذاك: تصغير شأن العظيم، وتفخيم شأن الحقير، وذلك بالتشكيك بصدور تلك الفضائل عن فاعلها الحقيقي ونسبتها إلى من يرغبون في تخصيصه بالفضائل والكرامات.. أو يراد إبعاد الشبهة عن المرتكب الحقيقي لبعض الرذائل، فينسبونها إلى من هو بريء منها، تعمداً للإساءة إليه، أو حسداً أو كيداً له، حيث يراد تلويث سمعته تارة، وإثارة الشبهة والريب في انتساب الإنجازات الكبرى التي حققها، إليه تارة أخرى..

وربما تجدهم من أجل هذا الغرض أو ذاك، وحيث لا يمكنهم الإنكار السافر ـ يكتفون بدس كلمة: وقيل: إن فلاناً هو الذي فعل هذا، أو نحو ذلك. ونستطيع أن نورد عشرات الأمثلة على هذا الدس، غير أننا نكتفي بما يلي:

ألف: قالوا عن آية الشراء: نزلت في علي «عليه السلام» في مناسبة مبيته على فراش النبي «صلى الله عليه وآله»، وآية الشراء هي قوله تعالى:

= ص٣٠ والكامل في التاريخ ج٣ ص٣١٣ وصفين للمنقري ص٣٥٤ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٣٦ والغدير ج٩ ص١٢٢ و ٢٩٠ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٧٥٢ .

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٤ ص٤ وبحار الأنوار ج٧٢ ص٣٥٧ ودستور معالم الحكم لابن سلامة ص٢٥ وينابيع المودة ج٢ ص٢٣٣.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

ثم قالوا: وقيل: نزلت في صهيب[2].

---

(١) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٨ ص٢٩ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٢ ص٧٢٩ و ٧٣٢ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٢٥٤ ومعاني القرآن للنحاس ج١ ص١٥٢ وتفسير مقاتل ج١ ص١٠٨ وجامع البيان ج٢ ص٤٣٧ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٠ وتفسير البيضاوي ج١ ص٤٩١ وتفسير الثوري ص٦٦ وأسباب نزول الآيات ص٣٩ و ٤٠ وتفسير الواحدي ج١ ص١٦٠ وتفسير البغوي ج١ ص١٨٢ وتفسير السمعاني ج١ ص٢٠٩ وتفسير الثعلبي ج٢ ص١٢٤ وتفسير السمرقندي ج١ ص١٦٣ والمحرر الوجيز ج١ ص٢٨١ وزاد المسير ج١ ص٢٠٣ وتفسير أبي السعود ج١ ص٢١١ والتفسير الكبير ج٥ ص٢٢٣ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص٤٠ وتفسير العز بن عبد السلام ج١ ص٢٠٤ والتسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص٧٦ وتنوير المقباس ص٢٨ وتفسير الجلالين ص٤٣ والإتقان في علوم القرآن ج٢ ص٣٨٥ والعجاب في بيان الأسباب ج١ ص٥٢٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٤ ص٢٢٢ و ٢٢٩ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٢ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٢ ص٤٨٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٩٢ وج٣ ص١٦١ والوافي بالوفيات ج١٦ ص١٩٥ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٣٥٣ وتفسير الميزان ج٢ ص٩٩ وقاموس الرجال ج١٠ ص٣٦٠ وصفين للمنقري ص٣٢٤.

ب: لا شك في أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل نوفل بن عبد الله في حرب الخندق أو لحق بهبيرة بن وهب وضربه ففلق هامته.. ولكنهم أضافوا إلى ذلك قولهم: وقيل أن الزبير فعل ذلك.. وقد ذكرنا أننا نشك في صحة ذلك عنه.

ج: ومن ذلك اهتمامهم الشديد بتبرئة أبي لبابة، وادعاء توبته مما صدر منه، أو التخفيف من وقع خيانته لله ولرسوله، حين أشار إلى بني قريظة أن لا ينزلوا على حكم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى لقد أنزلوا فيه الآيات، وذكروا له الكرامات، بل زعموا أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان استعمله على قتال بني قريظة، ثم لما صدرت منه الخيانة استبدله بابن حضير.. ونحن نعلم: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قاتلهم، وقتل فرسانهم، وذوي النجدة منهم..

إلا أن يكون أبو لبابة وأسيد بن حضير كانا في جملة أعيان الصحابة الذين هزمهم بنو قريظة شر هزيمة!!

د: ما ذكروه من مشاركة الزبير وغيره في ضرب أعناق بني قريظة[1]،

---

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٢ ونهاية الأرب ج١٧ ص١٩٣ وشرح بهجة المحافل ج١ ص٢٧٥ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٨ وتاريخ الخميس ج١ ص٤٩٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٥٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٤٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٥١٣ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٢ وتفسير الثعلبي ج٨ ص٢٨ وتفسير البغوي ج٣ ص٥٢٤.

أو إستقلال سعد بن معاذ في ذلك[١]، مع أن العديد من العلماء يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» تقدم إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» بضرب أعناقهم في الخندق، فأخرجوا أرسالاً[٢].

وفي كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» عشرات الموارد التي تدخل في هذا السياق، ولكنها تبقى مجرد رذاذ من قطر، أو نقطة من نهر، أو غَرْفة من بحر.

تصحيح خطأ:

قالوا: وكان علي «عليه السلام» هو الذي ضرب في بني قريظة «أعناق اليهود، مثل حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف»[٣].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٥١٦.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٥١٥ و ٥١٦ والإرشاد (ط دار المفيد) ج١ ص١١١ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٦٣ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٨ وكشف اليقين ص١٣٥. وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٥٢ وإعلام الورى ص٩٣ و ٩٤ والدر النظيم ص١٦٩ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٤٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٠ عن الطبراني والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٣ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٤٠ و ٣٤١.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٢ ص٩٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص٣٥٥ وإعلام الورى ج١ ص٣٨٢ وبحار الأنوار ج٤١ ص٦٧.

والصحيح: كعب بن أسد، لأن ابن الأشرف كان قد قتل قبل ذلك بزمان، مضافاً إلى أن ابن الأشرف كان من بني النضير، لا من بني قريظة.

إلا أن يكون مراده: أن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل ابن الأشرف أيضاً، ثم زور المزورون للتاريخ هذه الحقيقة، فنسبوا قتله إلى غير علي «عليه السلام»، حسداً منهم، وحقداً، وبغياً عليه.

الفصل السادس:

من المريسيع.. وحتى الحديبية..

بــدايــة:

ومن الأحداث التي جرت بعد غزوة بني قريظة غزوة بني المصطلق في المريسيع، وكان لعلي «عليه السلام» فيها أيضاً المقام المشهود، ونذكر هنا ما جرى في هذه الغزوة، فنقول:

أبو بكر وعمر في المريسيع؟!:

قالوا: إن راية المهاجرين كانت في المريسيع مع أبي بكر[١].

وزعموا: أن عمر بن الخطاب كان على مقدمة الجيش في غزوة المريسيع[٢].

ونقول:

إن هذا غير صحيح، فلاحظ ما يلي:

١ ـ إن جعل عمر مقدمة الجيش في غزوة المريسيع ربما يكون قد جاء للتشويش على علي «عليه السلام» من جهة، وإعطاء شيء من الأوسمة لغيره من جهة أخرى، إذ إن من يكون على مقدمة الجيش هو رمز صمود الجيش، ولا بد أن يكون من الفرسان المعروفين، وممن يرهب جانبهم، ولم

---

(١) راجع: عمدة القاري للعيني ج ١٣ ص ١٠٢.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج١ ص٢٧٠.

يكن عمر بن الخطاب كذلك، فقد كانت الخصوصية الظاهرة فيه هي فراره في المواطن، وتحاشيه مواضع الخطر في المعارك، وما جرى في أحد، ونكوصه عن عمرو بن عبد ود في الخندق، وفِراره في بني قريظة. وسيأتي أنه فر في خيبر وحنين وسواها شاهد صدق على ما قلناه.

٢ ـ قلنا أكثر من مرة: إن علياً «عليه السلام» كان صاحب راية ولواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المشاهد كلها، باستثناء تبوك، التي لم يحضرها كما سنرى.

٣ ـ قال خواند أمير: إنه «صلى الله عليه وآله» أعطى راية المهاجرين لعلي «عليه السلام»، وراية الأنصار لسعد بن عبادة، وعمر على المقدمة، وعلى الميمنة زيد بن حارثة، وعلى الميسرة عكاشة بن محصن[1].

لكن هذا النص غير سليم، فقد تقدم: أن جعل عمر بن الخطاب على المقدمة لا مجال لقبوله..

يضاف إلى ذلك: أن البعض يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» استخلف زيد بن حارثة على المدينة في هذه الغزوة[2].

---

(١) حبيب السير ج١ ص٣٥٧.

(٢) أنساب الأشراف ج١ ص٣٤٢ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٠٢ وج٨ ص٣٦٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٩٥ و الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٦٣ وج٣ ص٤٥ والوافي بالوفيات ج١٥ ص١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٥٨ والمنتخب من ذيل المذيل للطبري ص٥ وعمدة القاري ج١٣ ص١٠٢.

٤ ـ ذكر البعض: أن راية المهاجرين كانت مع عمار بن ياسر[1]. ونحن وإن كنا نرجح ما قاله خواند أمير من أن راية المهاجرين كانت مع علي «عليه السلام». إلا أنا نقول: إن القول بأنها كانت مع عمار يضعف ادعاء أنها كانت مع أبي بكر.

أما لواء الجيش ورايته فقد كانتا مع علي أمير المؤمنين، حسبما أثبتناه في غزوتي بدر وأحد.

المقتولون من بني المصطلق:

وأما عن المقتولين من بني المصطلق، فقد:

قالوا: إن علياً «عليه السلام» قتل منهم رجلين: مالكاً، وابنه[2].

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٧٩ والمغازي للواقدي ج١ ص٤٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٩٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٩٢ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٧٨ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٠٣ وج٧ ص١٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٣٤٥ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج١ ص٢٦٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٤٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٦٣ وحبيب السير ج١ ص٣٥٨ والمغازي للواقدي ج١ ص٤٠٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٠٦ والبداية والنهاية ج٤ ص١٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٠٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٤٨ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٧٣ و ٣٥٥ وج٢ ص٣٣٣ وبحار الأنوار ج٤١ ص٦٧ و ٩٦ ونهج الحق ص٢٥٠.

وقتل أبو قتادة: صاحب لواء المشركين، وكان الفتح[١].

ونحن لا نستطيع تأكيد ذلك أو نفيه، فالمغرضون يهمهم التلاعب في بعض الأمور، وقد يكون هذا منها. ولعل مالكاً كان هو صاحب لواء المشركين.

على أن ذلك لو صح، لذكروا لنا اسم صاحب لواء المشركين الذي قتله أبو قتادة للتدليل على إنجاز أبي قتادة هذا.

جويرية بنت الحارث:

وفي المريسيع سبا علي «عليه السلام» جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية، ثم المصطلقية[٢] وهي التي تزوجها رسول الله «صلى الله

---

(١) حبيب السير ج١ ص٣٥٨ والمغازي للواقدي ج١ ص٤٠٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٤٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٦٣ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٧٣ وكشف اليقين ص١٣٦ والإرشاد (ط دار المفيد) ج١ ص١١٧ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٨٩ و ٣٠٧ وراجع ص٢٨١ و ٢٩٠ و ٢٩٦ والمستجاد من كتاب الإرشاد (المجموعة) ص٧٢ والدر النظيم ص١٧٠ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٨ ومنهاج الكرامة ص١٦٧ ونهج الحق ص٢٥٠ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٣٣٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٨٠.

عليه وآله». وقتل «عليه السلام» مالكاً وابنه[١].

وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ:

وزعموا: أن آية: ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾[٢] نزلت في زيد بن أرقم، في غزوة المريسيع، حيث إنه سمع عبد الله بن أبي يقول: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يقصد بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فأخبر زيد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما سمع..

وفي الكشاف: ونزل فيه قوله تعالى: ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾ وصار يقال لزيد: ذو الأذن الواعية[٣].

ونقول:

إن ذلك لا يصح:

أولاً: لتناقض الروايات في من أخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمقالة ابن أبي، هل هو زيد بن أرقم، أو سفيان بن تيم، أو أوس بن أرقم،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٦٣ وكشف اليقين ص١٣٧ ونهج الحق ص٢٥٠ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٧٣ و ٣٥٥ وج٢ ص٣٣٣ وبحار الأنوار ج٤١ ص٦٦ و ٩٦ وراجع المصادر المتقدمة.

(٢) الآية ١٢ من سورة الحاقة.

(٣) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٩١ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٠٣ وسيرة مغلطاي ص٥٦.

أو عمر بن الخطاب، وثمة تناقضات أخرى فلا بأس بمراجعتها(١).

ثانياً: إن قوله تعالى: ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾ قد نزلت قبل الهجرة في ضمن سورة الحاقة، ويقال: كان ذلك قبل أن يسلم عمر بن الخطاب(٢).

ثالثاً: إن سياق الآيات لا يؤيد نزول الآية في زيد بن أرقم، لأن الآية تذكر ما جرى لقوم عاد وثمود، وفرعون، والمؤتفكات..

إلى أن تقول: ﴿**إِنَّا لَـمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ، لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾(٣). أي تعيها أذن تحصي هذه العبر والعظات، والأحداث العظام وتحفظها.. وهذا لا ينسجم ولا ربط له بما حدث مع زيد وابن أبي، لو صح ما يقال أنه جرى بينهما..

رابعاً: روي عن علي «عليه السلام» وعن بريدة، ومكحول، وأبي عمر بن الأشج، وهو عثمان بن عبد الله بن عوام البلوي، وعن ابن عباس، وأنس، والأصبغ بن نباتة، وجابر، وعمر بن علي، وأبي مرة الأسلمي:

---

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج١٢ فصل: «ليخرجن الأعز منها الأذل».

(٢) الدر المنثور ج٦ ص٢٥٨ و ٢٦٠ عن البيهقي، وابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي، وأحمد، عن ابن عباس، وابن الزبير، وعمرو. وراجع: تفسير الآلوسي ج٢٩ ص٣٩ والإصابة ج٤ ص٤٨٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٧.

(٣) الآيتان ١١ و ١٢ من سورة الحاقة.

أن هذه الآية نزلت في علي «عليه السلام»، وقد روى ذلك أهل السنة والشيعة على حد سواء، فراجع[١].

---

(١) راجع هذه الروايات أو بعضها في المصادر التالية: مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص٣١٨ و ٣١٩ و ٣٦٥ وجامع البيان ج٢٩ ص٣٥ و ٣٦ ومناقب الإمام أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان ج١ ص١٩٦ و ١٤٢ و ١٥٨ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٤١٣ عن ابن أبي حاتم، والطبري. وفرائد السمطين ج١ ص١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ وشواهد التنزيل ج٢ ص٣٦٠ و ٣٨٠ وفي هامشه مصادر كثيرة جداً، وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٤٢٢ وحلية الأولياء ج١ ص٦٧ وكنز العمال (ط الهند) ج١٥ ص١١٩ و ١٥٧ عن ابن عساكر، وأبي نعيم في المعرفة، وعن الضياء المقدسي في المختارة، وابن مردويه، وأسباب النزول ص٣٣٩ والكشاف ج٤ ص٦٠٠ والعمدة لابن البطريق ص٢٨٩ و ٢٩٠. وراجع: مجمع الزوائد ج١ ص١٣١ وإن كان قد حذف ذيل الحديث. والتفسير الكبير ج٣٠ ص١٠٧ وكفاية الطالب ص١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ ولباب التأويل (مطبوع مع جامع البيان) ج٢٩ ص٣١ والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٢٦٤ ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج ص٤٨ والبحر المحيط ج٨ ص٣١٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٠٧ ولباب النقول ص٢٢٥ وروح المعاني ج٢٩ ص٤٣ ونور الأبصار ج٧٨ وينابيع المودة ص١٢٠. وفتح الملك العلي ص٢٢ و ٢٣ وشرح المقاصد ج٥ ص٢٩٧ والمناقب للخوارزمي ص٢٨٢ =

= و ٢٨٣ ومحاضرات الأدباء ج١ ص٣٩ وج ٤ ص٤٤٧ ونظم درر السمطين ص٩٢ وأهل البيت لتوفيق أبي علم ص٢٢٥ و ٢٢٦ وخصائص الوحي المبين ص١٥٤ ـ ١٥٧ وكشف الغمة ج١ ص٣٢٢ ومجمع البيان ج١٠ ص٣٤٥ و ٣٤٦ وبحار الأنوار ج٣٥ ص٣٢٦ ـ ٣٣١ وغاية المرام ص٣٣٦ وأنساب الأشراف ج٢ ص١٢١ (بتحقيق المحمودي) وتفسير فرات ص٥٠٠ و ٥٠١ وتفسير البرهان ج٤ ص٣٧٥ و ٣٧٦ وفضائل الخمسة ج١ ص٢٧٢ ـ ٢٧٤ والدر المنثور ج٦ ص٢٦٠ عن ابن عساكر، وابن النجار، وابن جرير، وابن مردويه وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وسعيد بن منصور، والواحدي، وأبي نعيم، وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج٣ ص١٤٧ ـ ١٥٤ ج١٤ ص٢٢٠ و ٢٤١ وج٢٠ ص٩٢ و ٩٧ عن أكثر من تقدم وعن المصادر التالية: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص٣١٩ وج٢ ص٢٦٣ وإعراب ثلاثين سورة ص١٠٣ ومناقب مرتضوي ص٣٦ والكواكب الدرية للمناوي ص٣٩ والذريعة (للراغب) ص٩٢ وتوضيح الدلائل (مخطوط) ص١٦٩ و ٢١٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٤٢٣ وج ٣٦ ص٧٧ وعن لسان الميزان ج٦ ص٣٧٦ وسعد السعود ص١٠٨ وما نزل من القرآن في علي (لأبي نعيم) ص٢٦٦ و ٢٨٦ ومنال الطالب ص٨٥ وغاية المرام في رجال البخاري إلى سيد الأنام ص٧٢ ونهاية البيان في تفسير البرهان ج٨ ص٤٠ والإمام المهاجر ص١٥٨ ومطالب السؤل ص٢٠ والكشف والبيان (مخطوط) ومفتاح النجا (مخطوط) ص٤٠ و ٤١ وأرجح المطالب ص١٦١ و ١٦٠ و ٦٣ والإربعين للسيد عطاء الله (مخطوط) =

بل في شرح المواقف: أكثر المفسرين على أنه علي[١].

الشانئون والحاقدون:

قال الحلبي الشافعي: «وذكر بعض الرافضة: أن قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ جاء في الحديث: أنها نزلت في علي كرم الله وجهه.

قال الإمام ابن تيمية: وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم. أي وعلى تقدير صحته لا مانع من التعدد»[٢].

ونقول:

١ ـ تقدم آنفاً: أن حديث نزول هذه الآية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» مروي عند أهل السنة، وبطرقهم، أكثر مما هو مروي عند الشيعة. والمصادر المتقدمة، وشخصيات الرواة توضح ذلك. بل إن

= ص٢٧ وطبقات المالكية ج٢ ص٧٢ وشرح ديوان أمير المؤمنين للميبدي (مخطوط) ص١٨٠ والمختار في مناقب الأخيار (مخطوط) ص٣ والروض الأزهر ص١٠٨ والكاف الشاف ص١٧٧ ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ج٢ ص٣٦ ووسيلة النجاة ص١٣٦ و ١٥٦ والتعريف والإعلام (مخطوط) ص٦٧ ومناقب علي للعيني ص٥٥ وسمط النجوم ج٢ ص٥٠٤ وزين الفتى (مخطوط) ص٦٠٥ وجمع الجوامع ج٢ ص٣٠٨ وتفسير الثعلبي (مخطوط) ص٢٠١.

(١) شرح المواقف ج٨ ص٣٧٠.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٢٩١ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٠٣.

بعض الرواة لم يكونوا في خط علي «عليه السلام»، ولا من أنصاره.

٢ ـ قد عرفنا: أن أصل تصدي زيد لابن أبي مشكوك فيه.

٣ ـ إن سياق الآيات لا ينسجم مع قضية زيد.

٤ ـ إن سورة الحاقة قد نزلت قبل الهجرة.

إلا أن يدَّعى: أن هذه الآية مما تكرر نزوله.

ولكنها دعوى: تحتاج إلى شاهد، بل الشواهد المذكورة آنفاً على خلافها.

٥ ـ أضف إلى ذلك: أن هذه الدعوى لا تتنافى مع حديث نزولها في علي «عليه السلام» قبل الهجرة، أو بعدها.

٦ ـ لم يذكر لنا التاريخ أياً من أهل العلم قال: إن هذا الحديث موضوع، فضلاً عن أن يكون أهل العلم قد اتفقوا على ذلك. وهذه هي الكتب والموسوعات متداولة بين أيدي جميع الناس، فليراجعها من أراد.

ذكر علي عليه السلام في حديث الإفك:

وتزعم عائشة أن ثمة مَنْ قَرَفَها بالفاحشة، فنزلت الآية التي في سورة النور لتبرئتها، وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**..﴾[1] وتستمر اثنتي عشرة آية..

وزعمت: أن ذلك كان حين الرجوع من غزوة المريسيع، حيث

(١) الآية ١١ من سورة النور.

أضاعت عِقدها، وتخلفت تبحث عنه، فسار الجيش، وحمل الموكلون هودجها، ولم يشعروا بأنها ليست فيه، فوجدها صفوان بن المعطل، فأتى بها إلى المدينة، فاتهمها المنافقون به.

فاستشار النبي «صلى الله عليه وآله» علياً وأسامة بن زيد في أمرها، فأشار عليه أسامة بما يعلم من براءة أهله، أما علي فأشار بطلاقها، وأن يسأل جاريتها بريرة عن أمرها[١].

وعن عائشة وعلي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي عن بريرة: فتولّ أنت يا علي تقريرها، تقول عائشة: فقطع لها علي «عليه السلام» عسباً من النخل، وخلا بها يسألها عني، ويتهددها ويرهبها، لا جرم إني لا أحب

---

(١) صحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩) ج٣ ص١٠٦ ـ ١٠٨ وص٢٥ ـ ٢٧ وج٤ ص٧٤ و (ط دار الفكر) ج٥ ص٥٥ ـ ٥٧ وج٦ ص٥ ـ ٧ وج٨ ص١٦٣ والدر المنثور ج٥ ص٢٨ و ٢٩ عن ابن مردويه والطبراني. وراجع: صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٨ ص١١٢ ـ ١١٥ وفتح الباري ج٨ ص٣٤٥ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٣ ص١١١ ـ ١١٨ و ١٢٥ ـ ١٢٩ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٤٠ و ٢٣٦ و ٢٣٠ والجمل ص١٥٧ و ١٥٨ و ٤١٢ و ٤٢٦ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٠٥ وج١٩ ص٨١ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٤١٠ ـ ٤١٥ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٥١٦ ـ ٥٢٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٢٩٥ ـ ٢٩٧ وج٦ ص٤١٥ ـ ٤١٧ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٣٢٧ ـ ٣٤٣.

علياً أبداً(١).

وقال الفخر الرازي: لما تكلم الناس بالإفك دخل علي «عليه السلام» على النبي «صلى الله عليه وآله»: «فاستشاره، فقال: يا رسول الله، كنا نصلي خلفك فخلعت نعليك في أثناء الصلاة فخلعنا نعالنا، فلما أتممت الصلاة سألتنا عن سبب الخلع، فقلنا الموافقة.

فقلت: أمرني جبرائيل بإخراجها لعدم طهارتها.

فلما أخبرك أن على نعلك قذراً، وأمرك بإخراج النعل من رجلك، بسبب ما التصق من القذر، فكيف لا يأمرك بإخراجها بتقدير أن تكون متلطخة بشيء من الفواحش؟!

وفي المشكاة عن أبي سعيد مثله.

قال الحلبي: ويحتاج أئمتنا إلى الجواب عن خلع إحدى نعليه في أثناء الصلاة، لنجاسة بها، واستمر في الصلاة(٢).

ونقول:

لا ريب في أن حديث الإفك الذي ترويه عائشة غير صحيح، وإن ورد في كتب الصحاح المعتمدة عند فريق من المسلمين، بل حتى وإن أورده

---

(١) الجمل لابن شدقم (ط سنة ١٤٢٠هـ) ص٢٠ ـ ٢٥ والجمل للمفيد ص٨٢ وراجع: المعجم الكبير ج٢٣ ص١١١ ـ ١١٧ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٣٦.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٧٦ و ٤٧٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٠٦ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦٢٥.

بعض علماء الشيعة في كتبهم، مصرحين بالإعتماد عليه، أو مستدلين به.. وقد ذكرنا عشرات الأدلة على بطلانه في كتابنا: «حديث الإفك»، الذي أوردنا معظمه مع بعض التقليم والتطعيم في الجزء الثالث عشر من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».. فنحن نحيل القارئ الكريم على أحد الكتابين المشار إليهما، غير أننا نشير بإيجاز إلى بعض ما يرتبط بما نسبوه إلى أمير المؤمنين «عليه السلام».. فنقول:

أولاً: إن ملاحظة الروايات تظهر في كلامهم تناقضات كثيرة، نذكر منها:

١ ـ رواية تقول: إن علياً «عليه السلام» أشار بطلاق عائشة.

وأخرى تقول: إنه أشار ببراءتها، ولا تذكر عن الطلاق شيئاً، فراجع.

٢ ـ رواية تقول: إنه «عليه السلام» أشار بسؤال بريرة خادمتها.

وأخرى تقول: إن المشير بذلك هو أسامة بن زيد، أما علي فأشار بطلاقها[1].

---

(١) راجع على سبيل المثال: المغازي للواقدي ج٢ ص٤٣٠ والجمل لابن شدقم ص٢٥ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣١٢ ومسند أحمد ج٦ ص١٩٦ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٣ ص١٥٥ وج٥ ص٥٧ وج٦ ص٧ و صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٨ ص١١٥ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٣٣ و ٢٣٨ وعمدة القاري ج١٣ ص٢٢٥ وج١٧ ص٢٠٥ وج١٩ ص٨١ والديباج على مسلم ج٦ ص١٢٢ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٤١٥ ومسند ابن راهويه ج٢ =

٣ ـ رواية تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» فوض علياً «عليه السلام» تقرير الجارية، فخلا بها وقررها..

= ص٥٢١ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٩٥ وج٥ ص٢٩٧ وج٦ ص٤١٧ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٣٢٧ و ٣٤٣ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص١٧ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٣ ص٥٣ و ٥٨ و ٦٣ و ٦٨ و ٧١ و ٧٦ و ٨٠ و ٨٥ و٩٠ و ٩٤ و ٩٩ و ١١٣ و ١٢٧ ومسند الشاميين ج٣ ص٣٣٤ والكفاية في علم الرواية ص٥٨ والدر المنثور ج٥ ص٢٥ و ٢٩ وجامع البيان ج١٨ ص١٢١ وتفسير ابن أبي حاتم ج٨ ص٢٥٤١ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٥٠٠ وأحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص٣٦٠ والتفسير الكبير ج٢٣ ص١٧٥ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٨٠ وتفسير الثعلبي ج٧ ص٧٤ وأسباب نزول الآيات ص٢١٥ وتفسير البغوي ج٣ ص٣٢٩ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٥٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٤١ وتفسير الآلوسي ج١٨ ص١١٢.

وراجع: الثقات لابن حبان ج١ ص٢٩١ وتاريخ مدينة دمشق ج٥ ص١٢٣ وج٢٩ ص٣٣٣ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص١٥٦ وتاريخ المدينة لابن شبة ج١ ص٣١٤ و ٣٣٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٢٦٧ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٩٧ وتفسير السمعاني ج٣ ص٥٠٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٢٧٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص١٨٥ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج٣ ص٧٦٧.

وأخرى تقول: إنه «عليه السلام» هو والنبي معاً، خليا بجاريتها، يسألانها عنها(١).

وثالثة تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي سأل بريرة، فبرأتها.

٤ ـ رواية تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» كان إذا أراد أن يستشير في أمر أهله، لم يعد علياً وأسامة..

وغيرها يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» استشار أيضاً زيد بن ثابت، وعمر، وعثمان، وأم أيمن..

ثانياً: إن بريرة لم تكن في غزوة المريسيع، فكيف يشير علي «عليه السلام» بسؤالها، ويرضى النبي بتقريرها عن أمر قد غابت عنه..

وحتى لو كانت مع عائشة في المريسيع، فإنها لم تكن معها حين وجدها ابن المعطل في الصحراء، وجاء بها إلى المدينة..

ثالثاً: لماذا يضرب علي «عليه السلام» الجارية ضرباً شديداً(٢)، وهي لم ترتكب ذنباً، بل لمجرد أن تقر بأمر يرتبط بغيرها، لم يكن لديهم أي شاهد على حصوله؟! مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حرم التوسل بالتخويف، والضرب لانتزاع إقرار الناس على غيرهم، فأية قيمة لإقرارها حتى لو حصل؟! وهل يؤخذ بإقرار الشاهد تحت التهديد والضرب؟!..

---

(١) الجمل للمفيد ص٤٢٦ و (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص٨٢.

(٢) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» هامش ٢ ج٣ ص٢٢٤ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٩ ص١٩٤.

ولماذا لم يقرر عائشة نفسها، ويستعمل معها التهديد وسواه؟!..

رابعاً: لنفترض: أنها ـ والعياذ بالله ـ اتهمت سيدتها بشيء، فهل يستطيع النبي «صلى الله عليه وآله» أن يرتب الأثر على اتهامها لها، مع علمه بعدم حضورها في تلك الغزوة أصلاً..

بل إنها حتى لو حضرت، وفرضنا أن الشهادة مقبولة حتى لو انتزعت بالضرب والتهديد، فما هي الفائدة من شهادتها، وهي امرأة، وهي شاهد واحد؟!. ويحتاج الأمر إلى أربعة شهود؟! ولا تقبل شهادة النساء منفردات، أو شهادة امرأتين بمثابة شهادة رجل واحد.

يضاف إلى ذلك: إن شهادة الأربعة لا بد أن تكون عن حضور، ومشاهدة، والأمر هنا ليس كذلك.

خامساً: إن حديث إخراج النعل في الصلاة لا يدل على أنه يشير على النبي «صلى الله عليه وآله» بطلاق عائشة، بل هو على خلاف ذلك أدل، لأن المقصود بكلامه ليس هو إخراج عائشة من بيته بالطلاق. بل المقصود: أنها إن كانت قد أساءت، فإن الله تعالى لا بد أن يخبر نبيه بذلك، كما أخبره بنجاسة رجله في الصلاة، فإن هذا الأمر المتعلق بالعرض أهم من نجاسة الرجل.

يريدون الإساءة لعلي عليه السلام:

والذي يظهر من متابعة النصوص: أن ثمة تعمداً للإساءة إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، واتهامه بما هو منه بريء، فقد صرحت عائشة

بقولها: «لا جرم لا أحب علياً أبداً..»[(١)].

فهي تتهم علياً «عليه السلام» لتبرر بغضها له، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ذم من يبغض علياً «عليه السلام»، فلماذا لا تطيع الله ورسوله في ذلك.

وقد كان بنو أمية، حتى الخلفاء منهم يسعون لتكريس هذا الإتهام الباطل الموجه له «عليه السلام»، وتسويقه، ودفع أعوانهم للإقرار به، وترويجه وإشاعته بين الناس.. ويدلنا على ذلك:

ألف: قول الزهري: إن الوليد بن عبد الملك قال له: الذي تولى كبره منهم، علي؟!

قلت: لا. ولكن حدثني سعيد بن المسيب، وعروة، وعلقمة، وعبيد الله، كلهم عن عائشة، قالت: الذي تولى كبره عبد الله بن أُبي[(٢)].

زاد في الدر المنثور: «فقال لي: ما كان جرمه؟!

قلت: حدثني شيخان من قومك: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام: أنهما سمعا عائشة تقول: كان مسيئاً في أمري»[(٣)].

وفي حلية أبي نعيم، من طريق ابن عيينة، عن الزهري: كنت عند الوليد

---

(١) الجمل للمفيد (ط مكتبة الداوري ـ قم) ص٨٢ والجمل لابن شدقم ص٢٥.

(٢) فتح الباري ج٧ ص٣٣٦ وقد تقدم نقله عن البخاري، في أوائل هذا البحث.

(٣) الدر المنثور ج٥ ص٣٢ عن البخاري، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، وستأتي مصادر أخرى.

بن عبد الملك، فتلا هذه الآية: ﴿..**وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[١]، فقال: نزلت في علي بن أبي طالب.

قال الزهري: أصلح الله الأمير، ليس الأمر كذلك، أخبرني عروة، عن عائشة.

قال: وكيف أخبرك؟!

قلت: أخبرني عروة عن عائشة، أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول[٢].

ولابن مردويه من وجه آخر، عن الزهري: كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي، وهو يقرأ سورة النور مستلقياً، فلما بلغ هذه الآية: ﴿**إِنَّ الذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنكُمْ**..﴾ حتى بلغ: ﴿..**وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ**﴾ جلس.

ثم قال: يا أبا بكر، من الذي تولى كبره منهم؟ أليس علي بن أبي طالب؟!

قال: فقلت في نفسي: ماذا أقول؟ لئن قلت لا، لقد خشيت أن ألقى منه شراً، ولئن قلت: نعم، لقد جئت بأمر عظيم.

قلت في نفسي: لقد عودني الله في الصدق خيراً.

قلت: لا.

قال: فضرب بقضيبه على السرير، ثم قال: فمن؟! فمن؟! حتى ردد

---

(١) الآية ١١ من سورة النور.

(٢) فتح الباري ج٧ ص٣٣٦.

ذلك مراراً.

قلت: لكنه عبد الله بن أُبي[1].

ب ـ وأخرج يعقوب بن شيبة في مسنده، عن الحسن بن علي الحلواني، عن الشافعي، قال: حدثنا عمي، قال: دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال له: يا سليمان، الذي تولى كبره من هو؟**!**

قال: عبد الله بن أُبي.

قال: كذبت، هو علي.

قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول.

فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟**!**

قال: ابن أُبي.

قال: كذبت، هو علي.

فقال: أنا أكذب لا أبا لك. والله لو نادى مناد من السماء: أن الله أحل الكذب لما كذبت.. حدثني عروة، وسعيد، وعبيد الله، وعلقمة، عن عائشة: أن الذي تولى كبره هو عبد الله بن أُبي.

فذكر قصته مع هشام.

---

(١) فتح الباري ج٧ ص٣٣٦ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٠٢ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٦١٩ والمعجم الكبير ج٢٣ ص٩٧ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص٧٩.

وجاء في آخرها قول هشام: نحن هيجنا الشيخ، أو ما بمعناه. وأمر فقضى عنه ألف ألف درهم(١).

فالوليد بن عبد الملك إذن، وكذلك هشام بن عبد الملك يريدان تأكيد هذه الفرية على أمير المؤمنين «عليه السلام»، إلى درجة أنهم قد افتروا عليه: أنه هو الذي تولى كبر الإفك.

كما أن عائشة ذكرت: أن علياً «عليه السلام» كان مسيئاً في شأنها، كما تقدم في الرواية التي ذكرها البخاري ـ حسب رواية النسفي وغيره عنه (٢).

غير أن العسقلاني قال: ذكر عياض: أن النسفي رواه عن البخاري بلفظ مسيئاً، قال: وكذلك رواه أبو علي بن السكن، عن الفربري، وقال

---

(١) فتح الباري ج٤ ص١٥ وج٧ ص٣٣٧ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٠٢ و ٣٠٣ وسير أعلام النبلاء ج٥ ص٢٢٩ والدر المنثور ج٥ ص٣٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٥ ص٣٧١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٨ ص٢٤٥ والوافي بالوفيات ج٥ ص١٨.

(٢) صحيح البخاري (مطبوع بهامش فتح الباري) ج٧ ص٣٣٦ و (ط دار الفكر) ج٥ ص٦٠، وليراجع إرشاد الساري ج٦ ص٣٤٣ وفتح الباري ج٧ ص٣٣٦ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٠٩ والدر المنثور ج٥ ص٣٢ عن البخاري وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي والجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص١٩٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٢٧٨.

الأصيلي بعد أن رواه بلفظ مسلماً: كذا قرأناه، ولا أعرف غيره[١].

وكذلك نقله في الدر المنثور، عن البخاري كما تقدم، وعن ابن المنذر، والطبراني وابن مردويه، والبيهقي.

ورواه عبد الرزاق أيضاً بلفظ «مسيئاً»، وكذلك أخرجه الإسماعيلي، وأبو نعيم في المستخرجين.

ويقوي الرواية التي فيها: «مسيئاً» ما في رواية ابن مردويه بلفظ: إن علياً أساء في شأني، والله يغفر له. انتهى[٢].

وقال العسقلاني أيضاً: إن عائشة قد نسبت علياً إلى الإساءة في شأنها[٣].

وذلك كله يشير إلى: أن رواية البخاري قد حرفت من قبل النساخ على كل حال.. ونحن نستقرب أن كلمة «مسلماً» حرفت فصارت «مسيئاً» للتقليل من بشاعة هذا الأمر، وفظاعته، وحفاظاً على عائشة، والوليد، والزهري، ومن لف لفهم.

وأيضاً حفاظاً على كرامة البخاري نفسه، إذ ليس من السهل تكذيب القرآن من خلال توجيه هذه الفرية لعلي، الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً.. وهو مع الحق، والحق معه يدور معه حيث دار.

---

(١) راجع: فتح الباري ج٧ ص٣٣٦ وإرشاد الساري ج٦ ص٣٤٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فتح الباري ج٧ ص٣٥٧.

واللافت هنا: أنهم في حين يصرون على تأكيد الفرية على أمير المؤمنين «عليه السلام» فإنهم لا يجرؤون على القول: بأن علياً «عليه السلام» قد جلد أيضاً، بل يقولون بكل وضوح وإصرار: إن علياً «عليه السلام» لم يجلده مع من جلد، ولم يحده النبي معهم بالاتفاق!! رغم أن عائشة، والوليد، وهشاماً يصرون على نسبة الإساءة إليه، وعلى أنه ممن قذفها، وعلى أنه تولى كبره في ذلك!! نعوذ بالله؟!!

فلماذا عفا عنه النبي «صلى الله عليه وآله» إذن؟!

وهل للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يعفو عن حد من حدود الله؟! حتى لو كان مستحقه هو صهره وابن عمه!! وماذا سيقول الناس عنه لو فعل ذلك؟!

وقد لاحظنا: أن عائشة كانت في غاية اللطف مع أسامة، الذي كانت له مشكلة مع أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان أبوها تحت أمرته، حين وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، مع أنه لم يزد على إظهار عدم علمه بشيء من أمرها.

ولكنها كانت في غاية القسوة على علي «عليه السلام»، الذي حاربته وأبغضته، ولم تكن تستطيع أن تذكره بخير أبداً، كما يقول ابن عباس(١).

---

(١) راجع: مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٨٨ و ٣٨ والجمل للمفيد (ط سنة ١٤١٣هـ) ص١٥٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج١ ص٣ والإحسان ج٨ ص١٩٨ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٦ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط =

هذا مع سعيها للإيحاء بأن أسامة قد أشار بما يعلم، لكن علياً «عليه السلام» أشار بغير ما يعلم مع أن الإشارة بطلاقها أو بتقرير بريرة ـ لو فرضنا صحتها ـ لا تدل على شيء من ذلك..

ولأجل ذلك استجاز العقاد وابن أبي الحديد أن يخففا من بشاعة ما ارتكبته عائشة، حين شنت حرباً قتل فيها المئات والألوف من أهل الإسلام.. من حيث إن السبب هو هذا الحقد الذي كان علي نفسه هو السبب في نشوئه..

وكأن الحقد الأعمى وبغير حق يخفف الذنوب!! وهل خفف حقد اليهود والذين أشركوا على المؤمنين من بشاعة ما ارتكبوه في حق النبي وأهل الإيمان؟! أم أن المفروض: هو أن يقتلعوا هذا الحقد الذي لا مبرر له من صدورهم، وكان هذا هو المفروض بكل من يعادي علياً وغيره من أهل الإيمان!!

على من كان الإفك؟!:

قال القمي: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا محمد بن عيسى، عن

= سنة ١٤٠٥هـ) ج٢ ص٢٣١ و ٢٣٢. وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر سنة ١٤٠١هـ) ج١ ص١٦٢ وصحيح مسلم (بشرح النووي) ج٤ ص١٣٨ و ١٣٩ والصوارم المهرقة ص١٠٥ والإرشاد للمفيد ص١٩٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط ليدن) ج١ ص١٨٠١ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٧٥.

الحسن بن علي بن فضّال، قال: حدثني عبد الله بن بكير عن زرارة، قال:

سمعت أبا جعفر «عليه السلام» يقول: لما مات إبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حزن عليه حزناً شديداً، فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟**!** فما هو إلا ابن جريح.

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» وأمره بقتله، فذهب علي «عليه السلام» ومعه السيف، وكان جريح القبطي في حائط، فضرب علي «عليه السلام» باب البستان، فأقبل جريح، ليفتح له الباب، فلما رأى علياً «عليه السلام»، عرف في وجهه الغضب، فأدبر راجعاً، ولم يفتح الباب.

فوثب علي «عليه السلام» على الحائط، ونزل إلى البستان، واتبعه. وولى جريح مدبراً، فلما خشي أن يرهقه صعد في نخلة، وصعد علي في أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة، فبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال، ولا ما للنساء.

فانصرف علي «عليه السلام» إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، إذا بعثتني في الأمر أكون فيه كالمسمار المحمي في الوبر، أم أثبّت؟**!**

قال: لا بل اثبّت.

فقال: والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال، ولا ما للنساء.

فقال: الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت..»[١].

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص٩٩ و ١٠٠ وص٣١٨ و ٣١٩ وتفسير البرهان ج٣ =

مع تحفظنا على ما ذكر أخيراً من أن علياً بعد أن عرف أن جريحاً مجبوب عاد إلى النبي وسأله إن كان تكليفه التثبت أم لا مع أن الصحيح والمناسب هو أن علياً «عليه السلام» سأل هذا السؤال قبل أن يذهب إلى جريح.

أما بالنسبة لنظر علي «عليه السلام» إلى عورة جريح فلعله وقع إتفاقاً كما في الرواية، ولعله إنما جوز لنفسه النظر إلى موضع القدرة لعلمه مسبقاً بأنه مجبوب، وكان يعرف غاية وموجبات وأهداف هذا الأمر الصادر من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وعنه في رواية عبد الله بن موسى، عن أحمد بن راشد، عن مروان بن مسلم، عن عبد الله بن بكير، قال: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»:

جعلت فداك، كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر بقتل القبطي، وقد علم أنها كذبت عليه؟! أولم يعلم؟! وقد دفع الله عن القبطي القتل بتثبيت علي «عليه السلام»؟

فقال: بل كان والله يعلم، ولو كان عزيمة من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما انصرف علي «عليه السلام» حتى يقتله، ولكن إنما فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» لترجع عن ذنبها، فما رجعت، ولا اشتد عليها قتل

= ص١٢٦ و ١٢٧ وج٤ ص٢٠٥ ونور الثقلين ج٣ ص٥٨١ و ٥٨٢ عنه، وتفسير الميزان ج٥ ص١٠٣ و ١٠٤ وفي تفسير القمي والبرهان في سورة الحجرات: أن آية: ﴿**إِنْ جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ نزلت في هذه المناسبة، وبحار الأنوار ج٢٢ ص١٥٥.

رجل مسلم[١].

وفي نص آخر يقرب من النص الذي ذكره القمي يقول: إنه وجده عند مارية[٢].

وقد ذكر أمير المؤمنين «عليه السلام» هذا الأمر في مناشدته لأهل الشورى، وفيه: أنه «صلى الله عليه وآله» أمره بالتثبت قبل أن يذهب في أثر ابن جريح[٣].

وروى أهل السنة هذه القضية في كتب صحاحهم وغيرها.. وقد ذكرنا طائفة من نصوصهم في كتابنا: حديث الإفك، وهي التالية:

١ ـ روى مسلم وغيره، والنص لمسلم، عن أنس: أن رجلاً كان يتهم بأم ولد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) تفسير الميزان ج١٥ ص١٠٤ وتفسير البرهان ج٣ ص١٢٧ وج٤ ص٢٠٥ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٩ وبحار الأنوار ج٢٢ ص١٥٤.

(٢) أمالي السيد المرتضى ج١ ص٧٧ وصفة الصفوة ج٢ ص٧٨ و ٧٩ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٠٤ وقال: إسناد رجاله ثقات، عن الإمام أحمد، وكشف الأستار عن مسند البزار ج٢ ص١٨٨ و ١٨٩ ومجمع الزوائد ج٤ ص٣٢٩ وقال: رواه البزار وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ولكنه ثقة، وبقية رجاله ثقات، وقد أخرجه الضياء في أحاديثه المختارة على الصحيح. وبحار الأنوار ج٢٢ ص١٦٧ و ١٦٨.

(٣) راجع: تفسير البرهان ج٣ ص١٢٧ عن ابن بابويه، والخصال ج٢ ص١٢٠ و ١٢٦ وبحار الأنوار ج٢٠ ص١٥٤.

وآله» لعلي: اذهب، فاضرب عنقه، فأتاه علي، فإذا هو في ركي[١] يتبرد فيها.

فقال له علي: اخرج، فناوله يده، فأخرجه، فإذا هو مجبوب، ليس له ذكر، فكف علي عنه.

ثم أتى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، إنه لمجبوب ما له ذكر[٢].

٢ ـ عن أنس بن مالك، قال: كانت أم إبراهيم سرية للنبي «صلى الله عليه وآله» في مشربتها، وكان قبطي يأوي إليها، ويأتيها بالماء والحطب، فقال الناس في ذلك: علج يدخل على علجة.

فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأرسل علي بن أبي طالب، فوجده على نخلة، فلما رأى السيف وقع في نفسه، فألقى الكساء الذي كان عليه، وتكشف، فإذا هو مجبوب.

---

(١) الركي: البئر.

(٢) صحيح مسلم (ط مشكول، وط دار الفكر) ج٨ ص١١٩ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٩ و ٤٠ وتلخيصه للذهبي، نفس الصفحة وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٣ والمحلى ج١١ ص٤١٣ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٤ ص٤١١ و ٤١٢ و (ط دار الجيل) ج٤ ص١٩١٢ والإصابة ج٣ ص٣٣٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص٥١٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣١٢ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٤٣١. وليراجع: أسد الغابة ج٥ ص٥٤٢ و ٥٤٤ وج٤ ص٢٦٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣١٣ والديباج على مسلم ج٦ ص١٣٣.

فرجع علي إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فأخبره فقال: يا رسول الله، أرأيت إذا أمرت أحدنا بالأمر ثم رأى في غير ذلك، أيراجعك؟!

قال: نعم. فأخبره بما رأى من القبطي.

قال: وولدت مارية إبراهيم، فجاء جبرائيل «عليه السلام» إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم، فاطمأن رسول الله إلى ذلك»[١].

وفي رواية أخرى مثل ذلك، غير أنه قال: «خرج علي، فلقيه على رأسه قربة مستعذباً لها من الماء، فلما رآه علي شهر السيف، وعمد له، فلما رآه القبطي طرح القربة، ورقى في نخلة وتعرى، فإذا هو مجبوب.

فأغمد علي سيفه، ثم رجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأخبره الخبر، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أصبت، إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب»[٢].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٥٤ و ١٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٨ ص٢١٤ والمعجم الأوسط ج٤ ص٨٩ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٦١ عن الطبراني في الأوسط، وراجع: الآحاد والمثاني ج٥ ص٤٤٨ و ٤٤٩ وفيض القدير ج٣ ص٣٢٣ والإصابة ج١ ص٣١٨ وفتوح مصر وأخبارها ص١٢١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٣٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ٣٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٥٥ و (ط دار صادر) ج٨ ص٢١٥.

«**وروى الواقدي في إسناده قال**: كان الخصي الذي بعث به المقوقس مع مارية، يدخل إليها ويحدثها، فتكلم بعض المنافقين في ذلك وقال: إنه غير مجبوب، وأنه يقع عليها، فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب، وأمره أن يأتيه، ويقرره، وينظر في ما قيل فيه، فإن كان حقاً قتله، فطلبه علي، فوجده فوق نخلة، فلما رأى علياً يؤمه أحس بالشر، فألقى إزاره، فإذا هو مجبوب ممسوح.

وقال بعض الرواة: إنه ألفاه يصلح خباء له، فلما دنا منه ألقى إزاره وقام متجرداً. فجاء به علي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأراه إياه، فحمد الله على تكذيبه المنافقين بما أظهر من براءة الخصي، واطمأن قلبه»[(١)].

٣ ـ في مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي والنص له: عن عائشة قالت: «أهديت مارية ومعها ابن عم لها، فقال أهل الإفك والزور: من حاجته إلى الولد ادَّعى ولد غيره.

قالت: فدخل النبي «صلى الله عليه وآله» بإبراهيم عليَّ فقال: كيف ترين؟؟!

قلت: من غذي بلبن الضأن يحسن لحمه.

قال: ولا الشبه؟!

قالت: فحملتني الغيرة.

فقلت: ما أرى شبهاً.

قالت: وبلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يقول الناس، فقال

---

(١) أنساب الأشراف ج١ ص٤٥٠ وقاموس الرجال للتستري ج١٢ ص٣٠٣.

لعلي: خذ هذا السيف، فانطلق فاضرب عنق ابن عم مارية.

فانطلق، فإذا هو في حائط على نخلة يخترف، فلما نظر إلى علي، ومعه السيف استقبلته رعدة، فسقطت الخرقة، فإذا هو ممسوح»[(١)].

وفي نص آخر: فجاء به يحمله على عنقه، فقال: يا عائشة، كيف تري الشبه؟

فقلت ـ أنا غيرى ـ: ما أرى شبهاً[(٢)].

فقال: ولا باللحم؟!

فقلت: لعمري، لمن تغذى بألبان الضأن ليحسن لحمه.

قال: فجزعت عائشة وحفصة من ذلك، فعاتبته حفصة، فحرّمها، وأسرّ إليها سراً، فأفشته إلى عائشة، فنزلت آية التحريم، فأعتق رسول الله «صلى الله عليه وآله» رقبة[(٣)].

وفي نص آخر أنه قال: ألا ترين إلى بياضه ولحمه؟!

فقالت: من قصرت عليه اللقاح أبيض وسمن[(٤)].

---

(١) المستدرك للحاكم ج٤ ص٣٩ وتلخيصه للذهبي، هامش نفس الصفحة. وراجع: الإصابة ج٥ ص٥١٩ وأسد الغابة ج٤ ص٢٦٨.

(٢) الظاهر أن الصحيح: فقلت ـ وأنا غيرى ـ: ما أرى شبهاً.. كما يعلم من سائر المصادر.

(٣) الدر المنثور ج٦ ص٢٤٠ عن ابن مردويه. وراجع: الآحاد والمثاني ج٥ ص٤٤٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٣٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٠٣.

(٤) تقدم هذا النص عن الحاكم في المستدرك، والذهبي في تلخيصه، والسيوطي عن =

ولا نريد التعليق على ما ورد في هذه النصوص، ولا سيما ما دل منها على أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يطمئن لأمر إبراهيم حتى سلم عليه جبرئيل بقوله: السلام عليك يا أبا إبراهيم. فإن المفروض: أن عائشة ادعت فيه ما ادعت بعد ذلك أيضاً. كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن شاكاً في أمر ولده أبداً، بل كان على يقين ببراءة مارية، ولكنه كان يريد إظهار كذب من قرفها بالفاحشة..

ونكتفي بهذا القدر هنا ونعطف الحديث إلى سائر ما يرتبط بسيرة علي «عليه السلام».

ولكن يبقى أمر يحتاج إلى المعالجة هنا. وهو أن هناك اختلافاً بين الروايات.. فهل تعدد قذف مارية، فتعددت آليات البراءة؟! أو أن الاتهام

= ابن مردويه.

ونزيد هنا: الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ قسم١ ص٨٨ و (ط دار صادر) ج١ ص١٣٧ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٠٥ وقاموس الرجال ج١١ ص٣٠٥ عن البلاذري وأنساب الأشراف ج١ ص٤٥٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٠٩ من دون الفقرة الأخيرة من كلامها، وتاريخ اليعقوبي (ط دار صادر) ج٢ ص٨٧ مع حذف كلمة «ما» من قولها: «ما أرى شبهاً» لكن المقصود معلوم من اعتراضه «صلى الله عليه وآله». وقد تكون قد قالت ذلك على سبيل السخرية أو الاستفهام الإنكاري. وراجع: قاموس الرجال للتستري ج١٢ ص٣٠٢ و ٣٤٣ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٣٦.

كان واحداً لكن التبرئة قد تعددت أمام العديد من الفرقاء؟! أو أن هذه الإختلافات متعمدة لأجل إثارة الشبهة حول صحة الحديث؟!

علي عليه السلام في سرية حسمي:

ويقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل زيد بن حارثة إلى حسمي ـ وهو وادٍ في ذات القرى ـ وذلك بعد أن أخذ رجل منهم اسمه الهنيد، وابنه وناس من جذام طريق دحية الكلبي، وسلبوه ما معه.

فأخبر دحية النبي «صلى الله عليه وآله»، فأرسل إليهم سريةً عليها زيد بن حارثة، فأغاروا عليهم، فقتلوا منهم رجلين، وقتلوا الهنيد وابنه، وأخذ ابلهم وشاءهم، ومئة من النساء والصبيان.

فشكا الجذاميون ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقالوا: إنهم مسلمون.

فأراد أن يرسل علياً «عليه السلام» إلى زيد ليأمره برد ما أخذ منهم.

فقال علي «عليه السلام»: يا رسول الله إن زيداً لا يطيعني، فأعطاه سيفه علامة.

فخرج «عليه السلام»، فإذا رسول لزيد على ناقة من إبلهم، أرسله زيد بشيراً، فأنزله علي عن الناقة، وردها على القوم مع الجذاميين الذين كانوا قدموا المدينة لإنجاز هذه المهمة، وأردف علي «عليه السلام»، ذلك البشير خلفه.

فقال: يا علي، ما شأني؟!

فقال: ما لهم، عرفوه، فأخذوه.

ثم ساروا، فلقوا الجيش، فطلب زيد من علي علامة.

فقال: هذا سيفه «صلى الله عليه وآله»، فعرف زيد السيف، فرد عليهم كل ما أخذ منهم[1].

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» انتدب علياً هنا لإرجاع الحقوق إلى أصحابها، وانتدبه أيضاً لإرجاع الحقوق إلى بني جذيمة.. وانتدبه للمبيت على فراشه ليلة الهجرة، وانتدبه لتبليغ مشركي مكة سورة براءة، وانتدبه لقتل مرحب، وانتدبه لرد الكتائب يوم أحد، وانتدبه لمبارزة الوليد في بدر، وانتدبه لقتل ابن صياد وانتدبه.. و.. و.. وقد أدى كل ما انتدبه له على أكمل وجه وأحسنه.

وانتدب غيره ـ وهو عمر بن الخطاب ـ لإبلاغ أهل مكة رسالته، فامتنع، بحجة أنه ليس له عشيرة تمنعه، وانتدبهم لمبارزة عمرو بن عبد ود، وضمن لهم على الله الجنة، فلم يستجيبوا..

وانتدبهم لإجابة أبي سفيان في حرب أحد بأمور بعينها، فخالفوه فيها،

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٩ و ١٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٧٩ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٨٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٨٨ و ٨٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٧٥.

وانتدبهم ليأتوه بكتف ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فلم يستجيبوا لطلبه، واتهموه بأنه يهجر.. وانتدبهم ليحلقوا رؤوسهم في الحديبية، فتثاقلوا ولم يجيبوا طلبه إلا بعد لأي.. وانتدبهم لقتل ابن صياد، فلم يجد عندهم ما يجدي.. و.. و..

وقد فشلوا في سائر المهمات الكبرى التي أوكلت إليهم أيما فشل..

فهل جاء ذلك كله على سبيل الصدفة.. أم أن الأمور جرت وفق ما أراد محبوهم إشاعته، والتسويق له؟!

٢ ـ إنه «عليه السلام» يلتزم بدقة في تنفيذ ما يأمره النبي به.. حتى أنه حين قال له في خيبر: إذهب ولا تلتفت.

وقف ولم يلتفت، وقال: علام أقاتل الناس؟!

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله(١)..

---

(١) راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٩٣ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٨٠ وإسناده صحيح، ومسند أحمد ج٢ ص٣٨٤ ـ ٣٨٥ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢١ وسنن سعيد بن منصور ج٢ ص١٧٩ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٥٨ و ٥٩ و ٥٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج١ ص١٥٩ والغدير ج١٠ ص٢٠٢ وج٤ ص٢٧٨ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص٢٠٠ ومسند الطيالسي ص٣٢٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١١٠ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٣٦ وج١٢ ص٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين ج٢ =

وهنا أيضاً نلاحظ: أنه «عليه السلام» ينتزع الناقة من رسول زيد، ويردف الرسول خلفه، ويسلمها إلى أصحابها، ولا يسمح بركوب ناقة صدر أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإرجاعها إلى أربابها ولو خطوات يسيرة.

٣ ـ قد ظن ذلك الرسول: أن أخذ الناقة منه، كان على سبيل العقوبة له، ولذلك قال: يا علي، ما شأني؟!.

فقال له علي «عليه السلام»: مالُهم، عرفوه، فأخذوه.. فليس لأحد الحق في أن يتصرف بمال غيره إلا بإذنه..

٤ ـ وأما قول علي «عليه السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله» إن زيداً لا يطيعني، فهو مدح وثناء على زيد، من حيث أنه هو الآخر يراعي قواعد الإنضباط في تنفيذ الأوامر النبوية الصادرة إليه، ولا يتعامل على أساس العلاقات الشخصية، حين يطلب منه القيام بمسؤوليات معينة..

= ص٥٠٣ والأمالي للطوسي ص٣٨١ والعمدة ص١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٩ والطرائف ص٥٩ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٧ وج٣٩ ص١٠ و ١٢ والنص والإجتهاد ص١١١ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٦٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١١١ ورياض الصالحين ص١٠٨ وكنز العمال ج١ ص٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٢ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج١ ص١٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٥ وينابيع المودة ج١ ص١٥٤.

حتى لو كان ذلك من علي «عليه السلام» نفسه، الذي يعلم زيد أنه نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، لأن زيداً يرى أن الولاية الفعلية هي للنبي «صلى الله عليه وآله» لا لعلي «عليه السلام».. وكان يعلم أن علياً «عليه السلام» يتعامل معه وفق ما تقتضيه الحياة العادية للناس، لا بالمعجزة والكرامة والغيب.

وكان النبي «صلى الله عليه وآله»، وكذلك علي «عليه السلام» يريد من الناس أن يلتزموا بهذا النهج، لكي لا تبقى أية ثغرة يمكن أن يتسرب منها ما يفسد أو يعيق تنفيذ القرار النبوي.

ولم يكن زيد ـ من جهته ـ بالذي يجهل موقع علي «عليه السلام» من النبي «صلى الله عليه وآله» ومن هذا الدين.. ولكنه يريد أن يُرِي الناس بصورة تطبيقية، كيف يلتزم المسؤول بحرفية البيانات والبلاغات الصادرة إليه من القيادة العليا، وأنه لا مجال للمحاباة في هذا الأمر، ولا يصح الإعتماد على الإجتهادات الشخصية.

الذين يحاربون الله ورسوله:

روي عن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام»، قال: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قوم من بني ضبة، مرضى.

فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أقيموا عندي، فإذا برئتم بعثتكم في سرية.

فقالوا: أخرجنا من المدينة.

فبعث بهم إلى إبل الصدقة، يشربون من أبوالها، ويأكلون من ألبانها، فلما برئوا واشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كان في الإبل.

فبلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك، فبعث إليهم علياً «عليه السلام»، فإذا هم في واد قد تحيروا فيه لا يقدرون أن يخرجوا منه، قريباً من أرض اليمن، فأسرهم، وجاء بهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فنزلت هذه الآية: ﴿**إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[١].

فاختار رسول الله القطع، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف[٢].

بعث علي عليه السلام إلى بني سعد:

وفي شعبان سنة ست بعث «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» في

---

(١) الآية ٣٣ من سورة المائدة.

(٢) راجع: نور الثقلين ج١ ص٦٢١ و ٦٢٢ والبرهان ج١ ص٤٦٥ و ٤٦٧ عن الكليني، والعياشي، وغيرهما. والكافي ج٧ ص٢٤٥ وكنز الدقائق ج٤ ص١٠٢ و ١٠٣ وتفسير العياشي ج١ ص٣١٤ وتفسير الصافي ج٢ ص٣١ وتهذيب الأحكام ج١٠ ص١٣٥ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٨ ص٥٣٥ وميزان الحكمة ج١٠ ص٥٧٤ وتفسير الميزان ج٥ ص٣٣١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٩٧.

مئة رجل إلى بني سعد بن بكر بفدك التي كان بينها وبين المدينة ست ليال.

وسببه أنه بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر، وأن يجعلوا لهم تمر خيبر.

وفي الطريق أخذوا رجلاً هناك، فسألوه فأقر انه عين لبني سعد، وأنه مرسل من قبلهم ليهود خيبر، ليعرض عليهم نصرهم مقابل التمر، ثم دلهم على موضع تجمعهم..

فهاجمهم «عليه السلام» بمن معه، فهربوا بالظعن، وغنم المسلمون خمس مئة بعير وألفي شاة.

فعزل «عليه السلام» صفي المغنم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعزل الخمس، وقسم الباقي على السرية[١].

ونقول:

لا حاجة إلى بسط القول في دلالات هذا الحدث غير أننا نشير إلى ما يلي:

١ ـ إن الحرب الوقائية هي التدبير السديد، إذا توفرت شروطها، وقد كانت هذه السرية وقائية، استطاع «عليه السلام» أن يورد ضربته في هؤلاء الأشرار قبل اكتمال استعدادهم، وقبل إحكام أمرهم، بل قبل أن يتمكنوا

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص١٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٨٢ و ١٨٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٧ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٩٣ و ٣٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٩٠.

من إتمام الإتفاق مع من يريدون أن يعينوهم على رسول الله..

وهذه الحرب الوقائية التي خاضها علي «عليه السلام» بأمر النبي «صلى الله عليه وآله» لها دلالاتها، ومن ذلك:

ألف: قوة جهاز جمع المعلومات عن الأعداء.

ب: دقة تلك المعلومات..

ج: أنها قد وصلت في الوقت المناسب..

د: أن المسلمين استطاعوا أن يفاجئوا عدوهم، وأن يصلوا إليه دون أن يشعر..

هـ: قدرتهم على إبطال نشاطات جهاز استخبارات العدو، وشل حركته، وضربه في المواقع الحساسة منه..

و: دلت على تمكنهم من الإسترشاد بعناصر استخبارات العدو أنفسهم، للحصول على معلومات ثمينة جداً وحساسة عن ذلك العدو..

ز: أعطت هذه الحرب الوقائية المسلمين المزيد من الهيبة في المحيط الذي سوف يستقبل صدى هذه الضربة الموفقة.. وسيزيد في تردد الآخرين في الإقدام على أي عمل يسيء إلى علاقتهم بالمسلمين..

ح: أنها ستزيد المؤمنين ثقة بأنفسهم، وتجرئهم على مواجهة أعدائهم..

ط: تفتح أمامهم آفاقاً جديدة تتمازج فيها القوة والفتوة مع الفكر والتدبير، واجتراح المفاجآت للعدو..

٢ ـ إن بني سعد.. يسعون إلى العدوان على الناس وقتلهم، وإنزال أشد البلاء فيهم، لا لذنب أتوه إليهم، ولا نصرة منهم لمظلوم، أو مناوأة

منهم لظالم.. ولا لأجل تأييد حق وإحقاقه، وإبطال باطل وإزهاقه.

وإنما لمجرد الطمع في الدنيا!! ويا ليته كان طمعاً بشيء ذي بال، تهفوا إليه النفوس، كالحصول على الملك والجاه العريض، وقيادة العساكر، والدساكر، والأمر والنهي، أو يا ليته كان طمعاً بالحصول على الأراضي والدور والبساتين والقصور، وإنما هو طمع بشيء من التمر، الذي يحصل عليه كل أحد، ويستوي فيه الذكي والغبي، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والوضيع والشريف.

ومن الواضح: أن التبرع بقتل الأنبياء والأولياء، وإنزال المصائب والبلايا بالأبرياء، من أجل الحصول على حفنة من تمر، لهو الغاية في قصر النظر، والغباء، وفي الرذالة والسقوط، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..

٣ ـ على أنه لا شيء يضمن لهم أن يفي اليهود لهم بما تعهدوا به، لو تم لهم ما أرادوا، فاليهود هم أهل الطمع والجشع، ولا يمكن أن يتنازلوا لهذه القبيلة الضعيفة عن تمر خيبر، بعد قتلهم النبي والوصي، والقضاء على الإسلام وأهله، وصيرورتهم أسياد المنطقة، بل هم سوف يطردون هؤلاء الرعاع، وينكثون عهدهم.. ولليهود تاريخ عريق في نكث العهود، والخلف في الوعود.. ولا سيما إذا كانت الغلبة لهم، والقوة معهم.

حفيد إبليس:

وزعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان على جبل من جبال تهامة، فجاءه حفيد إبليس، واسمه هامة بن الهيم، بن لاقيس بن إبليس، الذي ادعى أنه تاب على يد نوح..

وذكر أنه عاتبه على دعوته على قومه حتى بكى، وعاتب هوداً على دعوته على قومه حتى بكى، وعاتب صالحاً على دعوته على قومه حتى بكى.. وزار يعقوب، وكان مع يوسف..

ولقي إلياس، ولا زال يلقاه، وكان مع إبراهيم حين ألقي في النار، ولقي موسى، وعيسى الذي حمَّله السلام لمحمد.

فقال «صلى الله عليه وآله»: وعلى عيسى السلام.

فعلمه النبي «صلى الله عليه وآله» سورة المرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، والمعوذتين، وطلب منه «صلى الله عليه وآله» أن لا يدع زيارته[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٤٣٨ و ٤٣٩ عن ابن الجوزي في الموضوعات واللآلي المصنوعة، والنكت البديعات، وعن عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، والعقيلي في الضعفاء، وابن مردويه في التفسير، وأبي نعيم في حلية الأولياء والدلائل، والبيهقي في الدلائل، والمستغفري في الصحابة، وإسحاق بن إبراهيم المنجنيقي، والفاكهي في كتاب مكة، وبحار الأنوار ج٦٠ ص٣٠٣ و ٨٣ ـ ٨٤ وج٣٨ ص٥٤ ـ ٥٧ وج٢٧ ص١٤ ـ ١٧ وج١٨ ص٨٤ وبصائر الدرجات ص٢٧. وراجع: مستدرك الوسائل ج٢ ص٥١٣ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٣١ وج١٤ ص٣٣٠ وج١٥ ص٦١٣ وكنز العمال ج٦ ص١٦٤ ولسان الميزان ج١ ص٣٥٦ والشفا لعياض ج١ ص٣٦٢ والضعفاء للعقيلي ج١ ص٩٨ وج٤ ص٩٦ وإكمال الكمال ج٧ ص٣٣٠ والموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٢٠٧ و ٢٠٨ وميزان الإعتدال ج١ ص١٨٦ والإصابة ج٦ ص٤٠٧.

ونقول:

إننا لا نشك في أن هذه الرواية موضوعة:

أولاً: لما تضمنته من الإساءة إلى ساحة قدس الأنبياء، ونسبة الجهل أو الظلم، والخطأ إليهم..

ثانياً: إنها تنسب التعسف والظلم للساحة الإلهية أيضاً، لأنه تعالى كان يستجيب لدعوات أنبيائه، ويهلك الناس، وهم لا يستحقون ذلك.

ثالثاً: إن حفيد إبليس عندما يكون أتقى وأورع، أو أعقل وأحكم من الأنبياء، فالنبوة تصبح به أليق، وعنهم أبعد..

رابعاً: زعمت رواية حفيد إبليس: أنه كان مع هود في مسجده مع من آمن من قومه[1] مع أن القرآن يصرح بأن قوم هود هلكوا على بكرة أبيهم، ولم ينج منهم إلا هود وأهله إلا امرأته..

إضافات وزيادات مشبوهة:

وقد أضافت النصوص المروية في كتب الشيعة: أنه لما طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعلمه شيئاً من القرآن قال «صلى الله عليه وآله»

---

(١) بحار الأنوار ج٢٧ ص١٦ وبصائر الدرجات ص١١٨ ومدينة المعاجز ج١ ص١٢٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص٣٣٠ وكنز العمال ج٦ ص١٦٥ وضعفاء العقيلي ج١ ص٩٩ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٣ ص٢٦٧ والموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٢٠٧ وميزان الإعتدال ج١ ص١٨٧ ولسان الميزان ج١ ص٣٥٦ والبداية والنهاية ج٥ ص١١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص١٨٦.

لعلي «عليه السلام» علّمه.

فقال هام: يا محمد، إنا لا نطيع إلا نبياً أو وصي نبي، فمن هذا؟!

قال: هذا أخي، ووصيي، ووزيري، ووارثي علي بن أبي طالب.

قال: نعم، نجد اسمه في الكتب إليَّا، فعلمه أمير المؤمنين.

فلما كانت ليلة الهرير بصفين جاء إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»[1].

ونقول:

أولاً: هناك زيادة طويلة ذكرتها الرواية الواردة في روضة الكافي، وفيها ما يناقض هذا الذي ذكر آنفاً، فقد صرحت: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» سأل حفيد إبليس، إن كان يعرف وصيه؟!

فقال: إذا نظر إليه يعرفه بصفته واسمه الذي قرأه في الكتب.

فقال له: انظر، فنظر في الحاضرين، فلم يجده فيهم.

وبعد حديث طويل سأله فيه النبي «صلى الله عليه وآله» عن أوصياء الأنبياء «عليهم السلام»، وأجابه، ووصف له علياً «عليه السلام»، جاء علي «عليه السلام»، فعرفه بمجرد أن وقع نظره عليه.

ثم تذكر الرواية: أن الهام بن الهيم بن لاقيس قتل بصفين[2].

---

(١) تفسير القمي ج١ ص٣٧٥ والتفسير الصافي ج٣ ص١٠٧ وبحار الأنوار ج٦٠ ص٨٤ وج٢٧ ص١٤ و ١٦ وج١٨ ص٨٤ عن تفسير القمي، ونور الثقلين ج٣ ص٨.

(٢) بحار الأنوار ج٣٨ ص٥٤ ـ ٥٧ وج٢٧ ص١٥ ـ ١٧ وأشار في هامشه إلى: =

ثانياً: إن نفس اعتراض هذا الجني على رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين طلب من علي «عليه السلام» أن يعلمه شيئاً من القرآن يدل على خلل أساسي في إيمانه، لأن الإيمان برسول الله «صلى الله عليه وآله» معناه الطاعة له، والإستسلام لأوامره ونواهيه، ومن يرفض ذلك لا يكون كذلك.

ثالثاً: ما الذي جعل لهذا الجني الحق في أن لا يطيع ما عدا الأنبياء وأوصيائهم، حتى حين يأمره الأنبياء والأوصياء بتلك الطاعة؟! وما الذي يميزه عن غيره من بني جنسه في ذلك لو كان الأمر خاصاً به؟!

أليس ذلك يعدُّ معصية للنبي «صلى الله عليه وآله» نفسه؟! وألا يعتبر ذلك من التناقض غير المقبول ولا المعقول، إلا من الحمقى، الذين لا يقدِّرون الأمور كما ينبغي؟!

رابعاً: بل إن الجني ادعى: أن الجن جميعاً لا يطيعون غير الأنبياء وأوصسائهم، حيث قال: «إنَّا لا نطيع».

خامساً: يضاف إلى ذلك: أن الأمر قد صدر لعلي «عليه السلام» من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بحضور ذلك الجني، ولم يكن الأمر من غير النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام» إنما يريد أن يجري أمر الرسول، فما معنى اعتراض ذلك الجني على ذلك الأمر؟!

= الروضة ص٤١ و ٤٢ وبصائر الدرجات ص٢٧ و الروضة في فضائل أمير المؤمنين (بتحقيق علي الشكرچي) ص٢٢٣. وراجع: مدينة المعاجز ج١ ص١٣٦.

الفصل السابع:

أحداث جرت في الحديبية.. وبعدها..

ساقي العطاشى في الجحفة:

قال الشيخ المفيد: روى إبراهيم بن عمر، عن رجاله، عن فايد مولى عبد الله بن سالم، قال: «لما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» في عمرة الحديبية نزل الجحفة، فلم يجد بها ماء، فبعث سعد بن مالك بالروايا، حتى إذا كان غير بعيد رجع سعد بالروايا، فقال: يا رسول الله، ما أستطيع أن أمضي، لقد وقفت قدماي رعباً من القوم!

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: اجلس.

ثم بعث رجلاً آخر، فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذي انتهى إليه الأول رجع، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «لم رجعت»؟!

فقال: والذي بعثك بالحق، ما استطعت أن أمضي رعباً.

فدعا رسول الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما، فأرسله بالروايا، وخرج السقاة وهم لا يشكون في رجوعه، لما رأوا من رجوع من تقدمه.

فخرج علي «عليه السلام» بالروايا حتى ورد الحرار[1] فاستقى، ثم

---

(١) الحرار: جمع حرة، وهي أرض ذات أحجار سود نخرة. الصحاح ج٢ ص٦٢٦.

أقبل بها إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وله زجل[١].

فكبر النبي «صلى الله عليه وآله»، ودعا له بخير»[٢].

ونقول:

١ ـ لا مبرر لرجوع أولئك الرجال الذين أرسلهم النبي «صلى الله عليه وآله» لإحضار الماء، بعد أن رأوا من المعجزات الظاهرة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ما يدعوهما للتفاني والتنافس في تنفيذ أوامره «صلى الله عليه وآله» حباً بالفوز برضاه «صلى الله عليه وآله»، ورغبة بالنجاة في الآخرة..

٢ ـ إن هذه الحادثة تذكرنا أيضاً بما جرى لأبي بكر وعمر في خيبر وفدك وقريظة وذات السلاسل، حيث رجعا بالعسكر منهزمين، يجبن بعضهم بعضاً.

٣ ـ إن علياً «عليه السلام» وحده هو الذي كان الله ورسوله وجهاد في سبيله أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه، وكانت لذته وسعادته في طاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونيل رضا الله تبارك وتعالى.. وقد ظهرت آثار هذه السعادة حين أقبل بالروايا وله زجل، أي رفع الصوت الطَّرِب..

---

(١) الزجل: رفع الصوت الطرب. لسان العرب ج١١ ص٣٠٢.

(٢) الإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٢١ و ١٢٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٥٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٣ وكشف الغمة ج١ ص٢١٠ والإصابة ج٣ ص١٩٩ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٨٨ وكشف اليقين ص١٣٩.

٤ ـ لا ندري لماذا كتمت الرواية اسم الشخص الثاني الذي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» بالروايا، فرجع خائفاً منهزماً؟! مع أنها ذكرت اسم الأول، وهو سعد بن مالك، وذكرت اسم الثالث، وهو علي «عليه السلام»، فهل هو من الفئة التي تعودنا التعصب لها من بعض الفئات إلى حد تزوير الحقائق، إن لم يمكن إخفاؤها؟! هل هو أبو بكر، أو عمر مثلاً؟!

ونود أن لا تذهب بنا الظنون، فنحسب أن ذكر سعد بن مالك كان للتمويه وإبعاد الشبهة عمن يحبون؟!

لا ولكنه خاصف النعل:

وقالوا أيضاً: «وفي هذه الغزاة أقبل سهيل بن عمرو إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال له: يا محمد، إن أرقاءنا لحقوا بك، فارددهم علينا.

فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى تبين الغضب في وجهه، ثم قال: لتنتهن ـ يا معشر قريش ـ أو ليبعثن الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان، يضرب رقابكم على الدين.

فقال بعض من حضر: يا رسول الله، أبو بكر ذلك الرجل؟!

قال: لا.

قيل: فعمر؟!

قال: لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة.

فتبادر الناس إلى الحجرة ينظرون من الرجل!! فإذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»..».

وروى جماعة هذا الحديث عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقالوا فيه: إن علياً قص هذه القصة، ثم قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

وكان الذي أصلحه أمير المؤمنين من نعل النبي «صلى الله عليهما وآلهما» شسعها، فإنه كان انقطع، فخصف موضعه، وأصلحه»(١).

ونلاحظ هنا ما يلي:

١ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد غضب هذا الغضب الشديد، انتصاراً منه لأناس مستضعفين، ظلمهم أسيادهم بحرمانهم من حق الحرية الإعتقادية والدينية.

---

(١) الإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٢٢ و ١٢٣ وأشار في هامشه إلى: كفاية الطالب ص٩٦ ومصباح الأنوار ص١٢١ وباختلاف يسير في سنن الترمذي ج٥ ص٢٩٧ وإعلام الورى ص١٩١ وفي (ط أخرى) ص٣٧٢ وتاريخ بغداد ج١ ص١٣٣ والمستدرك على الصحيحين ج٤ ص٢٩٨ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٦٠ و ٣٦٤ وج٣٢ ص٣٠١ وج٣٦ ص٣٣ وج٣٨ ص٢٤٧ والإفصاح ص١٣٥ والعمدة لابن البطريق ص٢٢٤ وعوالي اللآلي ج٤ ص٨٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٤١ ودرر الأخبار ص١٧٤ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص٢٣٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٣ والمناقب للخوارزمي ص١٢٨ وكشف الغمة ج١ ص٢١١ ونهج الإيمان ص٥٢٣ وكشف اليقين ص١٠٦.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل هو يهدد قريشاً، التي كانت ترى نفسها سيدة المنطقة العربية بأسرها، وترى أن لها الحق ـ من موقعها الديني، وكذلك من موقع مالكيتها لأولئك الأرقاء ـ أن يكون القرار الأول والأخير بالنسبة لأرقائها بيدها، لا ينازعها فيه أحد..

والناس يعترفون لها بهذا وذاك، ويقرونها على ما تزعمه لنفسها..

نعم، إن النبي «صلى الله عليه وآله» ليس فقط لا يعترف لها بشيء مما تزعمه لنفسها ويزعمه الناس لها، وإنما هو يعطي لنفسه الحق في شن حرب كاسحة، ومدمرة، يريد لها أن تنتهي بضرب رقاب نفس هؤلاء الأسياد المتسلطين، حتى لو كانوا من قريش، أو كانوا سدنة البيت، لمجرد ضمان حرية الفكر والعقيدة حتى لمن هم عبيد أرقاء لهم، وقد اشتراهم أولئك الناس بأموالهم. لأن ملكيتهم لهم لها حدود وقيود، ولا تصل إلى حد منعهم من التفكير، والتدخل في اعتقاداتهم.

٢ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يهدد قريشاً بطريقة تجد فيها الشواهد على جدية ذلك التهديد، وأنه يسير باتجاه التنفيذ، حيث صرح لها: بأن من يتولى تنفيذ هذا القرار هو من نفذ مهمات مشابهة بكل دقة وأمانة وحزم.. ولم تزل تشهد قريش والمنطقة بأسرها آثار جهده وجهاده، طاعة لله ولرسوله..

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يصوغ هذا التهديد بطريقة تستدعي طرح الأسئلة لمعرفة المزيد من الأوصاف، أو تدعو للتصريح باسم هذا الذي أشار إليه..

٤ ـ لا ندري، فلعل طرح اسمي أبي بكر، وعمر، ليجيب النبي «صلى

الله عليه وآله» بنفي أن يكونا مرادين في كلامه، قد جاء من قبل شخص يريد أن يسمع الناس هذا التصريح، لقطع دابر الكيد الإعلامي الذي قد يمارسه ذلك الحزب الذي عرف بالانحراف عن علي «عليه السلام» منذ بدايات الهجرة، وربما قبل ذلك أيضاً.

أو أنه كان يريد أن يظهر مقام الخليفتين من رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى إن اسمهما ليطرح قبل أن يطرح اسم أي رجل آخر.

ولعل النبي «صلى الله عليه وآله» قد عرَّف بعض أهل السر عنده بما يدبره هؤلاء في الخفاء، مما له مساس بمستقبل الدين والأمة، فكان بعض أهل السر يشعرون بأنه لا بد من إيضاح الأمور للناس بطريقة أو بأخرى، ليتحملوا مسؤولياتهم، بعد أن تكون الحجة عليهم قد تمت..

٥ ـ يسجل النبي «صلى الله عليه وآله» هذا الوسام الرائع لأمير المؤمنين «عليه السلام» في إطار فريد ورائع، حين بيَّن أن هذا الذي يستطيع أن يضرب رقاب قريش على الدين، ليس ممن يرغب في شيء من حطام الدنيا، وليس هو ممن يميِّزون أنفسهم عن الآخرين..

وهو إنسان لا يمدح بكثرة المال، ولا بشيء مما يمدح به أهل الدنيا، ولا يحتاج في استحضار صورته إلى أي إطار تظهر عليه الألوان، والأشكال، والزخرفات، بل هو يظهر في صورته وهو يخصف نعلاً.. وهي صورة لا يتوقعون ظهور الحاكم والقائد والرئيس فيها في أي من الظروف والأحوال.

واللافت: أن هذه النعل التي يخصفها ليست له، وإنما هي لغيره، إنها لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. الأمر الذي يشير إلى طبيعة نظرته لنفسه،

ويؤكد صحة ما يلهج به، حيث يقول: أنا عبد من عبيد محمد(١).

٦ ـ إن قوله «صلى الله عليه وآله» عن أولئك المستضعفين: «هم عتقاء الله» يستبطن أمرين:

أحدهما: أنه ليس هو المسؤول عنهم، ولا المطالب بهم، بل هم الذين خرجوا وفروا من سلطان قريش، وليس لقريش أن تطالبه بأن يبسط سلطتها على أرقائها، ولا استنابته بملاحقتهم كلما هربوا منها.

وبنود صلح الحديبية لا تشمل هؤلاء؛ لأنهم قد هربوا من قريش قبل عقده، والصلح إنما يعالج الحالات التي تحدث بعد توقيعه.

الثاني: أن إسلامهم هو الذي أعتقهم، فإن العبد إذا أسلم في دار الحرب قبل مولاه، فالمروي: أن ذلك من أسباب عتقه، خصوصاً إذا خرج إلى دار الإسلام قبله(٢).

---

(١) الكافي ج١ ص٩٠ وشرح أصول الكافي ج٣ ص١٣٠ و ١٣١ والإحتجاج ج١ ص٣١٣ وعوالي اللآلي ج١ ص٢٩٢ والفصول المهمة في أصول الأئمة ج١ ص١٦٨ وبحار الأنوار ج٣ ص٢٨٣ ونور البراهين ج١ ص٤٣٠ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٦٤ وميزان الحكمة ج١ ص١٤٤ وج٤ ص٣٢٠٧ ونور الثقلين ج٥ ص٢٣٣.

(٢) سنن البيهقي ج٩ ص٢٢٩ و ٢٣٠ وراجع: تهذيب الأحكام ج٦ ص١٥٢ والنهاية للطوسي ص٢٩٥ والوسائل كتاب الجهاد ج١١ ص٨٩ والتنقيح الرائع ج٣ ص٢٥٦ والسرائر ج٢ ص١٠ و ١١ ومسالك الأفهام ج١٠ ص٣٥٧ و =

وهؤلاء قد أسلموا وخرجوا إلى دار الإسلام قبل أسيادهم، وهذا معناه: أنه لا سلطة لقريش عليهم، لأنهم خرجوا عن صفة الرق باختيارهم الإسلام. فلا يجوز لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يرجعهم إليه، أو أن يساعد على ذلك؛ لأن ذلك عدوان عليهم، ومصادرة لحرياتهم، بل أصبح من واجبه «صلى الله عليه وآله» الدفاع عنهم، والمنع من ظلمهم، ومن استعبادهم.

بيعة النساء في الحديبية:

قال الشيخ المفيد رحمه الله: «وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» المبايع للنساء عن النبي «صلى الله عليه وآله»، وكانت بيعته لهن يومئذ: أن طرح ثوباً بينه وبينهن، ثم مسحه بيده، فكانت مبايعتهن للنبي «صلى الله عليه وآله» بمسح الثوب، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يمسح ثوب علي بن أبي طالب «عليه السلام» مما يليه[١].

ويلاحظ هنا أمران:

الأول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» وعلياً «عليه السلام» قد استفادا في بيعة النساء، من طريقة مبتكرة، تعطي المعنى وتدل على المقصود بصورة

= ٣٥٨ وشرائع الإسلام كتاب العتق وكتاب الجهاد، وكنز العرفان (ط مؤسسة آل البيت) ج٢ ص١٢٩ وعوالي اللآلي ج٣ ص١٨٧.

(١) الإرشاد ج١ ص١١٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ح٢ ص٦٢٢ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٥٨.

كافية، ومفهومة.. لأنهما يريدان تحاشي أمر محظور، وهو مصافحة النساء، أو أي شيء يعطيهن المزيد من الجرأة على الإقتراب من الرجل، ولو بمثل أن تمسح على الثوب الذي يلبسه النبي «صلى الله عليه وآله» أو علي «عليه السلام».

الثاني: قد يقال: إن المفروض هو أن تختص البيعة بالرجال ولا داعي لبيعة النساء، لأن الرجال هم الذين يضحون، وهم الذين يحاربون، وهم أصحاب القرار.. أما النساء فلا شأن لهن في ذلك..

ونجيب: بأنه وإن كان ليس على النساء قتال ونزال، ولا يتولين القضاء والحكومة، ولكن ذلك لا يعني أنهن لا دور لهن، بل لهن دور في الكثير من الشؤون، التي لا بد من التزامهن بما يرضي الله، وبطاعة رسوله فيها، فلا بأس بأخذ البيعة منهن على الإلتزام بمثل هذه الأمور..

ثم إننا لا نوافق على القول بأنه لا شأن للمرأة في كثير من الأمور، فإن المقصود إن كان هو إعادة تكريس المنطق الجاهلي الذي يسلب المرأة حقوقها التي جعلها الله لها، فهذا مرفوض جملة وتفصيلاً..

وإن كان المقصود: أن شؤونها ليست بذات أهمية، لكي تؤخذ منها البيعة، فهو غير صحيح أيضاً، فإن مقام السيدة الزهراء «عليها السلام» عند الله يدلنا على أهمية الشؤون التي تعود إليها، والتي استحقت مقامها هذا لقيامها بتلك الواجبات على أكمل وجه.

على أننا نقول:

إن للرجال شؤوناً تخصهم، وليس للمرأة فيها نصيب، وللمرأة شؤون

ليس للرجال فيها نصيب، لأن كلاً منهما مهيأ لما خلق له.

وامتياز الرجال أو بعضهم على النساء، أو على بعضهن، إذا اقتضته شؤون الخلقة، والتكوين، فإنما كان بسبب انسجام هذه الميزات، مع تلك المسؤوليات الملقاة على عاتق هذا أو ذاك، لكي تحقق أهدافاً تحتاج إلى هذه الميزات أو تلك، بهذا المستوى من الفعالية والتأثير..

علي عليه السلام في الحديبية:

لقد كان من حق المسلمين أن يمارسوا حريتهم في التفكير، وفي التقديس، والإعتقاد، والعبادة، وما إلى ذلك.. ومن حقهم أيضاً أن يزوروا بيت الله تبارك وتعالى، ويؤدوا مناسكهم، وليس من حق أحد أن يمنعهم منه. فكيف إذا كان البلد الذي يقع فيه هذا البيت هو وطن من يريد زيارته، وقد ولد وعاش فيه، ثم ظلم وقهر، وأجبر على الخروج منه، والتغرب عنه.

وها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرر المسير إلى زيارة بيت الله للعمرة، فلماذا هبت قريش لمواجهته ومواجهة المسلمين، ومنعهم من دخول بيت الله، حتى تطورت الأمور، واصطف المسلمون والمشركون للقتال؟!

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: «كان اللواء يومئذٍ إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، كما كان في المشاهد كلها..

وكان من بلائه في ذلك اليوم عند صف القوم في الحرب للقتال، ما ظهر خبره، واستفاض ذكره، وذلك بعد البيعة التي أخذها النبي «صلى الله

عليه وآله» على أصحابه، والعهود عليهم بالصبر[١].

فلجأت قريش إلى طلب الصلح، على أن يرجع النبي «صلى الله عليه وآله» بمن معه في عامه هذا، ثم يحجون في العام الذي بعده..

وتقرر كتابة كتاب في ذلك، ونزل الوحي على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن يجعل أمير المؤمنين «عليه السلام» كاتبه يومئذٍ، والمتولي لعقد الصلح بخطه[٢].

وقبل متابعة الحديث نشير إلى ما يلي:

أولاً: لقد عَجزَ التاريخ عن الإفصاح عن حقيقة ما فعله علي «عليه السلام» حين اصطفاف الفريقين، وكيف استفاض ذكر ما جرى، وظهر خبره، ولم نجد منه شيئاً إلى يومنا هذا؟!

ألا يدلنا ذلك على أن ثمة يداً خائنة قد عبثت بالحقائق، وأسقطت ما أمكنها إسقاطه، أو حرفت ما لم يمكن التستر عليه.. مما يرتبط بأمير المؤمنين «عليه السلام»؟!

ثانياً: إن كتابة علي «عليه السلام» الكتاب في الحديبية كانت بأمر من الله تعالى، وهذا يدل على أن هناك شيئاً اقتضى هذا الأمر الإلهي.. فهل هو أنه

---

(١) الإرشاد ج١ ص١١٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٥٨ والمستجاد من كتاب الإرشاد ص٧٣.

(٢) الإرشاد ج١ ص١١٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٥٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٧.

سيجري له «عليه السلام» في واقعة التحكيم، مثل ما جرى في هذه الواقعة؟! أي أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يخبر الناس بما سيجري لعلي في التحكيم ليكون ذلك من دلائل مظلوميته، ومن شواهد إمامته، ومن موجبات زيادة يقين الناس بهذا الأمر؟! أو لأنه لو تصدى غيره لكتابة الكتاب لم يحسن التصرف، أو كان قد تصرف على خلاف رضا الرسول «صلى الله عليه وآله»؟!

قد يكون كل ذلك مأخوذاً بنظر الإعتبار..

ما جرى حين كتابة الكتاب:

هناك تفاصيل مختلفة تذكر لما جرى حين كتابة الكتاب في الحديبية.. وقد أوعزنا إليها في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»، الجزء الخامس عشر.. ونذكر منها هنا ما يرتبط بأمير المؤمنين علي «عليه السلام»، وخلاصة ما قالوه:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: أكتب:

بسم الله الرحمان الرحيم..

فاعترض سهيل بن عمرو ـ مبعوث المشركين ـ وطلب أن يكتب: باسمك اللهم، فاستجاب النبي «صلى الله عليه وآله» لهذا الطلب..

ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله..

فقال سهيل: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، اكتب في قضيتنا ما نعرف، أكتب محمد بن عبد الله..

فقال «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: امحه.

فقال علي «عليه السلام»: ما أنا بالذي أمحاه (أو أمحاك).

وفي حديث محمد بن كعب القرظي: فجعل علي يتلكأ، وأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اكتب، فإن لك مثلها تعطيها، وأنت مضطهد[١].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ وفي هامشه: عن صحيح البخاري ج٥ ص٣٥٧ (٢٦٩٩) ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٨ و ٨٦ وج٥ ص٢٣ و ٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٢٠ و ٢٢٧ وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٢٠) والطبري في جامع البيان ج٢٦ ص٥٩ و ٦٣ وابن كثير في التفسير ج٧ ص٣٢٤ وانظر مجمع الزوائد ج٦ ص١٤٥ و ١٤٦. وراجع: ميزان الحكمة ج٤ ص٣١٩٦ ومجمع البيان ج٩ ص١٩٩ والميزان ج١٨ ص٢٦٩ والمناقب للخوارزمي ص١٩٣ وصفين للمنقري ص٥٠٩ والمسترشد ص٣٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٣٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٨ وينابيع المودة ج٢ ص١٨ والأنوار العلوية ص٢٤٩ وعن الإحتجاج ج١ ص٢٧٧ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٣ ونور الثقلين ج٥ ص٥٣ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢١٤ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٣٥ وج٣٣ ص٣١٤ و ٣١٦ و ٣١٧ وج٣٢ ص٥٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٤٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٣.

وعن وعد النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي بأن له مثلها وهو مقهور راجع أيضاً: =

وذكر الواقدي: أن أسيد بن حضير، وسعد بن عبادة أخذا بيد علي «عليه السلام»، ومنعاه: أن يكتب إلا محمد رسول الله، وإلا فالسيف بيننا وبينهم[1].

ونقول:

إن لنا هنا وقفات، نذكر منها ما يلي:

من كتب العهد في الحديبية:

زعم بعضهم: أن كاتب العهد في الحديبية هو محمد بن مسلمة[2].

= تاريخ الخميس ج٢ ص٢١ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٤ وحبيب السير ج١ ص٣٧٢ وتفسير البرهان ج٤ ص١٩٣ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٥٢ و ٣٥٧ وتفسير القمي، والخرايج والجرايح، والخصائص للنسائي (ط التقدم بمصر) ص٥٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٩٠ وج ٢ ص٥٨٨ والمغني لعبد الجبار ج١٦ ص٤٢٢ وينابيع المودة ص١٥٩ وصبح الأعشى ج١٤ ص٩٢.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥١ ـ ٥٤ وفي هامشه قال: وأخرجه أبو داود في الجهاد باب (١٦٧) وأحمد ج٤ ص٣٢٩ و ٣٣٠ والسيوطي في الدر المنثور ج٦ ص٧٦ وصحيح مسلم ج٥ ص١٧٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٠ وكنز العمال ج١٠ ص٤٨٠ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٧.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٢٤ و ٢٥ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٤٣ ورسالات نبوية ص١٧٩.

وعن معمر قال: سألت عنه الزهري، فضحك، وقال: هو علي بن أبي طالب، ولو سألت عنه هؤلاء قالوا: عثمان(١).

ولعلهم حاولوا استخلاصه من قولهم: إن قريشاً أبت إلا أن يكتب علي «عليه السلام» أو عثمان(٢).

ونقول:

أولاً: تقدم: أن الوحي هو الذي أمر بأن يتولى علي «عليه السلام» كتابة العهد في الحديبية.

ثانياً: تكاد المصادر تجمع على أن علياً «عليه السلام» هو كاتب العهد(٣).

---

(١) راجع: المصنف للصنعاني ج٥ ص٣٤٣ والنزاع والتخاصم ص١٢٧ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٨٥ وج٣ ص٨٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٣ ص٤٦٠.

(٢) مكاتيب الرسول ج٣ ص٨٥ عن: المغازي للواقدي ج٢ ص٦١٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٣ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج٢ ص٢١٢.

(٣) راجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٠٥ والنزاع والتخاصم ص١٢٧ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٢ و ٣١٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٩ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٨ و ٥٨ عن المصادر التالية:

الدر المنثور ج٦ ص٧٨ والحلبية ج٣ ص٢٣ و ٢٥ و ٢٠ والمغازي للواقدي ج٢ =

= ص٦١٠ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٤ وج١ ص٧٣ و ٢٠٣ وج٣ ص٢١٤ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٤٣ وأنساب الأشراف (تحقيق محمد حميد الله) ص٣٤٩ ومسند أحمد ج١ ص٣٤٢ وج٣ ص٢٦٨ وج٤ ص٢٩٨ و ٨٦ و ٣٢٥ وصحيح البخاري ج٢ ص٧٣ وج٣ ص٢٤١ و ٢٤٢ وج٤ ص١٢٦ و ج٥ ص١٧٩ وصحيح مسلم ج٣ ص١٤٠٩ ـ ١٤١١ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٤٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٧٩ وج٩ ص٢٢٦ و ٢٢٧ والمصنف لإبن أبي شيبة ج١٤ ص٤٣٥ و ٤٣٩ وبحار الأنوار ج١٨ ص٦٢ وج٢٠ ص٣٢٧ و ٣٣٣ و ٣٣٥ و ٣٥١ ـ ٣٥٣ و ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٧١ وج٣٣ ص٣١٤ وج٣١ ص٢٢١ ونيل الأوطار للشوكاني ج٨ ص٤٥ وجامع البيان ج٢٦ ص٦١ وتفسير النيسابوري (بهامش جامع البيان) ج٢٦ ص٤٩.

وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٠ ص٢٥٨ وج٢ ص٢٧٥ والبرهان ج٤ ص١٩٢ و ١٩٣ والبداية والنهاية ج٤ ص١٦٩ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٥ وفتح الباري ج٥ ص٢٢٣ وج٧ ص٢٨٦ والكافي ج٨ ص٣٢٦ ومرآة العقول ج٢٦ ص٤٤٤ وأدب الإملاء والإستملاء ص١٢ وصفين للمنقري ص٥٠٨ و ٥٠٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ق١ ص٧١ ورسالات نبوية ص١٧٨ والمطالب العالية ج٤ ص٢٣٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٤ و ٣٥ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٥ ـ ٢٧٧ وروح المعاني ج٩ ص٥ وعمدة القاري ج١٤ ص١٢ و ١٣ و ج١٣ ص٢٧٥ ونور الثقلين ج٥ ص٥٢=

= و ٥٣ وتفسير الصافي ج٥ ص٣٥ و ٣٦ وحبيب السير ج١ ص٣٧٢ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٦٧ ومجمع البيان ج٩ ص١١٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢١ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٤ وج٣ ص٣٢٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٦٣٦ وشرح بهجة المحافل ج١ ص٣١٦ و ٣١٧ والمواهب اللدنية ج١ ص١٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٩٠.

وراجع: ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٤٦ و ١٤٧ وحدائق الأنوار ج٢ ص٦١٦ والأموال ص٢٣٢ و ٢٣٣ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٢ وتفسير الخازن ج٤ ص١٥٦ و ١٥٧ وكشف الغمة ج١ ص٢١٠ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٠ وإعلام الورى ص٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ و ٥٣ وعن السنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٥ وعن المستدرك للحاكم ج٣ ص١٢٠ وعن تاريخ بغداد ونهاية الأرب ج١٧ ص٢٣٠ وأصول السرخسي ج٢ ص١٣٥ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢٢ و ٢٢٣ ومسند أبي عوانة ج٤ ص٢٣٧ و ٢٣٩ وصبح الأعشى ج١٤ ص٩٢ والعثمانية ص٧٨ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص٢١٥ وخصائص الإمام علي «عليه السلام» للنسائي ص١٥٠ و ١٥١ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٢ ص٢٣٣ ـ ٢٣٦ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٤١٩ و ٤٢٠ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٤١ و ٦٤٢ وج١٨ ص٣٦١ عن بعض من تقدم وعن مصادر أخرى. ومشكل الآثار ج٤ ص١٧٣ والرياض النضرة ج٢ ص١٩١.

ثالثاً: صرح ابن حجر: بأن قولهم: بأن كاتب الكتاب هو ابن مسلمة من الأوهام(١).

ونحن نخشى أن يكون المقصود هو مكافأة محمد بن مسلمة على مشاركته في الهجوم على بيت فاطمة الزهراء «عليها السلام» فور وفاة أبيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

كما أنه يهدف إلى التشكيك في كل عملٍ إيجابي أو فضيلة أو كرامة لعلي «عليه السلام»، والسعي لمنحها لمناوئيه وأعدائه.

حديث امتناع علي عليه السلام:

تقدم قولهم: إن علياً «عليه السلام» امتنع عن محو اسم النبي «صلى الله عليه وآله»، وذكرنا بعض مصادره، ويضيف ابن حبان: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» بمحو اسمه مرتين، فأبى ذلك فيهما معاً(٢).

قال السرخسي: «وطاب لأتباع المذاهب أن يقولوا لشيعة علي «عليه السلام»: إذا كنتم قد استطعتم أن تحشدوا الشواهد المتواترة، بل التي لا تكاد تحصى على مخالفات صريحة، وقبيحة، ومؤذية للصحابة الكبار، فإن

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٢٤ و ٢٥ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٠٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج٣ ص٤٣ ورسالات نبوية ص١٧٩ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٨٤.

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢٢ و ٢٢٣.

علياً «عليه السلام» قد وقع بنفس المحذور، حين امتنع عن طاعة أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الحديبية بمحو اسمه الشريف[١].

وفي سؤال وجه للسيد المرتضى، جاء ما يلي: «..ليس يخلو، إما أن يكون قد علم أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يأمر إلا بما فيه مصلحة، وتقتضيه الحكمة والبينات، وأن أفعاله عن الله سبحانه وبأمره، أو لم يعلم.

فإن كان يعلم، فلمَ خالف ما علم؟!

وإن كان لم يعلمه، فقد جهل ما تدَّعيه العقول من عصمة الأنبياء عن الخطأ، وجوَّز المفسدة فيما أمر به النبي «صلى الله عليه وآله» لهذا، إن لم يكن قطع بها.

وهل يجوز أن يكون أمير المؤمنين «عليه السلام» توقف عن قبول الأمر، لتجويزه أن يكون أَمْرُ **النبي** «صلى الله عليه وآله» معتَبِراً له ومختبراً؟! مع ما في ذلك لكون النبي «صلى الله عليه وآله» عالماً بإيمانه قطعاً، وهو خلاف مذهبكم، ومع ما فيه من قبح الأمر على طريق الاختبار بما لا مصلحة في فعله على كل حال.

فإن قلتم: إنه يجوز أن يكون النبي «صلى الله عليه **وآله**» قد أضمر محذوفاً، يخرج الأمر به من كونه قبيحاً.

قيل لكم: فقد كان يجب أن يستفهم ذلك، ويستعلمه منه، ويقول: فما

---

(١) أصول السرخسي ج٢ ص١٣٥.

أمرتني قطعاً من غير شرط أضمرته أولاً»[١].

ونقول:

أولاً: لقد أجاب السيد المرتضى بما يتوافق مع مذاق المعترض في نظرته للأمور، ونوضح مراده على النحو التالي:

لو سلمنا: صدور هذا الأمر، فإن إمتناع وتوقف علي «عليه السلام» عن المحو لا يدل على عدم عصمته، لأنه جوَّز أن يكون أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بالمحو ليس أمراً حقيقياً، بل مجاراة لسهيل، لا لأنه «صلى الله عليه وآله» يُؤْثِر ذلك.. فتوقف حتى يظهر: أنه مُؤْثِرٌ له.

وتوقفه هذا يقوم مقام الإستفهام، لتتأكد له حقيقة هذا الطلب، وأنه أمر حقيقي، أو ليس بحقيقي[٢]. لا سيما وأنه «عليه السلام» يعلم أن المحو هو رغبة المشركين، وليس رغبة النبي «صلى الله عليه وآله».

قال العيني عن قوله «عليه السلام»: «ما أنا بالذي أمحاه: ليس بمخالفة لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ لأنه علم بالقرينة أن الأمر ليس للإيجاب»[٣].

وقال القسطلاني، والنووي: «قال العلماء: وهذا الذي فعله علي من باب الأدب المستحب، لأنه لم يفهم من النبي «صلى الله عليه وآله» تحتُّم محوٍ على نفسه، ولهذا لم ينكر عليه، ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلي تركه، ولا

---

(١) رسائل الشريف المرتضى ج١ ص٤٤١ و ٤٤٢.

(٢) رسائل الشريف المرتضى ج١ ص٤٤٢.

(٣) رسائل الشريف المرتضى ج١ ص٤٤٣.

أقره النبي «صلى الله عليه وآله» على المخالفة»[١].

ثانياً: إن المسارعة للمحو قد لا تكون مستحبة، ولعل النبي «صلى الله عليه وآله» كان يرغب بهذا التلبث والتريث، ليظهر به أن اصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، لا يرضون بأن يتعرض النبي «صلى الله عليه وآله» لكسر كلمته، وإهانته وإظهار ضعفه، ثم يكون إصراره «صلى الله عليه وآله» على المحو هو الذي يحسم الأمر.. فلم يكن هذا المحو بسبب قوة المشركين وضعف عزيمة المسلمين، بل كان تفضلاً وتكرماً من الرسول، ورفقاً وسجاحة خلق..

ثالثاً: قد يكون الأمر للتخيير، مثل جالس الحسن وابن سيرين، وقد يكون للإباحة، مثل قوله تعالى: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**﴾[٢].. وكالأمر عقيب الحظر، أو عقيب توهمه. وهو هنا من هذا القبيل، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رفع الحظر عن محو اسمه بقوله: «امحه». وهو لا يدل على أكثر من إباحة ذلك..

ثالثاً: إن هذه القضية موضع شك وريب من أساسها، وذلك لأسباب عديدة، سوف نوردها في الفقرة التالية..

الشك فيما ينسب لعلي عليه السلام:

إن شكنا في صحة ما ينسب إلى علي «عليه السلام» يستند إلى الأمور التالية:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» يقول: «لقد علم المستحفظون من أصحاب

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٢ ص١٣٥.

(٢) الآية ١٥ من سورة الملك.

محمد: أني لم أردَّ على الله ولا على رسوله ساعة قط الخ..»[١].

وأما عدم محو اسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين قال له «صلى الله عليه وآله» فالظاهر أنه «عليه السلام» عرف أن أمر يفيد اباحة هذا الفعل لعلي «عليه السلام». وان الأمر يعود إليه «عليه السلام» وأنه لا مانع عند النبي «صلى الله عليه وآله» من محو الإسم..

وقال المعتزلي ـ وهو يشير إلى اعتراضات بعض الصحابة على النبي «صلى الله عليه وآله» في الحديبية ـ: «إن هذا الخبر صحيح لا ريب فيه، والناس كلهم رووه»[٢].

ويؤكد ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: «علي مع الحق، والحق مع علي، يدور معه حيث دار»، أو «علي مع القرآن، والقرآن مع علي»، ونحو ذلك[٣]. فإن من يكون مع الحق ومع القرآن، لا يمكن أن

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٩٦ و ١٩٧ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٠ ص١٧٩ و ١٨٠ وغرر الحكم ج٢ ص٢٨٨ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٥٤ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣١٩ والأنوار البهية ص٥٠ والمراجعات ص٣٣٠ وينابيع المودة ج١ ص٢٦٥ وج٣ ص٤٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٠ ص١٨٠.

(٣) راجع: دلائل الصدق ج٢ ص٣٠٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٨ ص٧٢ وعبقات الأنوار ج٢ ص٣٢٤ عن السندي في دراسات اللبيب ص٢٣٣ وكشف الغمة ج٢ ص٣٥ وج١ ص١٤١ ـ ١٤٦ والجمل ص٨١ وتاريخ بغداد ج١٤ =

تصدر منه مخالفة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا عصيان لأمره.

ويؤكد مدى طاعة علي للرسول «صلى الله عليه وآله»، قوله «عليه السلام»: أنا عبد من عبيد محمد[١].

فهل يمكن أن يقارن من هذا حاله بمن يقول عن نفسه: أنا زميل محمد؟**!**[٢].

وقد بلغ في التزامه بحرفية أوامره «صلى الله عليه وآله»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له في خيبر: «اذهب ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك».

فمشى هنيهة، ثم قام ولم يلتفت للعزمة، ثم قال: علام أقاتل الناس؟

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله[٣].

= ص٣٢١ والمستدرك ج٣ ص١١٩ و ١٢٤ وربيع الأبرار ج١ ص٨٢٨ و ٨٢٩ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٣٤ ونزل الأبرار ص٥٦ وفي هامشه عنه وعن: كنوز الحقائق ص٦٥ وعن كنز العمال ج٦ ص١٥٧ وملحقات إحقاق الحق ج٥ ص٧٧ و ٢٨ و ٤٣ و ٦٢٣ و ٦٣٨ وج ١٦ ص٣٨٤ و ٣٩٧ وج٤ ص٢٧ عن مصادر كثيرة جداً.

(١) بحار الأنوار ج٣ ص٢٨٣ والتوحيد للصدوق ص١٧٤ والإحتجاج ج١ ص٤٩٦ والكافي ج١ ص٩٠ وشرح أصول الكافي ج٣ ص١٣٠ و ١٣١ وعوالي اللآلي ج١ ص٢٩٢ والفصول المهمة ج١ ص١٦٨ وبحار الأنوار ج٣ ص٢٨٣ وعن ج١٠٨ ص٤٥ ونور البراهين ج١ ص٤٣٠.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٩١ والغدير ج٦ ص٢١٢ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٩٠ وج٣ ص٧١٦ والفايق في غريب الحديث ج١ ص٤٠٠ وج٢ ص١١.

(٣) راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٩٣ والإحسان بترتيب =

وقال ابن عباس لعمر، عن علي «عليه السلام»: إن صاحبنا من قد علمت، والله إنه ما غيَّر ولا بدل، ولا أسخط رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيام صحبته له(١).

= صحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٨٠ وإسناده صحيح، ومسند أحمد ج٢ ص٣٨٤ ـ ٣٨٥ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢١ وسنن سعيد بن منصور ج٢ ص١٧٩ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٥٨ و ٥٩ و ٥٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج١ ص١٥٩ والغدير ج١٠ ص٢٠٢ وج٤ ص٢٧٨ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص٢٠٠ ومسند الطيالسي ص٣٢٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص١١٠ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٣٦ وج١٢ ص٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين ج٢ ص٥٠٣ والأمالي للطوسي ص٣٨١ والعمدة ص١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٩ والطرائف ص٥٩ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٧ وج٣٩ ص١٠ و ١٢ والنص والإجتهاد ص١١١ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٦٦ والسنن الكبرى ج٥ ص١١١ ورياض الصالحين ص١٠٨ وكنز العمال ج١ ص٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٢ وجواهر المطالب ج١ ص١٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٥ وينابيع المودة ج١ ص١٥٤.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص٥١ ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج٥ ص٢٢٩ وج١٣ ص٤٥٤ وحياة الصحابة ج٣ ص٢٤٩ عنه وعن الزبير بن بكار في الموفقيات، وقاموس الرجال ج٦ ص٢٥ والدر المنثور ج٤ ص٣٠٩.

ولو أنه خالف أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الحديبية، لكان النبي «صلى الله عليه وآله» سخط منه، ولم يصح قول ابن عباس هذا.

ثانياً: إن الساعين للطعن في علي «عليه السلام»، وتقبيح ما يصدر منه والتحايل عليه، لا يحدهم حد، ولا يقعون تحت عد، فلو كان قد صدر منه أمر قبيح لكانوا قد ملأوا الدنيا بأرجازهم وأزجالهم، ولكانوا قد تفننوا وتفاصحوا في خطبهم الطنانة والرنانة في لومه، وتوجيه الإهانات له، والغمز من قناته..

ثالثاً: إن النصوص ليست على نسق واحد في بيانها لهذا الأمر، بل في بعضها تصريح بما يكذب هذه النسبة..

فقد أظهرت بعض النصوص: أن اعتراض سهيل، قد أحفظ المسلمين، فبادر بعضهم للإمساك بيد علي «عليه السلام» ومنعه من الكتابة[1].

وإن كنا نرى أن الأوفق بالطاعة هو انتظار أمر النبي «صلى الله عليه وآله» لا المبارزة إلى الإمساك بيد علي «عليه السلام»..

وفي بعضها: أن سهيلاً هو الذي طلب من علي «عليه السلام» محو الاسم الشريف، فرفض «عليه السلام» طلبه.

فبادر «صلى الله عليه وآله» للطلب من علي أن يضع يده على اسمه

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦١٠ و ٦١١ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٩٦ وغاية البيان في تفسير القرآن ج٦ ص٥٨ و ٥٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٣ والسيرة الحلبية (ط المعرفة) ج٢ ص٧٠٨.

الشريف، حسماً للنزاع، وإعزازاً منه لعلي «عليه السلام»[١].

وعن علي «عليه السلام»: أن المشركين هم الذين راجعوه في هذا الأمر[٢].

رابعاً: في نص آخر: أن علياً «عليه السلام» هو الذي محا الكلمة، وقال للنبي «صلى الله عليه وآله»: لولا طاعتك لما محوتها[٣].

ولعل الجدال الذي جرى بين علي «عليه السلام» وسهيل قد انتهى بتدخل الصحابة للإمساك بيد علي «عليه السلام»، ثم تدخل النبي «صلى الله عليه وآله» بقوله:

ضع يدي عليها، وبذلك يكون قد حفظ أصحابه، ولم يعطل عملية الصلح.

ويؤيد ذلك: أن علياً «عليه السلام» قد محا عبارة: بسم الله الرحمان الرحيم، وكتب: باسمك اللهم، قائلاً: لولا طاعتك لما محوتها، فمن يقول هذا كيف يعصيه بعد لحظات؟! فإن الطاعة إذا كانت تدعو لمحو الأولى،

---

(١) راجع: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص١٤٩ وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج٨ ص٤١٩ وج٢٣ ص٤٦١ والأمالي للطوسي ص١٩٠ و ١٩١ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٣١٦ وراجع ج٢٠ ص٣٥٧ والخرايج والجرايح ج١ ص١١٦ وصفين للمنقري ص٥٠٩ ومكاتيب الرسول ج١ ص٨٧.

(٢) صفين للمنقري ص٥٠٨.

(٣) كشف الغمة ج١ ص٣١٠ و (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٠٩ والإرشاد للمفيد ص١٢٠ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٥٩ و ٣٦٣ و ٣٥٧ وعن إعلام الورى ص٩٧ وكشف الغطاء (ط.ق) ج١ ص١٥.

فهي تدعو لمحو الثانية، خصوصاً إذا كان ذلك في مجلس واحد.

كما أن من يرضى بمحو الأولى التي هي الأصعب، لماذا لا يرضى بمحو الثانية؟!

خامساً: لنفترض: أن سهيل بن عمرو طلب من علي ذلك، ورفض علي طلبه، ثم قال له النبي «صلى الله عليه وآله»:

امحها.. فإن هذا القول لا يدل على إلزام علي «عليه السلام» بالمحو، بل هو يدل على رفع الحظر، أي أنه أصبح يستطيع أن يمحو إذا شاء.. فقد أوكل الأمر إليه.

فإذا بادر الصحابة للإمساك بيد علي «عليه السلام» ليمنعوه من اختيار هذا الطرف ـ وهو طرف المحو ـ فإن تدخل النبي «صلى الله عليه وآله» بقوله:

ضع يدي عليها، يكون قد أتى لرفع الحرج عن علي «عليه السلام» مع اخوانه من الصحابة، وإرادة إعزازه، وتعلية شأنه، مقابل سهيل بن عمرو.

سادساً: إن العديد من النصوص والروايات لم تشر إلى امتناع علي «عليه السلام» عن محو الإسم الشريف، بل ساقت الحديث على أساس الأمر، وطاعة الأمر، ولا شيء سوى ذلك، فراجع، ما ذكره ابن حبان، وما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»[1]، واليعقوبي، وابن كثير، وغيرهما تجد طائفة

---

(١) الثقات ج١ ص٣٠٠ و ٣٠١ وراجع: الكافي ج٨ ص٢٦٩ عن الإمام الصادق «عليه السلام» مع بعض إضافات وتغييرات لا تضر. وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٦٨ ونور الثقلين ج٥ ص٦٨ وتفسير البرهـان ج٤ ص١٩٤ والإكتفاء =

من هذه النصوص المروية عن:

الزهري، وابن عباس، وأنس بن مالك، ومروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة، وهو المروي عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أيضاً[1].

= للكلاعي ج٢ ص٢٤٠ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٦ وحياة محمد لهيكل ص٣٧٤ وإكمال الدين ص٥٠.

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٤ وراجع: البداية والنهاية ج٧ ص٢٧٧ و ٢٨١ وروح المعاني ج٩ ص٥٠ والكشاف ج٣ ص٥٤٢.

وحول النص المنقول عن الزهري راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٦٣٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٦٨ وأنساب الأشراف ج١ ص٣٤٩ و ٣٥٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٣٣١ و ٣٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٢٠ و ٣٢١ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٥٣ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) ومسند أحمد ج١ ص٨٦.

وحول النص المنقول عن ابن عباس راجع: الرياض النضرة المجلد الثاني ص٢٢٧ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٥٢٢ ومسند أحمد ج١ ص٣٤٢ وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص١٤٨ و ١٤٩ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢٠٠ عن أحمد، وأبي داود، والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٥١ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) وصححاه على شرط مسلم، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٩٢.

وروايتا أنس ومروان والمسور توجدان معاً أو إحداهما، أو بدون تسمية، في المصادر =

= التالية: صحيح البخاري ج٢ ص٧٩ و ٧٨ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٣٣٧ ومسند أحمد ج٣ ص٢٦٨ وج٤ ص٣٣٠ و ٣٢٥ وجامع البيان ج٢٥ ص٦٣ والدر المنثور ج٦ ص٧٧ عنهم، وعن عبد بن حميد، والنسائي، وأبي داود، وابن المنذر، وصحيح مسلم ج٥ ص١٧٥.

وراجع: المواهب اللدنية ج١ ص١٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٧٠ و ٣٧١ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٩٨ و ٢٠٠ والبداية والنهاية ج٤ ص١٧٥ ومختصر تفسير ابن كثير ص٣٥١ و ٣٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٣ والسنن الكبرى الكبرى ج٩ ص٢٢٠ و ٢٢٧ وتاريخ الخميس ج١ ص٢١ عن المدارك، وتفسير الخازن ج٤ ص١٥٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٠٥ و ١٤٦ و ١٤٧ والإحسان بتقريب صحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢٢ و ٢٢٣ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٧٧ وبهجة المحافل ج١ ص٣١٦ وزاد المعاد ج٢ ص١٢٥ ومسند أبي عوانة ص٢٤١.

وحول ما روي عن علي «عليه السلام» وغيره راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٣٢ وقريب منه ما في ينابيع المودة ص١٥٩ ومسند أحمد ج٤ ص٨٦ و ٨٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٤٥ وقال: رواه أحمد ورجاله الصحيح.

ومختصر تفسير ابن كثير ص٣٤٧ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص١٩٢ وتفسير المراغي ج ٩ ص١٠٧ والدر المنثور ج٦ ص٧٨ عن أحمد، والنسائي، والحاكم وصححه، وابن جرير، وأبي نعيم في الدلائل، وابن مردويه.

لعلها قضية مستعارة:

ولنا أن نحتمل: أن تكون أجزاء هامة من هذه القضية قد استعيرت من قصة أخرى.. بهدف إثارة الشبهات والتساؤلات حول أقدس شخصية بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

والقصة هي: أن تميم بن جراشة قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وفد ثقيف، فأسلموا، وسألوه أن يكتب لهم كتاباً فيه شروط، فقال: اكتبوا ما بدا لكم، ثم إيتوني به.

فأتوا علياً «عليه السلام» ليكتب لهم.

قال تميم: «فسألناه في كتابه: أن يحلّ لنا الربا والزنى. فأبى علي «عليه السلام» أن يكتب لنا.

فسألناه خالد بن سعيد بن العاص.

فقال له علي: تدري ما تكتب؟!

قال: أكتب ما قالوا، ورسول الله أولى بأمره.

فذهبنا بالكتاب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال للقارئ: اقرأ.. فلما انتهى إلى الربا قال: ضع يدي عليها في الكتاب.

فوضع يده، فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** الآية[1].. ثم محاها.

---

(١) الآية ٢٧٨ من سورة البقرة.

وألقيت علينا السكينة، فما راجعناه.

فلما بلغ الزنى وضع يده عليها، وقال: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ الآية[١]، ثم محاه. وأمر بكتابنا أن ينسخ لنا»[٢].

لك مثلها يا علي:

وقد قلنا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام» في الحديبية: لك مثلها، تعطيها، وأنت مضطهد، أو مضطر..

وظهر مصداق قوله «صلى الله عليه وآله» في حرب صفين، حينما أخذوا بكتابة كتاب الموادعة، فابتدأوا فيه بعبارة:

هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان..

فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت: أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته.

وقال عمرو: لا بل نكتب اسمه، واسم أبيه، إنما هو أميركم، فأما أميرنا فلا.

فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه.

فقال الأحنف: لا تمح اسم إمرة المؤمنين عنك؛ فإني أتخوف، إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً، فلا تمحها.

فقال «عليه السلام»: إن هذا اليوم كيوم الحديبية، حين كتب الكتاب

---

(١) الآية ٣٢ من سورة الإسراء.

(٢) أسد الغابة ج١ ص٢١٦ وقال: أخرجه أبو موسى، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٢.

عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسهيل بن عمرو.

فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، إني لظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله، وأنت رسوله، ولكن اكتب: من محمد بن عبد الله..

فقال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا علي، إني لرسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم: من محمد بن عبد الله، فاكتبها، فامح ما أرادوا محوه، أما إن لك مثلها، ستعطيها وأنت مضطهد(١).

لماذا كان التزوير؟!:

ولعل السبب في هذا التزوير:

١ ـ أن ما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقوله: ولك مثلها يا علي تعطيها وأنت مضطهد مقهور(٢).. قد أحرج اتباع معاوية ومحبيه بعد

---

(١) بحار الأنوار ج٣٢ ص٥٤١ و ٥٤٢ وصفين للمنقري ص٥٠٣ و ٥٠٤ والمسترشد ص٣٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٢٣٢ والدرجات الرفيعة ص١١٧ وينابيع المودة ج٢ ص١٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٦٢٨ ومصادر ذلك كثيرة.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٢٠ و ٢٠٤ والمعيار والموازنة ص٢٠٠ وخصائص أمير المؤمنين علي «عليه السلام» للنسائي ص١٤٩ و ١٥٠ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٤١٩. والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٣ والسيرة =

قضية التحكيم بعد صفين.

فلجأوا إلى إثارة الشبهات حول علي «عليه السلام»، لتخفيف الوطأة عن فريقهم.

٢ ـ إن نفس الطعن بقداسة علي «عليه السلام»، وفي عصمته، والحط من مقامه، والنيل منه، وابتذال شخصيته، ونسبة الرذائل والمعاصي إليه، وتصغير شأنه، حتى يصبح كسائر الناس العاديين، أمر مطلوب، ومحبوب لأعدائه،

= الحلبية ج٣ ص٢٠ ومجمع البيان ج٩ ص١١٨ و ١١٩ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢١٤ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٣٥ و ٣٥٢ و ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦٣ و ٣٣٣ وج٣٣ ص٣١٤ و ٣١٦ و ٣١٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٣٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص١٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٧٩ و ١٨٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢١ وحبيب السير ج١ ص٣٧٢ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٣ والخرايج والجرايح ج١ ص١١٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٩٠ وج٢ ص٥٨٨ و ٢٣٢ والمغني لعبد الجبار ج١٦ ص٤٢٢ وينابيع المودة للقندوزي ص١٥٩ وصبح الأعشى ج١٤ ص٩٢ والأمالي للطوسي ج١ ص١٩٠ و ١٩١ وصفين للمنقري ص٥٠٨ و ٥٠٩ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص٢١٠ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٠ وإعلام الورى ص٩٧ والبرهان ج٤ ص١٩٣ ونور الثقلين ج٥ ص٥٢ والفتوح لابن أعثم ج٤ ص٨ والبداية والنهاية ج٧ ص٢٧٧ والأخبار الطوال ص١٩٤ عن تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٥٢ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٨٦.

ومناوئيه. وبذلك تضعف حجة الطاعنين في مناوئيه، ويخرج أتباعهم من الإحراجات القوية التي تواجههم.

٣ ـ تكريس أبي بكر على أنه الرجل المميز بين جميع الصحابة، الذي كان يرى في الحديبية رأي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويدعو الناس للقبول منه، والتسليم له..

قال دحلان: «.. ولم يكن أحد في القوم راضياً بجميع ما يرضى به النبي «صلى الله عليه وآله»، غير أبي بكر الصديق، وبهذا يتبين علو مقامه.

ويمكن أن الله كشف لقلبه، وأطلعه على بعض تلك الأسرار التي ترتبت على ذلك الصلح، كما أطلع على ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه حقيق بذلك، كيف وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله»: والله، ما صب الله في قلبي شيئاً إلا وصببته في قلب أبي بكر»(١).

وقد نسي دحلان أن أبا بكر قد حزن في الغار. ولم يحزن الرسول «صلى الله عليه وآله»، فأين ذهب ما كان النبي قد صبه في قلب أبي بكر آنئذ. وكذلك الحال في مبارزة عمرو في الخندق وكذلك ما جرى في خيبر وسواها..

٤ ـ إن السعي إلى جعل علي وعمر في سياق واحد، من حيث إن هذا يشك في دينه في الحديبية، وذاك يعصي أوامر الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» من شأنه أن يوجد حالة من التوازن، ثم تترجح كفة الفريق الآخر حيث جعل أبو بكر فوق الجميع، بل هو في مستوى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

---

(١) السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٤٣.

الباب السادس:

خيبر وفدك..

الفصل الأول:

فتح ثلاثة حصون من خيبر..

المسير إلى خيبر:

عن الضحاك الأنصاري، قال: لما سار النبي «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر جعل علياً «عليه السلام» على مقدمته، فقال «صلى الله عليه وآله»: من دخل النخل فهو آمن.

فلما تكلم النبي «صلى الله عليه وآله» نادى بها علي«عليه السلام»، فنظر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى جبرائيل يضحك، فقال: ما يضحكك؟!

قال: إني أحبه.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: إن جبرائيل يقول إنه يحبك!

قال «عليه السلام»: بَلَغْتُ أن يحبني جبرائيل؟!

قال «صلى الله عليه وآله»: نعم، ومن هو خير من جبرائيل، الله عزَّ وجلّ[1].

---

(١) أسد الغابة ج٣ ص٣٤ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٦ و المعجم الكبير للطبراني ج٨ ص٣٠١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٧٩ وج٢١ ص٣٠٦ و٣٠٧.

ونقول:

إننا نشير هنا إلى عدة أمور، في سياق العناوين التالية:

الرايات لم تكن قبل خيبر:

قال ابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد: إن النبي «صلى الله عليه وآله» فرق الرايات، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر، وإنما كانت الألوية[(١)].

وكانت راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» سوداء، من برد عائشة تدعى العقاب، ولواؤه أبيض، دفعه إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام»..

ودفع راية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سعد بن عبادة. وكان شعارهم: يا منصور أمت[(٢)].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٠ وقال في الهامش: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٤ ص٤٨ وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٠٢) والواقدي في المغازي ج١ ص٤٠٧، و (ط أخرى) ج٢ ص٦٤٩.

والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٠٦ وإمتاع الأسماع ص٣١٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٠ وفي الهامش قال: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٤ ص٤٨ وذكره ابن حجر في المطالب العالية (٤٢٠٢) والواقدي في المغازي ج٢ ص٦٤٩.

وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٤ والإمتاع ص٣١١ و ٣١٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤٤٢.

وأضاف الحلبي: راية إلى أبي بكر، وراية إلى عمر[1].

ونقول:

أولاً: قالوا: إن اللواء الذي دفعه النبي «صلى الله عليه وآله» إلى علي «عليه السلام» يوم خيبر ـ وكان أبيضاً ـ كان يقال له: العقاب أيضاً[2].

وذلك يشير إلى عدم الفرق بين اللواء والراية، فإن العقاب الذي كان عند النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقال له: راية تارة، ويقال له: لواء أخرى.

ثانياً: ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أعطى اللواء لعلي «عليه السلام» في قضية قتل مرحب، مع أن الكلمة التي تناقلوها عن النبي «صلى الله عليه وآله» في ذلك هي: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله إلخ..»..

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: خذ هذه الراية وتقدم[3].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٤.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٦ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٤ عن سيرة الدمياطي.

(٣) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٦ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٤ وكشف الغطاء ج١ ص١٥ وشرح الأخبار للقاضي النعمان ج١ ص٣٠٢ والعمدة ص١٥٣ والطرائف لابن طاووس ص٥٧ والصوارم المهرقة ص٣٥ وبحار الأنوار ج٣٩ ص٩٠ وبغية الباحث ص٢١٨ والمعجم الكبير للطبراني ج٧ ص٣٥ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٣ والكامل لابن عدي ج٢ ص٦١ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٨٩ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٧٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٩٨.

وذلك يؤكد على عدم الفرق بين اللواء والراية أيضاً.

إلا أن يقال: إنه «صلى الله عليه وآله» قد جمع لعلي «عليه السلام» هنا بين الراية واللواء.

ثالثاً: تقدم في غزوة أحد: أنهم تارة يقولون: كانت راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع علي «عليه السلام» في بدر وفي كل مشهد.

وأخرى يقولون: كان علي «عليه السلام» حامل لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بدر وفي كل مشهد، والظاهر أنهم يريدون الحديث عن شيء واحد..

رابعاً: ومما يدل على أن الراية واللواء كانا سابقين على خيبر، وقد جمعهما النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» قبل هذه الغزوة، قول الشيخ المفيد «رحمه الله»: «ثم تلت بدراً غزاة أحد، فكانت راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيد أمير المؤمنين «عليه السلام» فيها، كما كانت بيده يوم بدر، فصار اللواء إليه يومئذ، ففاز بالراية، واللواء جميعاً»(١).

وقال «رحمه الله» أيضاً، ما ملخصه: كانت راية قريش ولواؤها بيد قصي بن كلاب، ثم لم تزل بيد ولد عبد المطلب، فلما بعث النبي «صلى الله عليه وآله» صارت راية قريش وغيرها إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأعطاها علياً «عليه السلام» في غزاة ودّان، وهي أول غزاة حملت فيها راية

---

(١) الإرشاد ج١ ص٧٨ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٧٩ و٨٠ عنه، والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص٦٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٥٤.

في الإسلام.

ثم لم تزل مع علي «عليه السلام» في المشاهد، في بدر، وأحد.

وكان اللواء بيد بني عبد الدار، فأعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى مصعب بن عمير، فاستشهد، ووقع اللواء من يده، فتشوقته القبائل، فأخذه «صلى الله عليه وآله» فدفعه إلى علي «عليه السلام»، فجمع له يومئذ الراية واللواء، فهما إلى اليوم في بني هاشم[(١)].

خامساً: ويدل على عدم صحة قولهم: إنه «صلى الله عليه وآله» جمع الراية واللواء يوم خيبر ما رواه أبو البختري عن الإمام الصادق عن أبيه «عليهما السلام»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث علياً «عليه السلام» يوم بني قريظة بالراية، وكانت سوداء تدعى العقاب، وكان لواؤه أبيض[(٢)].

قال المجلسي: الراية: العلم الكبير، واللواء أصغر منها، قال في المصباح:

---

(١) الإرشاد ص٤٨ و (ط دار المفيد) ج١ ص٧٩ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٨٠ وج٤٢ ص٥٩ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٩٩ و (ط المطبعة الحيدرية) ج٣ ص٨٥ وكفاية الطالب ص٣٣٥ وإعلام الورى ص١٩٣ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٣٧٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٣٣٧.

(٢) قرب الإسناد ص ١٣١ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص١٤٤ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص١١٠ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص١١٥.

لواء الجيش علمه، وهو دون الراية[١].

والحديث عن اتحاد اللواء مع الراية واختلافهما لا أثر له هنا، فالنصوص تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يعطي اللواء لعلي «عليه السلام»، وكان يعطي الراية لعلي سواء اتحدا أو اختلفا.

راية النبي ' من برد عائشة:

وقد زعمت الرواية المتقدمة: أن الراية المسماة بالعقاب هي من مرط لعائشة، وكانت سوداء..

ونقول:

أولاً: لماذا اختار النبي «صلى الله عليه وآله» مرط عائشة ليتخذ منه راية حربه؟!. هل لأنه لم يجد في المدينة ما يجعله راية سوى ذلك المرط؟! وهو الثوب الذي يؤتزر به!!

ثانياً: تقدم: أن الشيخ المفيد «رحمه الله» قال: إن الراية كانت قد عقدت، وأعطيت لعلي «عليه السلام» في غزوة ودان، وهي إنما كانت في صفر، وهو الشهر الثاني عشر بعد الهجرة النبوية الشريفة، أو نحو ذلك.. ويشك في أن تكون عائشة في بيت النبي «صلى الله عليه وآله» آنئذٍ، لأنها إنما دخلت بيت النبي «صلى الله عليه وآله» إما بعد الهجرة بثمانية أشهر، كما قيل، أو دخلته بعدها بثمانية أو بتسعة أشهر، كما عن ابن شهاب

---

(١) بحار الأنوار ج٢٠ ص٢٤٦.

الزهري[١].

وقال ابن الأثير: بنى بها في المدينة سنة اثنتين[٢].

فإذا كان وجود عائشة في بيت النبي «صلى الله عليه وآله» مشكوكاً فيه، فلا يصح إطلاق القول بأن مرط عائشة قد جعل راية للنبي «صلى الله عليه وآله»، لأن ذلك يصبح موضع شك وريب كبير أيضاً.

ثالثاً: سيأتي في فتح خيبر الحديث الذي يقول: إن أبا بكر ـ كما يروي بريدة ـ أخذ راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانت بيضاء، ثم نهض إلخ..[٣].

---

(١) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٤ ص٣٥٦ ـ ٣٥٧ وراجع: الإصابة ج٤ ص٣٥٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج٨ ص٢٣١ وتاريخ الخميس ج١ ص٣٥٧ وراجع ص٣٥٨ عن المواهب اللدنية، وتاريخ اليافعي، والوفاء لابن الجوزي. وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٥٨ و ٢١٧ والثقات لابن حبان ج١ ص١٤٤ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٤ والمنتخب من ذيل المذيل للطبري ص٩٣ وعيون الأثر ج٢ ص٣٨٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٠٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٣ ص٢٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٣٣٢.

(٢) أسد الغابة ج١ ص٣٣ وراجع: تاريخ الخميس ج١ ص٣٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص١٩٩.

(٣) الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ والإرشاد للمفيد =

لم يؤمر على علي عليه السلام أحداً:

قلنا أكثر من مرة: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يؤمّر على علي «عليه السلام» أحداً، فهو قائد الجيش كله في هذه الحرب، وفي كل حرب، وهو أيضاً على مقدمة الجيش فيها.

وكانت الأنباء عن هذا الجيش وقائده تصل إلى يهود خيبر، الذين كانوا يتابعون الأحداث عن كثب، ولا سيما ما حلّ بإخوانهم من بني قريظة والنضير، وقينقاع. وكذلك ما جرى لقريش في حروبها الثلاثة الكبرى مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بدر، وأحد، والخندق.

كما أن كون الجيش بقيادة علي «عليه السلام»، لا بد أن يعطي الجيش

= (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٢١ وراجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان ج١ ص١٤٧ والعمدة لابن البطريق ص١٥٠ عن تفسير الثعالبي، والطرائف لابن طاووس ص٥٨ وإحقاق الحق ج٥ ص٣٧٣ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٨ والمناقب للخوارزمي (ط النجف) ص١٠٣ وفي (طبعة أخرى) ص١٦٧ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣ وج٣٩ ص١٠ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص١٣٩ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٧ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٢٩ ومجمع البيان ج٩ ص٢٠١ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص١٥٦ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٩٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٠ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢١٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤.

الإسلامي مزيداً من الإعتزاز، والإندفاع، والثقة بالنصر..

ثمة قيادات أخرى مزعومة:

وقال الدياربكري: «واستعمل على مقدمة الجيش عكاشة بن محصن الأسدي، وعلى الميمنة عمر بن الخطاب، وعلى الميسرة واحداً من أصحابه، وفي بعض الكتب علي بن أبي طالب «عليه السلام»».

وهذا غير صحيح:

لأن الروايات الصحيحة تدل على: أن علياً في أوائل الحال لم يكن في العسكر، وكان به رمد شديد، ولما لحق بالعسكر، أعطاه الراية، وأمَّره على الجيش، ووقع الفتح على يده كما سيجيء..» انتهى[1].

ونقول:

إن لنا على ما ذكره بعض المؤاخذات:

أولاً: إن عمر بن الخطاب لم يكن قد عرفت عنه تلك الشجاعة التي تؤهله لهذا المقام الخطير، وهو أن يكون على ميمنة الجيش.. بل وجدنا منه خلاف ذلك، خصوصاً في أحد والخندق فضلاً عن أحد وسواها.

ولمجارات هؤلاء الناس، نقول:

ألم يكن أبو دجانة، أو الزبير، أو المقداد، أو الحباب بن المنذر، أوسعد بن عبادة، موجودين؟! فلماذا لم يعط القيادة لواحد منهم؟!

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٢.

ثانياً: لماذا أبهم الدياربكري اسم الذي كان على الميسرة؟! هل لأنه كان معروفاً بدرجة لم تسمح باستبداله بغيره؟! أو هل كتموا اسمه كما كتمت عائشة اسم علي حين ذكرت:

أن النبي «صلى الله عليه وآله» خرج في مرض موته إلى الصلاة يتوكأ على الفضل بن العباس وعلى رجل آخر، لا تحب أن تذكره عائشة بخير، وهو علي «عليه السلام»؟!

ثالثاً: قولهم: إن علياً «عليه السلام» في أوائل الحال لم يكن في العسكر ليس دقيقاً، إذ إنه سيأتي: أن علياً «عليه السلام» كان على رأس الجيش إلى خيبر، من حين خروج ذلك الجيش من المدينة، ولكنه حين طال مقامه في خيبر ـ ربما عشرة أيام ـ رمدت عيناه، لأن الرمد لم يصب علياً «عليه السلام» كل هذه المدة الطويلة، بل أصابه قبل قتل مرحب بوقت يسير، وكان قتل مرحب في أواخر حرب خيبر، وبعد حصار حصون اليهود عشرات الأيام، فإن حصن القموص وحده حوصر عشرين يوماً.

وقد أعطى النبي «صلى الله عليه وآله» اللواء لعلي «عليه السلام» قبل أن يفتح أي حصن من خيبر.

علي عليه السلام يسمع الناس أقوال النبي ':

وقد تولى علي «عليه السلام» إسماع الناس أقوال النبي «صلى الله عليه وآله»، ونحن نعلم بأن علياً «عليه السلام» لا يقدم على أمر من دون توجيه أو إذن من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مما يعنى: أن ذلك قد جاء من خلال تنسيق مسبق.. وإلا فقد كان يمكن أن يتصدى غير علي «عليه

السلام» لهذه المهمة..

حب الله لعلي عليه السلام:

وتقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد مهد لإعلان حب جبرائيل، ثم حب الله لعلي بإخباره «عليه السلام» بضحك جبرائيل حين نادى مكرراً كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولكن علياً «عليه السلام» بادر إلى هضم نفسه، ولم يعطها مداها، حين قال متسائلاً: بلغت أن يحبني جبرائيل؟!

مع أنه هو الذي جاء بالنصر في بدر وأحد، وحمراء الأسد، والخندق، فضلاً عن قريظة والنضير..

فاتح حصن ناعم علي عليه السلام:

وكان أول حصن فتح من حصون النطاة حصن ناعم، وقد فتح على يد علي «عليه السلام»[1].

وفيه قتل محمود بن مسلمة، وقيل: إن مرحباً هو الذي قتله.

وزعموا: أن أخاه محمداً أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بقتل أخيه، فقال له «صلى الله عليه وآله»: إنه سوف يرسل رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليأخذ له بثأر أخيه، ثم أرسل علياً «عليه السلام».

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٩ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٤٠ وعون المعبود ج٨ ص١٧٢.

ونقول:

إننا نشك في صحة ذلك، لما يلي:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما قال كلمته هذه حين قتل علي «عليه السلام» مرحب اليهودي.. إلا إذا كان هؤلاء يريدون التشكيك، أو صرف الأنظار عن فرار عمر بالراية يوم خيبر.. أو أنه «صلى الله عليه وآله» قال ذلك على سبيل الإخبار بالغيب، الذي علمه الله إياه حول ما سيكون من فرار البعض، ثم فتح خيبر على يد علي «عليه السلام»..

ثانياً: لماذا لم يرسل محمد بن مسلمة بالذات لهذه المهمة؟! أعني: مبارزة مرحب، ليشفي غليل صدره من قاتل أخيه، فإنهم يسعون إلى تسطير الفضائل لابن مسلمة، ربما ليكافئوه على مناصرته، ومؤازرته، ومشاركته في الهجوم على بيت فاطمة الزهراء بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد وفاة أبيها..

ثالثاً: زعمت بعض النصوص التي يروونها مضادة منهم لعلي «عليه السلام»: أن ابن مسلمة هو الذي قتل مرحباً، الذي يدعون أنه قتل محمود بن مسلمة..

مع أنهم يذكرون ما يدل على أن مرحباً كان حبيباً وقريباً لمحمد بن مسلمة، وأن ابن مسلمة قد انزعج لقتله، وحقد على قاتله.

فقد قال ابن قتيبة: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: ذنبي إلى محمد

بن مسلمة أني قتلت أخاه يوم خيبر: مرحب اليهودي[١].

ولعله كان أخاه على الحقيقة، أو كان أخاه من الرضاعة، أي لم يكن أخاه لأمه..

رابعاً: هناك نص يقول: إن الذي قتل محمود بن مسلمة هو كنانة بن الربيع، أو شخص آخر، أسره علي «عليه السلام»، وسلمه لمحمد بن مسلمة ليقتله بأخيه[٢].

الحباب في حصن الصعب:

وزعمت بعض الروايات: أنه بعد فتح حصن ناعم دفع النبي «صلى الله عليه وآله» اللواء للحباب بن المنذر، وندب الناس لمهاجمة حصن الصعب بن معاذ، وكان حصناً منيعاً، فما رجعوا حتى فتحه الله عليهم، وذكروا تفاصيل عما فعله الحباب في فتحه لهذا الحصن.

وقد ناقشنا أقاويلهم هذه في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم

---

(١) الإمامة والسياسة (ط سنة ١٣٥٦ هـ) ج١ ص٥٤ و (تحقيق الزيني) ج١ ص٥٣ و (تحقيق الشيري) ج١ ص٧٣ وقاموس الرجال ج٨ ص٣٨٨ و (ط مركز النشر الإسلامي) ج٩ ص٥٨٦ عنه.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٤ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٤٠ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص٢٨١.

«صلى الله عليه وآله»[١]، فلا حاجة إلى ذلك هنا.. فراجع..

غير أننا نريد أن نشير هنا إلى أن الظاهر: أن المقصود باللواء الذي أعطاه للحباب هو لواء الجيش كله، مع أننا قلنا أكثر من مرة: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعط لواءه لأحد غير علي «عليه السلام» في أي من حروبه إلا في أربعة مواضع هي:

١ ـ غزوة تبوك.

٢ ـ غزوة خيبر، حين أعطى الراية لأبي بكر، فرجع منهزماً.

٣ ـ غزوة خيبر أيضاً، حين أعطى الراية لعمر، فرجع هو الآخر منهزماً.

٤ ـ قريظة، حين أرسل كبار أصحابه، فخرج إليهم بنو قريظة من حصنهم، فعادوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» مهزومين..

أما في غزوة ذات السلاسل، فيبدو أنه «صلى الله عليه وآله» لم يجرد جيشاً بنفسه، بل أرسل سرية، وأمر عليها تارة هذا وتارة ذاك، من دون أن يخرج هو من المدينة..

وإنما فعل «صلى الله عليه وآله» ذلك في قريظة وخيبر، لِأَلَّا يقول قائل: لو كنا مكان علي «عليه السلام» لفعلنا مثل فعله، ولِحِكَمٍ أخرى لا مجال للبحث فيها هنا..

ونحن لا نستطيع أن نتجاهل النص المتواتر الذي يقول: إن علياً «عليه

---

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج١٧ فصل: «فتح سائر حصون النطاة والشق».

السلام» كان صاحب لواء (أو راية) رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بدر وفي كل مشهد. وكان «صلى الله عليه وآله» يؤمره على الناس، ولم يؤمر عليه أحداً قط[١]، وهذا ما كتبه المأمون للعباسيين في رسالة منه لهم[٢].

وعلى هذا، فإنه إن كان حاضراً ومشاركاً في فتح الحصون، فهو يعني: أنه كان أمير الجيش في جميعها..

حصن النزار:

وذكروا هنا أيضاً: أن صفية بنت حيي، وابنة عمها قد أخذتا من حصن النزار، لأن اليهود أخرجوا النساء والذرية إلى الكتيبة، وفرغوا

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٥١ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٣٣٥ وج٤٧ ص١٢٧ وراجع: شرح الأخبار ج١ ص٣٢٠ ودلائل الإمامة ص٢٦١ ونوادر المعجزات ص١٤٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص٩٦ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص١٢٣ و ١٣٥ ونهج الإيمان ص٤٦٧.

(٢) الطرائف لابن طاووس ص١٣١ ـ ١٣٥ (ط الفارسية) عن كتاب نديم الفريد، لابن مسكويه صاحب كتاب: حوادث الإسلام، و(ط مطبعة الخيام) ص٢٧٧ وبحار الأنوار ج٤٩ ص٢٠٩ وينابيع المودة ج٣ ص٣٧٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٢١ والغدير ج١ ص٢١٢ ومواقف الشيعة ج١ ص٣١٥ وقاموس الرجال ج١٢ ص١٥١ والإمام علي «عليه السلام» في آراء الخلفاء ص١٨٠ وغاية المرام ج٢ ص٥٣ وراجع كتابنا: الحياة السياسية للإمام الرضا ص٤٥٧ فما بعدها.

حصن النطاة للمقاتلة.

ولكن كنانة بن الحُقيق رأى أن حصن النزار أحصن ما هنالك، فأبقاها فيه، هي ونسيات معها؛ فأسرت تلك النسوة في حصن النزار[١].

ونقول:

هناك نصوص كثيرة تقول: إن علياً «عليه السلام» هو الذي فتح الحصن، وجاء بصفية إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٢].

فإن كان علي «عليه السلام» هو الذي فتح هذا الحصن أيضاً، كما فتح حصن القموص، فهو يدل على وجود تصرف خطير في الحقائق التاريخية، ومحاولة تحريف لها..

يضاف إلى ذلك: أن هذا النص يفيد: أن رمد عيني علي «عليه السلام» الذي هيأ الفرصة لأخذ أبي بكر وعمر وغيرهما الراية في حصن القموص، ثم فرارهما بها ـ إن هذا الرمد ـ قد كان بعد فتح حصن النزار، وفي أيام حصار حصن القموص، الذي استمر عشرين ليلة، كما سيأتي..

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٦٨ و ٦٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٢٢.

(٢) قد ذكرنا مصادر ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب، وراجع: بحار الأنوار ج٢١ ص٢٢ وعن الخصائص للنسائي ص٦٣ وفي هامشه عن: أعلام النساء ج٢ ص٣٣٣ وأسد الغابة ج٥ ص٤٩٠ والدر المنثور ج١ ص٢٦٣.

الفصل الثاني:

المنهزمون.. نصوص.. وآثار..

النصوص والآثار:

وكان حصن القموص من أشد حصون خيبر، وأكثرها رجالاً[(١)].

وقد فتح الله هذا الحصن على يد علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، بعد أن حاصره المسلمون عشرين يوماً[(٢)].

وزعموا: أن كنانة بن أبي الحقيق صالح النبي على حصن القموص[(٣)].

وهو غلط، فإن الصلح كان على حصن الكتيبة، أما حصن القموص، فقد فتحه علي «عليه السلام» كما هو صريح كلمات المؤرخين، وروايات

---

(١) إعلام الورى ج١ ص٢٠٧ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢١ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٦.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٤١ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٤٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ وراجع: قصص الأنبياء للراوندي ص٣٤٤ وإعلام الورى ج١ ص٢٠٧ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢١ وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤١٨.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٧٠ وراجع: البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٢٢٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٧٦.

المحدثين.

وهنا أعطى النبي «صلى الله عليه وآله» أبا بكر، راية رسول الله وكانت بيضاء، فسار بالناس فانهزم، بمن معه حتى انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يجبنه أصحابه ويجبنهم.

فأرسل عمر باللواء فرجع، ولم يكن فتح، فانهزم هو وأصحابه، حتى انتهى إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وأصحابه يجبنونه، ويجبنهم[١].

تفاصيل روايات الفشل والفاشلين:

روى الشيخان، عن سهل بن سعد.

والبخاري، وابن أبي أسامة، وأبو نعيم، عن سلمة بن الأكوع.

وأبو نعيم، والبيهقي، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٢٧ و ١٢٨ ولم يذكروا غير عمر في هذا النص، وكذا في الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٥ ـ ١٨٨ والإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٢٦ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٨ عن الخرايج والجرايح وراجع ص٣ وج٣٩ ص١٠، وراجع: العمدة لابن البطريق ص١٥٠ والطرائف لابن طاووس ص٥٨ ومجمع البيان للطبرسي ج٩ ص٢٠١ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص١٥٦ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٩٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٢٢.

وأبو نعيم، عن ابن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأبي سعيد الخدري، وعمران بن حصين، وجابر بن عبد الله، وأبي ليلى.

ومسلم، والبيهقي، عن أبي هريرة.

وأحمد، وأبو يعلى، والبيهقي، عن علي «عليه السلام».

قال بريدة: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» تأخذه الشقيقة، فيمكث اليوم واليومين لا يخرج، فلما نزل خيبر أخذته الشقيقة، فلم يخرج إلى الناس، فأرسل أبا بكر، فأخذ راية رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ وكانت بيضاء[1] ـ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع، ولم يكن فتح.

---

(١) الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ والإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص١٢١ وراجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان ج١ ص١٤٧ والعمدة لابن البطريق ص١٥٠ عن تفسير الثعالبي، والطرائف لابن طاووس ص٥٨ وإحقاق الحق ج٥ ص٣٧٣ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٨ والمناقب للخوارزمي (ط النجف) ص١٠٣ وفي (طبعة أخرى) ص١٦٧.

وراجع: بحار الأنوار ج٢١ ص٣ وج٣٩ ص١٠ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص١٣٩ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٧ وعن فتح الباري ج١٠ ص١٢٩ ومجمع البيان ج٩ ص٢٠١ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص١٥٦ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٩٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٠ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢١٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤.

وقد جهد (وقتل محمود بن مسلمة)[١].

ثم أرسل عمر، فأخذ راية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول، ثم رجع، ولم يكن فتح.

وعن علي «عليه السلام»: أن الغلبة كانت لليهود في هذين اليومين[٢]. انتهى.

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل عمر في اليوم الأول، ثم أرسل أبا بكر في اليوم الثاني، ثم أرسل عمر في اليوم الثالث، ولم يكن فتح[٣].

وعن بريدة: حاصرنا خيبر، فأخذ اللواء أبو بكر، فانصرف ولم يفتح له، ثم أخذه عمر من الغد، فخرج ورجع، ولم يفتح له. وأصاب الناس يومئذٍ

---

(١) راجع: البداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٢١٣ فما بعدها عن البيهقي، وراجع المصادر المتقدمة في الإحالة السابقة. غير أننا ذكرنا فيما تقدم: أن محمود بن مسلمة قد قتل في حصن ناعم.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ فما بعدها ودلائل النبوة ج٤ ص٢٠٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٤١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ ومعالم التنزيل (ط مصر) ج٤ ص١٥٦ وتذكرة الخواص ص٢٥ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٢٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ وراجع: مناقب أهل البيت للشيرواني ص١٤١.

شدة جهد، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إني دافع اللواء الخ..[١].

ونحن لم نعرف حقيقة هذا الجهد، إذ لم نجد منه إلا الهزيمة. والعودة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وهو يجبن اصحابه وهم يجبنونه.

وعند الطبري: فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يجبِّنه أصحابه ويجبِّنهم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الراية ـ اللواء ـ غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.

فلما كان من الغد تطاول لها أبو بكر، وعمر، فدعا علياً «عليه السلام» الخ..[٢].

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٣٥٣ وراجع: الخصائص للنسائي (ط التقدم بمصر) ص٥ والسيرة النبوية لابن هشام (المطبعة الخيرية بمصر) ج٣ ص١٧٥ وأسد الغابة ج٤ ص٣٣٤ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٤٩٤ والعمدة لابن البطريق ص١٤٠ والطرائف لابن طاووس ص٥٥ وبحار الأنوار ج٣٢ ص١٣٣ وج٣٩ ص٧ ومجمع الزوائد ج٧ ص١٥٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٩٢ و ٩٣ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٧٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣١٨ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج١ ص١٥٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٢٧ و ١٢٨ ولم يذكروا غير عمر في هذا النص، وكذا في الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٥ ـ ١٨٨ والإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل =

وعن أبي ليلى، وابن عباس: بعث أبا بكر فسار بالناس، فانهزم حتى رجع إليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الخ..[1].

زاد بعضهم قوله: ثم بعث رجلاً من الأنصار فقاتل ورجع، ولم يكن فتح[2].

فأخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك فقال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله عليه، ليس بفرار، يحب الله ورسوله، يأخذها عنوة».

وفي لفظ: «يفتح الله على يديه».

= البيت) ج١ ص١٢٦ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٨ عن الخرايج والجرايح وراجع ص٣ وج٣٩ ص١٠، وراجع: العمدة لابن البطريق ص١٥٠ والطرائف لابن طاووس ص٥٨ ومجمع البيان للطبرسي ج٩ ص٢٠١ وخصائص الوحي لابن البطريق ص١٥٦ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٩٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٢٢.

(١) منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٥ ص٤٤ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣١٨ وبحار الأنوار ج٣ ص٥٢٥ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٧ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج١ ص٤٩٧ وج٨ ص٥٢٢ وكنز العمال ج١٣ ص١٢١.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٤.

قال بريدة: فبتنا طيبة أنفسنا أن يفتح غداً، وبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها.

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلهم يرجو أن يعطاها.

قال أبو هريرة: قال عمر: فما أحببت الإمارة قط حتى كان يومئذ[١].

قال بريدة: فما منا رجل له من رسول الله «صلى الله عليه وآله» منزلة إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل، حتى تطاولت أنا لها، ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه، وليس منةً[٢].

وفي حديث سلمة، وجابر: وكان علي تخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرمد شديد كان به لا يبصر، فلما سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: لا، أنا أتخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»**!!**

فخرج فلحق برسول الله «صلى الله عليه وآله» في الطريق، أو بعد وصوله إلى خيبر[٣].

---

(١) ستأتي مصادر كثيرة لهذا الحديث إن شاء الله تعالى.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٢٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٢١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٠ ص٤٦٣ ومصادر أخرى كثيرة.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ وراجع: صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح) ج٥ ص١٧١ وراجع ص٢٣ و (ط دار الفكر) ج٥ ص٧٦.

ثم ذكر البخاري وغيره، قوله «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الراية غداً..

إلى أن قال: فنحن نرجوها، فقيل: هذا علي، فأعطاه، ففتح عليه[1].

وفي نص آخر: فإذا نحن بعلي، وما نرجوه، فقالوا: هذا علي الخ..[2].

قال بريدة: وجاء علي «عليه السلام» حتى أناخ قريباً، وهو رَمِد، قد عصب عينيه بشق برد قطري.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما لك؟!

قال «عليه السلام»: رمدت بعدك.

---

(١) صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ و (ط دار الفكر) ج٥ ص٧٦ والعمدة لابن البطريق ص١٤٧ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٤٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٤ ص٢١١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥١.

(٢) صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص٢٣ و (ط دار الفكر) ج٤ ص١٢ و ٢٠٧ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٧ ص١٢٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٦٢ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٣٣ وج١٦ ص٢١٥ والثقات لابن حبان ج٢ ص٢٦٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢ والعمدة لابن البطريق ص١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ وبحار الأنوار ج٣٩ ص١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٨٩ وإمتاع الأسماع ج١١ ص٢٨٦ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣١٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٦٢.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ادن مني.

فدنا منه، ثم ذكر أنه أعطاه الراية، فنهض بها معه، وعليه حلة أرجوان حمراء، قد أخرج خملها، فأتى خيبر الخ..[١].

وفي نص آخر: قال بريدة: فلما أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلى الغداة، ثم دعا باللواء، وقام قائماً.

قال ابن شهاب: فوعظ الناس، ثم قال: «أين علي»؟

قالوا: يشتكي عينيه.

قال: «فأرسلوا إليه».

قال سلمة: فجئت به أقوده، قالوا كلهم: فأُتي به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما لك»؟

قال: رمدت حتى لا أبصر ما قدامي.

قال: «ادن مني».

وفي حديث علي عند الحاكم: فوضع رأسي عند حجره، ثم بزق في ألية

---

(١) البداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ فما بعدها، وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠١ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص١٥٦ والمناقب للخوارزمي ص١٦٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٥ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٢٢٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤١٠ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٣ ص١٣٠.

يده، فدلك بها عيني.

قالوا: فبرئ، كأن لم يكن به وجع قط، فما وجعهما علي حتى مضى لسبيله، ودعا له، وأعطاه الراية(١).

---

(١) راجع هذه الكرامة الجليلة في المصادر التالية: منتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج٤ ص١٢٧ و ١٢٨ والصواعق المحرقة (ط الميمنية) ص٧٤ وحياة الحيوان (مطبعة الشرفية بالقاهرة) ج١ ص٢٣٧ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص ٥٦٤ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٠٧ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية) ص١٧٦ ومصابيح السنة (ط الخيرية بمصر) ج٢ ص٢٠١ والإستيعاب (مع الإصابة) ج٣ ص٣٦٦ ومعالم التنزيل ج٤ ص١٥٦ والشفاء (ط مصر) ج٢ ص٢٧٢ وجامع الأصول ج٩ ص٤٦٩ والإكتفاء للكلاعي ج٢ ص٢٥٨ وكفاية الطالب ص١٣٠ و ١١٦ و ١١٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج٢ ص١٨٨ وج١ ص٥٠ وصحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ وصحيح مسلم ج٥ ص١٩٥ وج٧ ص١٢٠ ومسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ و ٣٥٣ و ٣٥٨ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٣٨ والخصائص للنسائي (مطبعة التقدم بمصر) ص ٤ و ٥ و ٦ و ٧ والسيرة النبوية لابن هشام (المطبعة الخيرية بمصر) ج٣ ص١٧٥ وطبقات ابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج٣ ص١٥٧ والمعجم الصغير ص١٦٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٨ و ١٠٨ و ١١٦ و ٤٣٧ وراجع ص١٢٥=

وذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل سلمة بن الأكوع إلى علي «عليه السلام»، فجاء يقوده وهو أرمد[١].

قال سهل: فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

فقال: «أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى، وحق رسوله. فوالله، لأن يهدي

= ولباب التأويل ج٤ ص١٥٢ و ١٥٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ و ٤٩ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٩ عن الخرايج والجرايح، ومعارج النبوة ص٢١٩ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ فما بعدها وتاريخ الخلفاء (ط مطبعة السعادة) ص١٦٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ وتذكرة الخواص ص٢٤ و ٢٥ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٢١٩ و ٢٢٠ وأسد الغابة ج٤ ص٢١ و ٢٥ و ٢٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ و ١٢٢ ومصادر كثيرة أخرى.

(١) صحيح مسلم ج٥ ص١٩٥ ومسند أحمد ج٤ ص٥٤ والطبقات الكبرى لابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج٣ ص١٥٧ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية) ص١٧٦ ومعالم التنزيل ج٤ ص١٥٦ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٣٠ وحياة الحيوان (مطبعة الشرفية بالقاهرة) ج١ ص٢٣٧ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٥ ـ ١٨٧ ولباب التأويل للخازن ج٤ ص١٥٢ و ١٥٣.

الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»(١).

وقال أبو هريرة: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لعلي: «اذهب فقاتلهم حتى يفتح الله عليك، ولا تلتفت».

قال: علام أقاتل الناس؟

قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله».

فخرجوا، فخرج بها ـ والله يأيح ـ يهرول هرولة، وإنَّا لخلفه نتبع أثره. حتى ركزها تحت الحصن.

فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟

قال: عليّ.

أو قال: أنا علي بن أبي طالب.

---

(١) صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ وصحيح مسلم ج٧ ص٢١ ومسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ والخصائص للنسائي ص٦ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ والسنن الكبرى ج٩ ص١٠٧ وتذكرة الخواص ص٢٤ وأسد الغابة ج٤ ص٢٨ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص٥٦٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ فما بعدها وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ وراجع: الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج٢ ص١٨٤ و ١٨٨.

فقال اليهودي: غلبتهم (أو علوتم)، والذي أنزل التوراة على موسى. فما رجع حتى فتح الله تعالى على يديه(١).

وعن حذيفة: «لما تهيأ علي «عليه السلام» للحملة، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«يا علي، والذي نفسي بيده، إن معك من لا يخذلك. هذا جبريل «عليه السلام» عن يمينك، بيده سيف لو ضرب الجبال لقطعها، فاستبشر بالرضوان والجنة.

يا علي: إنك سيد العرب، وأنا سيد ولد آدم».

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» ألبسه درعه الحديد(٢)، وشد ذا الفقار في وسطه، وأعطاه الراية، ووجّهه إلى الحصن.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ و ١٢٥ والأنس الجليل (ط الوهبية) ص١٧٩ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ و ٣٦ و ٣٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص١٧٥ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ والإكتفاء للكلاعي (ط مكتبة الخانجي) ج٢ ص٢٥٨ والكامل (ط دار صادر) ج٢ ص٢٢٠ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها، وذخائر العقبى ص١٨٤ ـ ١٨٨ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٩ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٦.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٩ وراجع: تحف العقول ص٣٤٦ وعن عون المعبود ج٨ ص١٧٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧١.

فقال علي «عليه السلام»: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟! الخ..[١].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٩ وراجع: شرح اللمعة للشهيد الثاني ج٧ ص١٥٢ وزبدة البيان للأردبيلي ص١٢ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٣٦ وج١٢ ص٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٥٠٧ و ٥٠٨ وعن الإحتجاج ج١ ص١٦٧ والعمدة ص١٤٢ و ١٤٦ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٧ والطرائف لابن طاووس ص٥٦ وعن ذخائر العقبى ص٧٣ وبحار الأنوار ج٢١ ص٣ و ج٣٩ ص٨ و ١٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٨٧ و ٢٨٨ ومناقب أهل البيت ص١٣٧ والغدير ج٢ ص٤١ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص١٠ وأضواء على الصحيحين للنجمي ص٣٤١ وفضائل الصحابة ص١٦٦ وعن مسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ وعن صحيح البخاري ج٤ ص٢٠ و ٢٠٧ وج٥ ص٧٧.

وراجع: عن صحيح مسلم ج٧ ص١٢٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٠٧ وعن فتح الباري لابن حجر ج٧ ص٣٦٦ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤٦ و ١١٠ و ١٣٧ وعن الخصائص للنسائي ص٥٦ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٠٧ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٧٨ والمعجم الكبير ج٦ ص١٥٢ و ١٩٨ ورياض الصالحين ص١٤٥ ونظم درر السمطين ص٩٩ وفيض القدير ج٦ ص٤٦٥ ومجمع البيان للطبرسي ج٩ ص٢٠١ وتفسير الميزان ج١٨ ص٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٨٦ و ٨٨ وأسد الغابة ج٤ ص٢٨ =

فخرج علي بها، وهو يهرول»[١].

وفي نص آخر: أركبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم خيبر، وعممه بيده، وألبسه ثيابه، وأركبه بغلته، ثم قال له: «امض يا علي، وجبرئيل عن يمينك، وميكائيل عن يسارك، وعزرائيل أمامك، وإسرافيل وراءك، ونصر الله فوقك، ودعائي خلفك»[٢].

= وعن الإصابة لابن حجر ج١ ص٣٨ والبداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢١١ وبشارة المصطفى ص٢٩٧ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥١ وجواهر المطالب ج١ ص١٧٧ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٥ وينابيع المودة ج١ ص١٥٣ ومجمع النورين للمرندي ص٢٤٢.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ وراجع: الأربعون حديثاً لابن بابويه ص٥٦ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص١٢٨ والعمدة ص١٥٣ والطرائف لابن طاووس ص٥٧ وبحار الأنوار ج٣٩ ص٩ وج٧٢ ص٣٣ وبغية الباحث ص٢١٨ والمعجم الكبير ج٧ ص٣٥ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٨٩ و ٩٠ والجوهرة في نسب علي وآله للبري ص٧٠ والبداية النهاية ج٤ ص١١٢ وج٧ ص٣٧٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٧٩٨ والجمل للمفيد ص١٩٦ ومصادر كثيرة أخرى.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج٢١ ص١٨ و ١٩ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص٧٨ ومدينة المعاجز ج٢ ص٣٠٧.

رايتان أم ثلاث؟!:

وقد ذُكِرَ في بعض النصوص: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل أبا بكر، فرجع منهزماً، ثم أرسل عمر، فرجع منهزماً أيضاً..

وبعضها اقتصر على عمر..

وبعضها ذكر: أنه أرسل عمر مرتين، مرة قبل أبي بكر، ومرة بعده.

لكن الذي لفت نظرنا هو: إضافة راية ثالثة لرجل من الأنصار، وأنه رجع منهزماً أيضاً[1].

والظاهر: أن المقصود بذلك هو: سعد بن عبادة، بل لقد صرح الواقدي باسمه، وبأنه قد رجع مجروحاً[2].

مع أن الذي ذكرته الروايات الكثيرة، هو: هزيمة أبي بكر وعمر، وربما اقتصرت بعض الروايات على ذكر عمر أيضاً.

فهل السبب في هذه الإضافة لسعد، وربما لابن مسلمة وغيره، هو إخراج هذا الأمر عن دائرة قريش، وعن دائرة الذين استأثروا بالأمر بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لتشمل الهزيمة زعيم الأنصار، الذي نافسهم في السقيفة، فأرادوا أن ينيلوه شرف (!!) الهزيمة وإثم الفرار الذي باؤوا به؟!

وفي نص المقريزي: «ثم خرج مرحب، فحمل على علي، وضربه، فاتقاه

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٧ و (ط أخرى) ج٢ ص٧٣٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص٣٣٣.

بالترس، فأطن ترس علي «عليه السلام»، فتناول باباً كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده حتى فتح الله عليه الحصن.

وبعث رجلاً يبشر النبي «صلى الله عليه وآله» بفتح حصن مرحب.

ويقال: إن باب الحصن جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً.

وروي من وجه ضعيف عن جابر: ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً، فكان جهدهم أن أعادوا الباب الخ..»[1].

أقوال النبي ' في المصادر والمراجع:

وفي جميع الأحوال نقول:

ذكرت الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال في خيبر بعد فرار

---

(١) الإمتاع ص٣١٤ و ٣١٥ والثاقب في المناقب ص٢٥٧ والإرشاد للمفيد ج١ ص٣٣٣ وقال في الهامش: انظر حديث فتح خيبر في تاريخ مدينة دمشق ج١ ص١٧٤ و ٢٤٨ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) للعلامة الحلي ص١٢٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص١ وج٤١ ص٢٧٩ والإمام علي للهمداني ص٦١٣ وكشف الخفاء ج١ ص٢٣٢ و ٣٦٦ ومجمع البيان ج٩ ص٢٠٢ والميزان ج١٨ ص٢٩٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢١٦ وعن دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٢١٢ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣٢٣ عن مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٢ ص١٢٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٩.

المهاجرين والأنصار: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله[١].

(١) تاريخ بغداد ج٨ ص٥ ومسند أحمد ج١ ص٩٩ و ١٨٥ وج٥ ص٣٣٣ و ٣٥٣ و ٣٥٨ وصحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ وتاريخ البخاري ج١ ق٢ ص١١٥ وج٤ ص١١٥ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ فما بعدها، وصحيح مسلم ج٧ ص١٢١ و ١٢٠ وج٥ ص١٩٥ وتذكرة الخواص ص٢٤ و ٢٥ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٢١٩ و ٢٢٠ وأسد الغابة ج٤ ص٢٥ و ٢٨ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ وسنن ابن ماجة (ط مكتبة التازية بمصر) ج١ ص٥٦ والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٣٨ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص٤ و ٥ و ٣٢ و ٦ و ٧ و ٨ ومنتخب كنز العمال ج٥ ص٤٤ و ٤٨ وج٤ ص١٣٠ و ١٢٧ و ١٢٨ والصواعق المحرقة (ط المكتبة الميمنية بمصر) ص٧٤ والمناقب المرتضوية (ط بمبي) ص١٥٨ ومدارج النبوة للدهلوي ص٣٢٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ وحياة الحيوان (مطبعة الشرفية) ج١ ص٢٣٧ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص٥٦٤ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٩ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ وتاريخ الخلفاء (مطبعة السعادة بمصر) ص١٦٨ ونور الأبصار ص٨١ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص١٦٩ وتاج العروس ج٧ ص١٣٣ وينابيع المودة (ط بمبي) ص٤١ والطبقات الكبرى لابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج٣ ص١٥٦ و ١٥٧ =

ليس بفرار[1].

= ومشارق الأنوار للصغائي (ط مكتبة الأستانة) ج٢ ص٢٩٢ وكفاية الطالب (ط الغري) ص١٣٠ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ والعقد الفريد (ط مكتبة الجمالية بمصر) ج٣ ص٩٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية) ص١٧٦ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٨ و ١٣٢ و ٤٣٧ والشفاء (ط مصر) ج١ ص٢٧٢ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ وج٢ ص١٨٨ و ١٩٠ ولباب التأويل ج٤ ص١٥٢ و ١٥٣ والمعجم الصغير (ط دهلي) ص١٦٣ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٣٦٦ ومصابيح السنة (ط المكتبة الخيرية بمصر) ج٢ ص٢٠١ ومعالم التنزيل ج٤ ص١٥٦ وجامع الأصول ج٩ ص٤٦٩ و ٤٧١ و ٤٧٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٨ و ٢١ و ٢٠ عن الخرايج والجرايح وعن إعلام الورى ص١٠٧ و ١٠٨ وعن الخصال ج٢ ص١٢٠ و ١٢٤.

(١) مسند أحمد ج١ ص١٣٣ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص٥ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة الخيرية بمصر) ج٣ ص١٧٥ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ والإستيعاب (مع الإصابة) ج٣ ص٣٦٦ وكفاية الطالب (ط الغري) ص١٣٠ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج٥ ص٤٨ وج٤ ص١٢٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها، والمغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٠ عن الخصال ج٢ ص١٢٠ و ١٢٤.

أو: كرار غير فرار[١].

أو: لا يرجع حتى يفتح الله عليه[٢].

أو: يفتح الله على يديه[٣].

أو قال: لا يولي الدبر، يفتح الله عليه[٤].

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٣٥٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ وبحار الأنوار ج٢١ ص ٢٨ و ٢١ عن الخرايج والجرايح وعن إعلام الورى ص١٠٧ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج٥ ص٤٨ والمناقب المرتضوية (ط بمبي) ص١٥٨ ومعارج النبوة ص٢١٩ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٥ و ١٨٧.

(٢) المعجم الصغير (ط دهلي) ص١٦٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٨ والمغازي ج٢ ص٦٥٣ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٨ و ٢١ و ٢٠ عن الخرايج والجرايح وعن إعلام الورى ص١٠٧ وعن الخصال ج٢ ص١٢٠.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ ومصادر أخرى.

(٤) المستدرك للحاكم ج٣ ص٣٨ والمعجم الصغير (ط دهلي) ص١٦٣ وتاريخ بغداد ج٨ ص٥ والسنن الكبرى ج٩ ص١٠٧ والإستيعاب (مع الإصابة) ج٣ ص٣٦٦ وكفاية الطالب (ط الغري) ص١٣٠ وتذكرة الخواص ص٢٤ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج٥ ص٤٨ وج٤ ص١٣٠ والصواعق المحرقة (ط المكتبة الميمنية بمصر) ص٧٤ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص٥٦٤ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها =

فاستشرف لها الناس، فبعث علياً[١].

أو: فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها[٢].

= وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٤ ولباب التأويل ج٤ ص١٨٢ و ١٨٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ ومعارج النبوة ص٢١٩ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢ وتاريخ الخلفاء (ط مكتبة السعادة بمصر) ص١٦٨ ونور الأبصار ص٨١ وإسعاف الراغبين بهامشه ص١٦٩ وتاج العروس ج٧ ص١٣٣ وينابيع المودة (ط بمبي) ص٤١.

(١) مسند أحمد ج١ ص١٣٣ وراجع: تاريخ البخاري (ط حيدر آباد الدكن) ج١ ق٢ ص١١٥ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢٠ وسنن ابن ماجة (ط المكتبة التازية بمصر) ج١ ص٥٦ والجامع الصحيح ج٥ ص٦٣٨ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص٤ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤٣٧ ومنتخب كنز العمال (بهامش المسند) ج٤ ص١٢٧ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ فما بعدها وراجع: الرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣.

(٢) صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢١ ومسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ وتاج العروس ج٧ ص١٣٣ وينابيع المودة (ط بمبي) ص٤١ فما بعدها ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٢٠٥ وحلية الأولياء ج١ ص٦٢ والسنن الكبرى ج٩ ص١٠٧ وجامع الأصول ج٩ ص٤٧٢ وتذكرة الخواص ص٢٤ وأسد الغابة ج٤ ص٢٢ والصواعق المحرقة (ط =

وفي اليوم التالي غدا الناس على رسول الله «صلى الله عليه وآله» كلهم يرجو أن يعطاها[١].

وعند الراوندي: فتطاول جميع المهاجرين والأنصار، فقالوا: أما علي فهو لا يبصر شيئاً، لا سهلاً ولا جبلاً[٢].

وعند الطبري: فتطاولت لها قريش ورجال، كل واحد منهم يرجو أن يكون هو صاحب ذلك[٣].

= الميمنية بمصر) ص٧٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ص١٩ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ ومسند الطيالسي ص٣٢٠ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ وتاريخ الخلفاء (ط مكتبة السعادة بمصر) ص١٦٨ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ١٦٩ ونور الأبصار ص٨١.

(١) صحيح البخاري (ط محمد علي صبيح بمصر) ج٥ ص١٧١ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢١ ومسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ ومشكاة المصابيح (ط دهلي) ص٥٦٤ والإصابة ج٢ ص٥٠٢ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ والخصائص للنسائي ص٦ ومصابيح السنة (ط مكتبة الخيرية بمصر) ج٢ ص٢٠١ وتذكرة الخواص ص٢٤ والصواعق المحرقة (ط المكتبة الميمنية بمصر) ص٧٤.

(٢) بحار الأنوار ج٢١ عن الخرايج والجرايح.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٠٧ =

وفي نص آخر: تطاول لها أبو بكر وعمر[١].

= والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٢ ص٢١٩ وراجع: منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٢٨ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٥ فما بعدها والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨.

(١) راجع: كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٠ ص٤٦٣ وخصائص الوحي المبين ص١٥٦ وتفسير الثعلبي ج٩ ص٥٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٠٠ وغاية المرام ج٥ ص٥٨ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٢٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨ والعمدة لابن البطريق ص١٥٠ والدرر لابن عبد البر ص١٩٩.

الفصل الثالث:

وقفات مع النصوص..

نصوص الفصل السابق في وقفات:

وبعد.. فإن لنا هنا وقفات عديدة مع النصوص التي تقدمت في الفصل السابق، نقتصر منها على ما يلي:

ابن الصباغ ينقل عن صحيح مسلم:

قال ابن الصباغ: «وفي صحيح مسلم: قال عمر بن الخطاب: فما أحببت الإمارة إلا يومئذٍ، فتساورت لها، وحرصت عليها حتى أبديت وجهي، وتصديت لذلك ليتذكرني..

ثم قال: قالوا: وإنما كانت محبة عمر لما دلت عليه من محبته الله ورسوله، ومحبتهما له، والفتح»[1].

ونقول:

إن العبارة الأخيرة ربما تجعل ذريعة للقول بأن النبي «صلى الله عليه وآله» حين منع عمر من الراية يكون قد اتهم عمر بشيء لا يحب أحد أن يتهم به..

ثم إن سائر الروايات قد اقتصرت على القول: بأن عمر قال: ما أحببت

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ص٣٨ و (ط دار الحديث) ج١ ص٢١٨ عن أبي السعادات اليافعي في المرهم، وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٨١ و ٢٨٧.

الإمارة إلا يومئذٍ.

قال: فتساورت لها، رجاء أن أدعى لها(١).

فدعا «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»، فأعطاه إياها، وقال: امش، ولا تلتفت.

فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟!

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

(١) صحيح مسلم (ط محمد علي صبيح) ج٧ ص١٢١ ومسند الطيالسي ص٣٢٠ والتاج الجامع للأصول ج٣ ص٣٢٦ ومسند أحمد ج٢ ص٣٨٤ وعن صحيح البخاري ج٧ ص٥٤٤ (٤٢٠٩ و ٤٢١٠) والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥١ و ٢٥٢ وخصائص علي بن أبي طالب للنسائي ص٧ والطبقات لابن سعد (ط دار الثقافة الإسلامية مصر) ج٣ ص١٥٦ ومعارج النبوة ص٢١٩ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص١٢٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٢٠٥ وجامع الأصول ج٩ ص٤٧٢ وتذكرة الخواص ص٢٤ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص٧٤ و ٧٥ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨ والنهاية لابن الأثير ج٢ ص٤٢٠ وينابيع المودة ج١ ص١٥٤ وبحار الأنوار ج٣٩ ص١٢ و ١٣ وشرح صحيح مسلم للنووي ج١٥ ص١٧٦ والديباج على مسلم ج٥ ص٣٨٧ ورياض الصالحين للنووي ص١٠٨ والجوهرة في نسب علي بن أبي طالب وولده ص٦٨ وشرح أصول الكافي للمازندراني ج٦ ص١٣٦ وج١٢ ص٤٩٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٨.

فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم ومالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله[١].

فهل كانت لدى ابن الصباغ نسخة من صحيح مسلم تختلف عن النسخة التي وصلت إلينا؟

أم أن أحداً قد كتب في هامش نسخته توضيحاً لكلام عمر، فظنه ابن الصباغ جزءاً من الرواية، فأدرجه فيها؟!

أو أن ابن الصباغ نفسه قد شرح كلمة عمر بالنحو المتقدم، لكن نساخ كلامه قد أسقطوا (بعض الكلمات)؟!

إن كل ذلك محتمل.. ويؤيد هذا الاحتمال الأخير: أن الماحوزي نقل كلام ابن الصباغ بإضافة ما يدل على أنه كان بصدد توضيح كلام عمر، فراجع[٢].

---

(١) صحيح مسلم (ط محمد علي صبيح) ج٧ ص١٢١ ومسند الطيالسي ص٣٢٠ والتاج الجامع للأصول (ط مصر) ج٣ ص٣٢٦ ومسند أحمد ج٢ ص٣٨٤ والخصائص للنسائي ص٧ والطبقات لابن سعد (ط دار الثقافة الإسلامية) ج٣ ص١٥٦ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٨ والمعجم الصغير (ط دهلي) ص١٦٣ وتذكرة الخواص ص٢٤ و ٢٥ والبداية والنهاية ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٨.

(٢) كتاب الأربعين للماحوزي ص١٨١ و ١٨٩.

اللهم لا مانع لما أعطيت:

١ـ ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل عمر إلى اليهود مرتين:

إحداهما: قبل أبي بكر.

والثانية: بعده.

فهل فعل النبي «صلى الله عليه وآله» ليسقط دعاوى عمر لنفسه الشدة والصلابة؟!

أو أنه أراد بذلك أن يسد الطريق على الأعذار التي قد يتعلل بها عمر لهزيمته في المرة الأولى؟! أو أنه قصد الأمرين معاً؟!

٢ ـ هل كان إرسال أبي بكر لمهاجمة الحصن الخيبري، لكي لا يدعي محبوه له الشجاعة النادرة، لمجرد أنه قال لعمر: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد مات بعد أن كان عمر قد أنكر موته في غياب أبي بكر، أو لأنه كان مع النبي «صلى الله عليه وآله» في العريش، أو نحو ذلك.

وقد ظهر من هزيمته، وهزيمة صاحبه هنا، بالإضافة إلى هزائمهما في قريظة، وأحد، وحنين، وسواهما، ونكولهما عن عمرو بن عبد ود في الخندق.. ظهر أن هذا هو طبعهما الحقيقي.. وأن توثبهما للراية حين أعطاها النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي في خيبر لم يكن في محله، بل كان توثباً لما يريدان أن يحصلا عليه من دون مخاطر..

ولربما يكون ادِّعاء هذا التوثب قد جاء متأخراً منهما، ليستردا بعض

ماء الوجه الذي فقداه بهزيمتهما في اليومين الأولين.

وعلى كل حال، فإن هذين الرجلين كانا قد أثبتا بصورة عملية، وبنحو قد تكرر، وتقرر أنهما ليسا من السنخ الذي يفتح الله على يديه الحصون، وتقر بقلع أبوابها العيون..

بل الذي يقوم بهذه المهمات الجسام، هو من نزل فيه قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[1].

ومن يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ومن هو كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه..

وهو ذلك الذي لا مطمع له بالدنيا، ولا أرب له بشيء من حطامها، ومن يرضى بما قسم الله تعالى له، ويرى أن ما به من نعمة فمن الله، وفق ما صرح به حين قال: «اللهم لا مانع لما أعطيت».

أبشر يا محمد بن مسلمة:

وذكرت بعض روايات الواقدي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دفع لواءه إلى أحد المهاجرين، فرجع، ولم يصنع شيئاً، فدفعه إلى آخر، فكذلك.. فدفع لواء الأنصار إلى رجل منهم، فرد كتائب اليهود إلى الحصن.. فخرج ياسر ومعه جماعته، فكشف الأنصارحتى انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

(١) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

وعرض «صلى الله عليه وآله» الإسلام على أهل خيبر، مقابل أن يحرزوا أموالهم ودماءهم، فرفضوا، فقال «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله[١]، ليس بفرار[٢].

ونقول:

١ ـ قد تكتم الراوي على أسماء المهاجريَّيْنِ، والأنصاري، وإن كان قد ألمح إلى الأنصاري بما يفهم منه أنه سعد بن عبادة.

٢ ـ رغم أن الأنصاري قد رد اليهود إلى حصونهم، فقد ظهر أن الراوي يرغب بأن يساويه مع ذينك المهاجريَّيْنِ، حيث ذكر أنه كان يؤنب أصحابه على ما جرى له..

٣ ـ إن الراوي قد أبهم التعابير، لكي لا يفهم الناس فرار المهاجريَّيْنِ، مع أنه يذكر أنه صار يستبطئ أصحابه، بدلاً من كلمة «يجبِّن».. وكأنه يريد أن يجعل التبعة على الأصحاب، لا على قائدهم.

٤ ـ إنه نسب اللواء الذي أعطي للمهاجري إلى رسول الله، ولكنه بالنسبة للأنصاري، قال: أعطاه لواء الأنصار، ليعطي ميزة للمهاجري بأن رسول الله من فئته.. وبأن اللواء الذي أعطاه إياه هو اللواء الأعظم.

ولكنه وقع في محذور نسبة الفرار بلواء الجيش كله إلى المهاجريَّيْنِ.. أما

(١) في الإمتاع ص٣١٤ لم يذكر كلمة «ويحب الله ورسوله».

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٦٥٣ و٦٥٤ وإمتاع الأسماع ص٣١٣ و٣١٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج١٣ ص٣٣٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٤.

الأنصاري، فإنما فر بلواء الأنصار وحسب، فما عمله المهاجريَّان يكون في غاية القبح، لأن فِرارهما ينسب لرسول الله، وللجيش كله، وفرار الأنصاري ينحصر به وبقومه.

مع أنه قد أقر للأنصاري بتحقيق إنجاز هام عجز عنه المهاجريان، وهو أنه رد كتائب اليهود إلى حصنهم..

الأرمد يطحن:

وفي بعض النصوص: أنه لما سأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن علي «عليه السلام» قالوا: هو في الرحل يطحن.

قال: وما كان أحدكم ليطحن؟! فجاء وهو أرمد لا يكاد يبصر[1].

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٣٣١ والخصائص للنسائي (ط التقدم بمصر) ص٨ وفي (طبعة أخرى) ص٦٣ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٣٢ وكفاية الطالب (ط مكتبة الغري) ص١١٦ وراجع: العمدة لابن البطريق ص٨٥ و ٢٣٨ وذخائر العقبى ص٨٧ وحلية الأبرار ج٢ ص وبحار الأنوار ج٣٨ ص٢٤١ وج٤٠ ص٥٠ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١١٢ و ٢٩٢ والمراجعات ص١٩٦ والغدير ج١ ص٥٠ وج٣ ص١٩٥ ومواقف الشيعة ج٣ ص٣٩٣ وعن مجمع الزوائد ج٩ ص١١٩ وكتاب السنة لابن عاصم ص٥٨٩ والسنن الكبرى ج٥ ص١١٣ وعن خصائص الوحي المبين لابن البطريق ص١١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٩٨ و ٩٩ و ١٠١ وج٤٦ ص١٥٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٦٨ وعن الإصابة لابن حجر ج٤ ص٤٦٧ وعن البداية والنهاية ج٧ ص٣٧٤ والمناقب للخوارزمي ص١٢٥ .

ونلاحظ: أنه «عليه السلام» حتى وهو أرمد، لا يكاد يبصر، لا يكون اتكالياً على غيره في خدمته لنفسه، وللمقاتلين بالاستناد إلى رمد عينيه، بل يكون هو العامل، الذي يختار عملاً يقدر على أدائه، مما فيه فائدة للجيش، الذي هو بصدد دفع أعداء الله تعالى.

في حين أن غيره سارع إلى الحضور في مجلس النبي «صلى الله عليه وآله»، وكثير منهم مستشرف للراية طامعاً وآملاً بالفوز بها، حين عرف أن حاملها سوف يفتح الله على يديه، وأن ذلك سوف يكون وساماً ربما يكون له تأثيره في تبوء المقامات، وتحقيق الطموحات..

وكأن استشراف هؤلاء الطامعين للراية إنما كان للوعد بالفتح الذي أطلقه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. رغم فرارهم بها بالأمس وقبله..

ولعلهم ظنوا: أن الفتح سيأتي على سبيل الإعجاز، ومن دون تعب، ونصب، وتضحية.. ذاهلين عن أن الفتح إنما يكون على يدي الكرار غير الفرار.

ومن يكون الله ورسوله أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه..

ومن لا يريد بهذا الجهاد أن يحصل لنفسه على المكاسب أو المناصب الدنيوية..

ومن يلتزم بحرفية أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا يتعداها.

ومن لا يعتبر إعطاء الراية له والفتح على يديه مكسباً دنيوياً.. بل هو عطاء إلهي على قاعدته التي اطلقها «عليه السلام» في هذا الموقف بالذات،

حين قال: «اللهم لا مانع لما أعطيت»[1].

ومهما يكن من أمر، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد لامهم على تركهم علياً يطحن، ومبادرتهم إلى مجلسه «صلى الله عليه وآله»، لأنه رأى أن مبادرتهم هذه، واستشرافهم للراية أيهم يعطاها سعي للدنيا، وطلب لها..

وما كان أحراهم لو اشتغلوا بالطحن، فإنه سيكون نافعاً لهم في دنياهم وفي آخرتهم، التي هم أحوج إليها من أي شيء آخر..

ولو أنهم افسحوا المجال لعلي «عليه السلام» ليحضر، لكان حضوره «عليه السلام» في ذلك المجلس هو المرضي لله، لأن حضوره سيكون من أجل الآخرة، وللعمل على حل العقدة، ونصرة أهل الحق.. ولأجل ذلك استحقوا اللوم من النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنهم أوكلوا الطحن إلى علي «عليه السلام»، وكان الحري بهم أن يتولوه عنه.

كما أن هذا اللوم الذي وجهه النبي «صلى الله عليه وآله» لهم يعطي أن عليهم أن يعرفوا أقدار الناس، وأقدار أنفسهم، وأن يضعوا الأمور في مواضعها، وأن يوكلوا كل عمل إلى أهله.. فلا يوكلوا الطحن واستقاء الماء، وحراسة النساء إلى القادة والذادة، وعلماء الأمة وربانييها.

علام أقاتلهم؟!:

وثمة سؤال يقول:

ألم يكن علي «عليه السلام» يعلم هدف القتال في خيبر، فلماذا إذن

---

(١) قد ذكرنا مصادر هذه الكلمة في موضع آخر، فراجع.

وقف وسأل النبي «صلى الله عليه وآله» قائلاً: علام أقاتلهم؟!..

ونجيب:

بأن سؤاله هذا إنما هو لتعريف الذين جاؤا من أجل الغنائم، وأرادوا الحصول على الراية، للحصول على الإمارة والشهرة، والسمعة، والرفعة في الدنيا، فإنهم قد أخطأوا الطريق، والغاية على حد سواء..

ويزيد هذا الخطأ فداحة وقباحة، إذا كانوا يسعون إلى فرض إسلامهم على غيرهم بالقهر والقوة، وبالسيف، لا بالحجة والبرهان.

وقد لوحظ هنا: أنه «عليه السلام» لم يقل للنبي «صلى الله عليه وآله»: أقاتلهم حتى يكونوا مسلمين؟!

بل قال: «حتى يكونوا مثلنا»، لأن السؤال الأول يجاب عنه بنعم أو بلا.. لكن كلمة «مثلنا» قد مهدت لبيان ذلك الأمر الحساس الذي يراد إفهامه للناس، وهو أنه بعد أن أقيمت الحجة عليهم، واصبحوا مجرد معاندين وجاحدين، يمارسون البغي والعدوان، صار المطلوب مستوى معيناً من المثلية، وهي الدرجة التي توجب حقن دمائهم، وهي قول لا إله إلا الله، محمد رسول الله..

أما سائر المراتب والدرجات فهي إنما تحصل بالسعي الدؤوب من قبل الأفراد أنفسهم، كل بحسب حاله وقدراته، ودرجات معرفته، وطبيعة ظروفه، وأحواله.

تعريف اليهود حق الله وحق الرسول:

وثمة أمر آخر، وهو: أنه «صلى الله عليه وآله» طلب من علي أن يعرف

اليهود حق الله وحق رسوله..

وهذا الطلب يدل على أن الأمر قد تجاوز حدود إقامة الحجة، فقد أثبتت الدلائل القاطعة لهم الألوهية والرسولية له «صلى الله عليه وآله».. وهم الآن في مقام جحد حق الله وحق رسوله، وهذا القتال في خيبر إنما هو على هذا..

ما هو حق الله، وحق الرسول؟!:

إن حق الله على الناس هو: توحيده، وطاعته، وعبادته، وحق الرسول هو القبول منه وعنه، وتوقيره، ونصرته، والشهادة والإعتراف له بالرسولية..

أما تعريفهم بأوامر الله ونواهيه، وشرائعه، فيأتي في مرحلة لاحقة، حيث يطلب منهم هم أن يسعوا لذلك من خلال تقواهم، وخوفهم منه، ورغبتهم بما عنده سبحانه..

كما أن معرفة سائر ما يرتبط بالنبي والنبوة، فإن الدواعي الباطنية هي التي تدفع للحصول عليه.

هداية الناس هدف نبيل:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» عقب كلامه عن حق الله وحق رسوله ببيان مسؤوليات الناس تجاه إخوانهم في الإنسانية، فإن على رأس هذه المسؤوليات العمل على هدايتهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فلا يكون همُّ الفاتحين لحصون خيبر هو فتح الحصون والحصول على الأموال والسبايا، والغلبة، وقهر الرجال، بل يكون همهم هو إعزاز الناس، وفتح قلوبهم للحق، وإنقاذهم من ضلالاتهم، وجهالاتهم.

توحيد اليهود مشوب بالشرك:

إن قوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، يشير إلى أن توحيد اليهود مشوب بالشرك، أو بغيره من المعاني التي تنافي التوحيد الخالص، ولو بمستوى عبادة الذات، والمال، والسلطان، فضلاً عن قولهم: عزير ابن الله، واعتقادهم بالتجسيم الإلهي، وقولهم: ﴿**أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً**﴾(١). وقولهم: ﴿**اجْعَلْ لَنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**﴾(٢)، وقولهم: ﴿**يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾(٣)، ونسبة العجز، والظلم إليه وغير ذلك..

وقد جعل «صلى الله عليه وآله» حفظ الأنفس والأموال منوطاً بالشهادتين، لأن للكفر وللإيمان مراتب، فأشد وأقبح مراتب الكفر، الإلحاد والشرك، فإن الشرك ظلم عظيم.

ثم يلي هذه المرتبة مرتبة الذين يفرقون بين الله ورسله، ويقولون: نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض أولئك هم الكافرون حقاً.

وهناك أيضاً مرتبة الإعتراف بوجود الله، وإنكار النبوة الخاتمة، وإن اعترفوا أيضاً بأن له رسلاً وكتباً وشرائعَ، وثواباً، وعقاباً، كما هو حال أهل الكتاب.

ولذلك كان لهؤلاء أحكام تختلف عن أحكام المشركين والملحدين،

---

(١) الآية ١٥٣ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٣٨ من سورة الأعراف.

(٣) الآية ٦٤ من سورة المائدة.

فيجوز التزويج متعة بالكتابية، ولا يجوز تزويجهم. ويصح اعتبارهم من أهل الذمة وعقد العهد معهم، ويمنع التعرض لهم في ممارساتهم الدينية، وفق حدود وقيود..

فإذا ارتقوا في إيمانهم، وشهدوا الشهادتين، وقبلوا الإسلام ديناً، حقنت دماؤهم وأموالهم، وجاز التزوج منهم والتزويج لهم، وتحل ذبائحهم، ويحكم بطهارتهم، ويرثون، ويورثون.

فإن قبلوا الإمامة زادت امتيازاتهم على ذلك أيضاً، فحرمت غيبتهم، ووجبت لهم حقوق الأخوة الإيمانية، وإن طلق أحدهم وفق المذاهب الأخرى لم يقبل منه، فلا يمضى الطلاق بالثلاث، ويحكم بفساد طلاقه إن كان بلا شهود.

فإذا صار من أهل العدالة صحت الصلاة خلفه، وجاز إشهاده على الطلاق، وغيره.

ثم إن الواحد منهم يتدرج في مراتب الفضل والكمال، فللعالم فضله، وللتقي مقامه، وقد يصير التقي العالم ولياً من الأولياء.. وقد اصطفى الله تعالى الأنبياء من هؤلاء.. ثم تدرج الأنبياء في مراتب الفضل، فالرسول أفضل من النبي بلا رسالة، وأولو العزم من الرسل أفضل من غيرهم، وأصحاب الشرائع افضل من سائر أولي العزم، والنبي الخاتم، وهو نبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله» أفضل من جميع الخلق..

وللأئمة أيضاً درجاتهم في الفضل، وافضلهم الأئمة الإثنا عشر، وأفضلهم علي «عليهم السلام».. بل هو أفضل الخلق على الإطلاق بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وعلى كل حال، فإن للإمامة مراتبها، وأعظمها مرتبة الإمامة للنبوة الخاتمة أيضاً.. ولكل خصوصية مقامها وأحكامها التي تناسبها..

هل قاتل الشيخان؟!:

زعمت النصوص المتقدمة: أن أبا بكر وعمر قاتلا في خيبر قتالاً شديداً، وقد جهدا فلم يفتح لهما..

وهذا غير صحيح:

أولاً: إن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله عليه، فيه تعريض ظاهر، يصل إلى حد الإتهام لمن سبق علياً «عليه السلام» بأنهم فرارون، وبأنهم لا يحبون الله ورسوله..

بل بعض النصوص تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: هكذا تفعل المهاجرون والأنصار؟! حتى قالها ثلاثاً ـ لأعطين الراية إلخ..[1].

وفي بعضها: فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: ما بال أقوام يرجعون منهزمين، يجبنون أصحابهم؟[2].

فلو كان أبو بكر وعمر قد قاتلا حتى جهدا لم يصح هذا التعريض منه بهما وبمن معهما، بل كان يجب الإشادة بهما، وإغداق الأوسمة عليهما وعليهم، وذلك يدل على أن هزيمتهم لم تكن بسبب قوة اليهود، بل بسبب

---

(١) بحار الأنوار ج٢١ ص١٢ وج٣٢ ص٣٤٤ والإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٦٤.

(٢) الخرائج والجرائح ج١ ص١٥٩ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٨.

الجبن والتخاذل، الأمر الذي الحق ضرراً بالغاً بروحية المسلمين..

ثانياً: ويدل على ذلك: أن الأصحاب كانوا يتبادلون الإتهامات حول ما حدث، كما دلت عليه النصوص المتقدمة.

ثالثاً: في بعض النصوص ما يشير إلى أن عمر بن الخطاب لم يصل إلى العدو، بل سار بالراية غير بعيد، ثم رجع يجبِّن أصحابه ويجبنونه، فقال «صلى الله عليه وآله»: ليست هذه الراية لمن حملها، جيئوني بعلي[١]..

يحب الله ورسوله:

قلنا فيما سبق: أن كلام النبي «صلى الله عليه وآله» حول الراية قد تضمن تعريضاً بمن انهزم بها، لأن لحب الله تعالى وحب رسوله آثاره ومؤثراته، وشواهده وملامحه، ولم نجد شيئاً منها في الذين أخذوا الراية قبل علي «عليه السلام».

فحب الله وحب رسوله يفرضان إيثار رضاهما على النفس، وعلى المال، وعلى الجاه، وعلى أي شيء من حطام الدنيا.

وقد أظهر الفارون أنهم يؤثرون سلامة أنفسهم، أو حفظ مصالحهم على رضا الله ورسوله، فارتكبوا إثم الفرار من الزحف، والتفريط بدين الله، وبعباد الله، وبسلامة رسول الله، مع علمهم بأن هذا الفرار يُطْمِعُ الأعداء

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص٢٦ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٥ وراجع: مدينة المعاجز ج١ ص١٧٤.

بالمسلمين، ويسقط روح الصمود والتصدي لدى الأولياء، وأين هذا مما يدعونه من حب الله ورسوله، وإيثار الجهاد في سبيله؟!

علي عليه السلام يحبه الله ورسوله:

وإذا كان علي «عليه السلام» يحب الله ورسوله، وقد صدقته شواهد الإمتحان، على قاعدة:

كل من يدعي لما هو فيه صدقته شواهد الإمتحان

فإنه إن قام بما يدعوه إليه ذلك الحب، من التماس رضا الله في كل شيء، والتزام طاعة رسوله، والوفاء والتضحية، وبذل النفس والمال وكل شيء في هذا السبيل.. فلا بد أن يحبه الله ورسوله، قبل، ومع، وبعد ذلك.. لأن الله يحب من يحبه، ويعمل بما يرضيه.

وقد تضمن هذا التعريض بالفارين تحذير لهم ولغيرهم بأن عليهم أن يلتزموا طريق الصدق والإخلاص لله في أعمالهم، وإلا فمن الممكن أن يتعرضوا لمثل هذا الإمتحان العسير.. حين لا بد من ممارسة هذا الحق لتحصين الساحة من حدوث إخلالات كبيرة وخطيرة.

كرار غير فرار:

وقد وصف «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»: بأنه كرار غير فرار ـ بصيغة التكثير ـ ليفيد: أن الكر على الأعداء هو طبيعة وخلق في علي «عليه السلام».. لكن طبيعة غيره هي الفرار، وهو كثير الصدور منهم..

وقد تجلت كثرة الكر منه «عليه السلام»، وكثرة الفر منهم في مواطن

عديدة، مثل: بدر، وأحد، والنضير، والخندق، وقريظة، وغير ذلك..

لا يولى الدبر:

ثم أكد صفة الرجل الذي يحب الله ورسوله.. وصفة الذين فروا بالراية بقوله: لا يولي الدبر.. وهذا التعبير من شأنه أن يزيد في نفور السامع من هذا العمل.. ويجعل الناس يتذكرون فرارهم في اليومين السابقين أفراداً وجماعات.

واللافت هنا: أن هذا الكرار بالذات سوف يأخذ معه نفس هؤلاء الذين فروا بالأمس مع قادتهم، وسوف يفرون هم وقادتهم عنه مرة أخرى أيضاً كما ورد في النصوص.

لا يرجع حتى يفتح الله عليه:

١ ـ وربما يخطر في بال أحد من الناس أن الذي لا يولي الدبر قد لا يتمكن من تحقيق النصر، فيرجع خالي الوفاض.. وهذا الرجوع لا يعد هزيمة.. فأخبر «صلى الله عليه وآله»: أنه «عليه السلام» لا يرضى حتى بهذا الرجوع، بل هو يصر على تحقيق النصر والفتح، ولا يرجع بدونه..

٢ ـ ويلاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم ينسب الفتح إلى علي «عليه السلام»، فلم يقل: لا يرجع حتى يفتح حصنهم، أو حتى ينتصر عليهم، بل هو ينسب الفتح إلى الله، من حيث أن علياً بجهده وجهاده يستحق اللطف والكرامة الإلهية، فيجعل الله تعالى الفتح على يديه..

وكيف لا يعطيه الله هذه الكرامة، وهو يحب الله ورسوله ويحبه الله

ورسوله، وهو كرار غير فرار، وهو لا يولي الدبر؟!

فمن الطبيعي بعد هذا أن تكون النتيجة هي هذا التشريف، والتكريم الإلهي، فكأنها من الأمور التي تكون قياساتها معها.

لا يخزيه الله أبداً:

وجاء في بعض النصوص أيضاً قوله «صلى الله عليه وآله»: لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً.. مما يعني: أن هزيمة أولئك كانت من القبح بحيث تعد من مفردات الخزي. وهو أمر لا تنحسر آثاره وتبعاته بسهولة، بل يبقى يلاحق فاعليه بكوابيسه المخيفة، والمؤذية، ويلقي بكلاكله الثقيلة عليهم عبر السنين والأحقاب.

وليلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد حكم حكماً قاطعاً بعدم لحوق الخزي بعلي «عليه السلام» في أي من الظروف والأحوال، وعبر الأحقاب والأزمان.. وهو «صلى الله عليه وآله» ﴿**مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1].

ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم:

ويقولون: لما قال النبي «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، قال عمر: ما أحبب

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

الإمارة إلا ذلك اليوم[١].

ونقول:

هناك دلائل تشير إلى ما يخالف هذا القول من عمر، فلاحظ ما يلي:

أولاً: لما جاء وفد ثقيف إلى المدينة، وقال لهم النبي «صلى الله عليه وآله»: لتسلمن أو لأبعثن إليكم رجلاً مني، وفي رواية: مثل نفسي، فليضربن أعناقكم، وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم..

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ وراجع: شرح أصول الكافي ج٦ ص١٣٦ و ١٣٧ و ٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين ج٢ ص٥٠٣ وأمالي الطوسي ص٣٨٠ والعمدة ص١٤٤ و ١٤٩ والطرائف لابن طاووس ص٥٩ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢٧ وج٣٩ ص١٠ و ١٢ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٩٠ ومقام الإمام علي للعسكري ص٣٠ و ٤٢ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٢٢٩ وأضواء على الصحيحين ص٤٣٢ وعن صحيح مسلم ج٧ ص١٢١ وعن فتح الباري ج٧ ص٤٧ و ٣٦٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١١ و ١٨٠ وعن خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص٥٧ ورياض الصالحين للنووي ص١٠٨ وعن تفسير ابن كثير ج١ ص٣٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص٤٥٩ وج٤٢ ص٨٣ و ٨٤ وعن الإصابة ج٤ ص٤٦٦ وعن البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٣٧٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٤٢٢ وعن عيون الأثر ج١ ص٢٩١ ونشأة التشيع ص١٢٠ وعن التاج الجامع للأصول ج٣ ص٣٣١ ورواه الشيخان.

قال عمر: فوالله، ما تمنيت الإمارة إلا يومئذٍ، وجعلت أنصب صدري له، رجاء أن يقول: هو هذا.

فالتفت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى علي «عليه السلام»، وقال: هو هذا، هو هذا[١].

فكيف يقول عمر عن نفسه في واقعة خيبر: ما تمنيت الإمارة إلى يومئذ؟!

ثانياً: هل كان عمر زاهداً في الإمارة أيضاً حين هاجم بيت الزهراء في أحداث السقيفة، واعتدى عليها بالضرب، وتسبب في إسقاط جنينها محسن، بل في استشهادها؟!

وهل كان يريد رضا الله تعالى بذلك؟! والنبي «صلى الله عليه وآله» يقول عن فاطمة «عليها السلام»: من أغضبها فقد أغضبني..

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٥ وراجع: الطرائف لابن طاووس ص٦٥ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٣٢٥ وج٤٠ ص٨٠ والمناقب للخوارزمي ص١٣٦ ونهج الإيمان لابن جبر ص٤٨١ والعدد القوية للحلي ص٢٥٠ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٦٠ وقال في الهامش: روى الحديث في أواسط ترجمة أمير المؤمنين «عليه السلام» من كتاب الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٣ ص٤٦ وأما عبد الرزاق فروى الحديث في فضائل علي «عليه السلام» تحت الرقم ٢٣٨٩ من كتاب المصنف ج١١ ص٢٢٦، وليلاحظ: ترجمة أمير المؤمنين «عليه السلام» من تاريخ دمشق ج٢ ص٣٧٣.

وكيف نفسر قول علي «عليه السلام» له حينئذٍ: احلب حلباً لك شطره؟![1].

وكيف نفسر أيضاً قوله «عليه السلام» عنه وعن أبي بكر: لشد ما تَشَطَّرَا ضَرْعَيْها[2]، أي الخلافة والإمارة.

وهل يرضى محبوه أن نقول: إنه حين قال: ما تمنيت الإمارة إلا يومئذٍ كان يقصدها قبل وفاة الرسول «صلى الله عليه وآله». فلا مانع من أن تحلو

---

(١) راجع: الإحتجاج ج١ ص٩٦ والصراط المستقيم ج٢ ص٢٢٥ وج٣ ص١١ و ١١١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٧٣ وبحار الأنوار ج٢٨ ص٢٨٥ و ٣٨٨ وج٢٩ ص٥٢٢ و ٦٢٦ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٠٠ والسقيفة للمظفر ص٨٩ والغدير ج٥ ص٢٧١ ونهج السعادة ج٥ ص٢١٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٠٨ وتثبيت الإمامة ص١٧ وأنساب الأشراف ص٤٤٠ والإمامة والسياسة (تحقيق زيني) ج١ ص١٨ وبيت الأحزان ص٨١ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج١ ص٢٥٧.

(٢) نهج البلاغة (الخطبة الشقشقية) ج١ ص٣٣ ورسائل المرتضى ج٢ ص١٠٩ والإحتجاج ج١ ص٢٨٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٦٧ وحلية الأبرار ج٢ ص٢٩٠ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٥٧ والنص والإجتهاد ص٢٥ والغدير ج٧ ص٨١ وج١٠ ص٢٥ والمعيار والموازنة لابن الإسكافي ص٤٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٦٢ و ١٧٠ والدرجات الرفيعة ص٣٤ وبيت الأحزان ص٨٩ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج١ ص٢٨٢ وشرح شافية ابن الحاجب للأسترآبادي ج١ ص٧٨.

الدنيا في عينيه بعد ذلك، ثم يفعل ذلك كله من أجل الإمارة!! وألا يعدون ذلك طعناً فيه، وإهانة له؟!

ثالثاً: أليس قد منح النبيُّ عُمَرَ الفرصة مرة بل مرتين على بعض الروايات، وأعطاه الراية، وأمره على الجيش وأرسله لمهاجمة اليهود؟! فما معنى تمنيه لهذه الإمارة مرة أخرى.. وهو قد تأمر بالأمس، وهرب هو ومن معه؟!

ولماذا لم يقم بمقتضيات هذه الإمارة التي أذلها وأسقطها بهزيمته بمن معه؟! أم أنه أراد أن يظهر حرصه على الفوز بحب الله ورسوله.. ليرى الناس أنه ليس زاهداً بهذا الأمر، كما ربما يوحي به فِراره بالأمس، فإن ذلك الفرار كان نزوة عارضة، هو يعمل على تلافي آثاره، وتصحيح مساره؟!

في حين أن عمر كان يعلم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» واقف على حقيقة الحال.. وأن الفرار هو ديدن هؤلاء الناس، لأنهم لا يحبون الله بالمستوى المطلوب، وهو بسبب معرفته هذه لن يختاره مرة أخرى، لا هو ولا غيره من الفارين، فإن المؤمن لا يلدغ من جُحرٍ مرتين، كما أن نفس كلام النبي «صلى الله عليه وآله» وحديثه عن الفرَّارين من جهة، ثم حديثه عن الذين لا يخزيهم الله أبداً.. وغير ذلك يدل دلالة قاطعة على أنه «صلى الله عليه وآله» سوف لا يختار من هو فَـرار، ويولي الدبر.. و.. و.. بل سوف يختار الذي يحبه الله ورسوله..

فما معنى أن يتطاول لها عمر، وأن يبادر إلى طلبها؟! إلا إن كان يريد أن يلقي بالتبعة في هزيمته على الذين كانوا معه، ويبرئ نفسه منها؟! أو أن هذه

الدعاوى قد جاءت بعد ذلك بزمان، بهدف استعادة بعض ماء الوجه للخليفة الثاني، كما أشرنا إليه..

القبائلية تنغض رأسها:

وتصريح المؤرخين باسم قريش على أنها هي التي تطاولت للراية يطرح سؤالاً عن سبب هذا الطموح القرشي القبائلي، ومتى كانت قريش بما هي قبيلة تهتم بأمر الجهاد والتضحية والعطاء؟! فإن القريشيين باستثناء بني هاشم لم يكونوا أكثر ولا أفضل عطاء من غيرهم..

إلا إن كانوا يقصدون تكريس هذه القرشية ليستعيضوا بها عن موضوع النص على علي «عليه السلام»، كما ظهر من كلماتهم يوم السقيفة.

أم يظنون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه هو الذي سوف يعود إلى عشائريته، ويكرس الإمتيازات لقومه وقبيلته؟! وما هي مبررات هذا التوقع الغريب والعجيب؟!

أم أنهم ظنوا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد عاد إلى هذه العشائرية، حين رأوه يعطي الراية لأبي بكر، وهو قرشي، ثم يعطيها لعمر، وهو قرشي، رغم فرار القرشي الأول بها.. بل هو قد أعطاها ـ حسب رواياتهم ـ مرة ثالثة لقرشي كان قد فر بها عن قريب، وهو عمر .. بعد أن فر بها صاحبه القرشي الآخر قبله، وهو أبو بكر..

ثم أعطاها لقرشي ثالث مرة رابعة، وهو الزبير، كما ذكرته بعض الروايات، وقد فر هو الآخر بها، ثم طلبها مرة أخرى في اليوم الأخير، فلم يعطه إياها، بل قال: والذي كرم وجه محمد لأعطين الراية رجلاً لا يفر،

هاك يا علي[(١)].

هذا بالإضافة إلى أن محمد بن مسلمة كان ممن فرَّ بالراية أيضاً[(٢)].

نعم.. هل فهموا بعد كل هذا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يعطيهم الراية لقرشيتهم؟!

ولم لا يظنون: أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يركز ويعمق شعور الناس بفرار القرشيين بالراية، وأنهم ليسوا أهل حرب، ولا يصح الإعتماد عليهم في المواقف الحساسة والصعبة، لكي يحصن الناس من دعايات قريش وإشاعاتها.

الإعلان المسبق، لماذا؟!:

كان من الممكن أن ينتظر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى اليوم التالي،

---

(١) مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٤ وراجع: شرح الأخبار ج١ ص٣٢١ والعمدة ص١٤٠ و ١٤٣ وفضائل الصحابة ج٢ ص٦١٧ ح١٠٥٤ و ص٥٨٣ ح٩٨٧ وذخائر العقبى ص٧٣ عن مسند أحمد ج٣ ص١٦ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٥٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٠٤ و ١٠٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٢١٢ ونهج الإيمان لابن جبر ص٣١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٥٢ وينابيع المودة ص١٦٤ ومصادر أخرى تقدمت.

(٢) أسد الغابة ج٤ ص٢١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٤١٣ وعن مناقب الإمام علي لابن المغازلي ص١٨٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٧٠.

ثـم يدعو علياً «عليه السلام» ويشفيه من الرمد، ثم يرسله إلى الحرب، كما أرسل غيره قبله.. ثم يعطيه الأوسمة بعد انتصاره.. ولكنه «صلى الله عليه وآله» لم يفعل ذلك..

وكان يمكنه أيضاً أن يعطيه الأوسمة لحظة إرساله بالراية.. ولكنه لم يفعل ذلك، بل أعلن الأوسمة قبل يوم من اعطاء الراية.. وقد بات الناس يتهامسون، ويقترحون الأسماء التي ستفوز بالراية: هذا تارة، وذاك أخرى.. وتشرئب الأعناق، وتنطلق الأمنيات من كل جهة وفي كل اتجاه، دون أن يمر في وهم أحد منهم اسم علي «عليه السلام»، لأنه كان أرمداً..

ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أُخْبِرَ بحاله «عليه السلام» قبل استدعائه لأخذ الراية.. كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يسأل عن سبب غيبته، لأن الله تعالى هو الذي يرعى حركة رسوله في تلك اللحظات الحساسة والخطيرة..

واستقرت كلمات النبي «صلى الله عليه وآله» في وصف صاحب الراية في نفوسهم، وتجسدت أمام أعينهم وعوده «صلى الله عليه وآله» بالنصر على يد صاحب الراية العتيد. وطبقوا الأوصاف التي أطلقها النبي «صلى الله عليه وآله» على هذا تارة وعلى ذاك أخرى.

ولعلهم قارنوا بين الأشخاص، وتأملوا في ميزاتهم وأوصافهم التي ظهرت لهم فيهم.

وقد ظهر خطؤهم جميعـاً في كل حساباتهم، وتقديراتهم، وفاجأهم القرار النبوي الصائب، وأعطيت الراية لصاحبها.. وكان ما كان..

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» كان قد أجَّل قراره، ولم يطلق الأوصاف لحامل الراية إلى اليوم التالي، فلربما لم يفكر أحد في شيء من ذلك، ولم يقم أحد منهم بأي بحث ومقارنة تطبيقية، كان يريد النبي «صلى الله عليه وآله» لهم أن يقوموا بها، ليكونوا أكثر واقعية، وأبعد عن العيش في أجواء الإدعاءات الباطلة، والإستعراضات الفارغة..

ولو أنه أجَّل كلماته إلى اليوم الثالث لتخيل الكثيرون أنها مجرد مدائح طارئة، وأوسمة تهدف إلى الحث والتشجيع، وشحذ العزائم، وقد تكون فضفاضة على أصحابها بدرجة كبيرة..

رمد عينيه عليه السلام أسعد مناوئيه:

لقد أظهرت النصوص: أن رمد عيني علي «عليه السلام» في ذلك اليوم أسعد قريشاً، والتابعين لها، والمتأثرين بسياساتها، لأن ذلك أبعد علياً عن الساحة..

ولعلهم ظنوا: أن كل الدور سيكون لهم، وإن كل الإنتصارات والإنجازات ستحقق على أيديهم، وسيحصلون على الأوسمة، وينالون المقامات والمناصب، فإنهم وبعد أن قال النبي «صلى الله عليه وآله»: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله إلخ..

غدت قريش يقول بعضهم لبعض: أما علي فقد كفيتموه، فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣١٩ وإعلام الورى ج١ ص٢٠٧ والدر النظيم =

ولكنه «عليه السلام» لما سمع مقالة رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «اللهم لا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت».

فهل تراهم يظنون أن النبي «صلى الله عليه وآله» يعطي الأوسمة جزافاً، وكيفما اتفق، ومن منطلق الهوى والعصبية؟!.

ويرون: أن وجود علي بينهم كان هو العائق لهم عن نيلها؟!

أو ظنوا: أن هذا النصر الذي وعدهم الله به سيكون سهلاً، ووجود علي «عليه السلام» هو المانع من تحقيقه.

أو ظنوا: أن الله سوف يصنع المعجزة لهم، من دون جهد أو جهاد منهم، وبلا تعب ولا نصب.. وسوف يعوضهم عن هذه النكسة التي حاقت بهم بانهزام إخوانهم في اليومين السابقين أكثر من مرة.

أو لعلهم اعتقدوا أن هذا الوعد النبوي سوف يشد من عزائم المقاتلين، ويجعلهم أكثر اندفاعاً في مهاجمة الحصن، الأمر الذي سوف ينتهي بفوز حاملي الراية بالنصر، ليكون بمثابة الغنيمة الباردة التي يحلم بها الضعفاء، والفرارون في مواقع القتال..

أو أرادوا أن يكون مجرد التصدي لأخذ الراية، مع علمهم بعدم حصولهم عليها، كافياً لتبرئة ساحتهم، ويعوضهم عن هزيمتهم، ويحفظ بعضاً من ماء وجههم، حيث سيظن كثيرون أن الهزيمة لم تكن بسبب

= ص٢٥٥ وبحار الأنوار ج٢١ ص٢١ وج٤١ ص٨٥ عن ابن جرير، وابن إسحاق.

تقصير القادة، بل كانت بسبب المقاتلين أنفسهم..

لعل كل ذلك قد دخل في حساباتهم.. ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

متى رمدت عينا علي عليه السلام؟!:

أما حديث: أن علياً «عليه السلام » تخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبقي في المدينة، فلما سار «صلى الله عليه وآله» إلى خيبر، قال «عليه السلام»: لا، أنا أتخلف؟!

فلحق برسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلا يصح؛ وذلك لما يلي:

أولاً: إذا كان علي «عليه السلام» يعاني من رمد في عينيه، حتى إنه لم يكن يبصر، وكان غير قادر على السير إلا بقائد يقوده، ومدبر يدبره، فإلى من أوكلت قيادة الجيش يا ترى في كل هذه المدة الطويلة؟! فإن كان قائده هو سلمة بن الأكوع، فإن الرواية قد صرحت: بأنه جاء به يقوده إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في قضية قتل مرحب فقط..

فكيف جاء «عليه السلام» من المدينة؟! وكيف كان ينتقل من حصن إلى حصن، ومن مكان إلى مكان لقضاء حوائجه؟!

وبعد.. فإن تخلف علي «عليه السلام» في المدينة لا بد أن يكون بإذن وبمعرفة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

كما أن مسيره لا بد أن يكون بإذن منه، فهل استأذن «عليه السلام» في الخروج من المدينة؟! أم أنه فعل ذلك من عند نفسه؟!

وإذا كان قد خرج بإذنه «صلى الله عليه وآله» وبعلمه، فلماذا لم يخرجه معه، فإن حاله لم يختلف عما كان عليه؟!

وإن كان قد أذن له بالخروج، فكيف أذن له وهو بهذه الحالة؟! وكيف؟! وكيف؟!

ثانياً: إنهم يقولون: إن سبب رمد عيني علي «عليه السلام» هو دخان الحصن الخيبري نفسه، وليس شيئاً آخر عرض له في المدينة، فراجع[1]. فإذا صح هذا، فلا يكون ثمة مبرر لبقائه في المدينة، كما زعموا.

ثالثاً: صرحت الروايات المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» أعطى اللواء في غزوة خيبر إلى علي بن أبي طالب «عليه السلام»[2].

وقد أعطاه إياها في أول حصن ورد عليه، وباشر معه القتال فيه، وهو حصن ناعم، وقد هاجم هو نفسه ذلك الحصن بالذات، فقتل معه «عليه السلام»[3] عبد يهودي اسمه ياسر، وكان قد أسلم آنئذٍ.

فكيف يعطيه اللواء، وهو لا يبصر طريقه؟!

رابعاً: قال المفيد: «كانت الراية يومئذٍ لأمير المؤمنين «عليه السلام»،

(١) راجع: مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٣ والمسترشد للطبري ص٢٩٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٠ ص٩٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٤٠٦.

(٢) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٤٨ والمطالب العالية ح٤٢٠٢ والمغازي للواقدي ج١ ص٤٠٧ وج٢ ص٦٤٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٥.

(٣) راجع على سبيل المثال: المغازي للواقدي ج٢ ص٦٤٩.

فلحقه رمد أعجزه عن الحرب»[١].

أي أن هذا الرمد قد عرض له بعد أن تسلم الراية..

خامساً: إن الرواية نفسها تدل على أن رمد عيني علي «عليه السلام» قد عرض له في تلك الفترة، وأنه لم يدم برهة طويلة، بحيث يصل خبر ذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

ففي الرواية: أنه في يوم قتل مرحب: أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» فصلى الغداة، ثم دعا باللواء، ووعظ الناس، فقال: أين علي؟!

قالوا: يشتكي عينيه.

قال: فأرسلوا إليه..

فلما جيء به قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: ما لك؟!

قال: رمدت، حتى لا أبصر ما قدامي.

فظاهر السياق يعطي: أن الناس كانوا يرون: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكن على علم بأمر الرمد، فأخبروه به.. مع أن علياً «عليه السلام» كان مهتماً بالحضور المتواصل في مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وسؤال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: ما لك؟ وجواب علي «عليه السلام» له يقطع كل عذر، ويزيل كل شبهة في ذلك.

---

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج١ ص١٢٦.

ولو كان علي «عليه السلام» غائباً عن ساحة القتال كل هذه الأيام، لعلم بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا سيما وأنه هو الذي يعتمد عليه في حروبه، وهو القريب منه، والذي يواصل الاتصال به، والتفقد له، والحاضر عنده.. وهو حامل لوائه، وقائد جيوشه..

علي عليه السلام فاجأهم:

وفي البخاري وغيره: أن علياً «عليه السلام» رمدت عيناه في المدينة، فلما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» لحق به، فوصل في لحظة إعطاء الراية.

ففاجأ حضور علي «عليه السلام» الناس، لأنهم كانوا لا يرجون حضوره، حتى إنهم حين رأوه قالوا بعفوية: هذا علي.

ونقول:

تقدم: أن رمد عيني علي «عليه السلام» إنما حصل في أواخر أيام الحصار، بل صرحت بعض الروايات: بأن الرمد أصابه بسبب دخان الحصن..

وأما الحديث عن أنهم فوجئوا بحضور علي «عليه السلام»، فقد يكون بعضه صحيحاً إذا كان أكثر الناس لم يلتفتوا، أو لم يسمعوا كلام النبي «صلى الله عليه وآله»، حين سأل عن علي «عليه السلام»، فتصدى عمار بن ياسر، أو سلمة بن الأكوع لإخباره أو إحضاره. فلما جاء به فوجئوا بحضوره.

أما إن كان المقصود: أنهم كانوا يعتقدون أن رمده قد منعه من الخروج مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة إلى خيبر، ثم لحق به..

فقد تقدم: أنه لم يفارق رسول الله «صلى الله عليه وآله» منذ خروجه من المدينة..

كلهم يرجو أن يعطى الراية:

وقد حيرنا قول المؤرخين عن أولئك الذين هربوا بالأمس أكثر من مرة: كلهم يرجو أن يُعْطىَ الراية!!

فهل يحسبون أن النبي «صلى الله عليه وآله» يتصرف عشوائياً، وبلا موازين، أو أنه قد نسي هزائمهم المتكررة، أو أنه لا يستفيد من التجربة التي تمر به، وهو القائل في غزوة بدر: لا يلدغ المؤمن من جُحرٍ مرتين[1]..

---

(١) راجع: مجمع الزوائد ج٨ ص٩٠ ومسند ابن راهويه ج١ ص٣٩٥ والأدب المفرد ص٢٧٢ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص٢٤٠ والديباج على مسلم ج٦ ص٢٩٩ وعن فتح الباري ج١٠ ص٤٣٩ و ٤٤٠ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٤٣٨ والمعجم الكبير ج٢ ص٢٢٢ و ج١٧ ص٢٠ والمعجم الأوسط ج٧ ص٣٤ و ٨٣ وج١ ص٣١ ومسند الشاميين ج١ ص١٦١ ومعرفة علوم الحديث ص٢٥٠ ومسند الشهاب ج٢ ص٣٤ ورياض الصالحين ص٧١١ وعن الجامع الصغير ج٢ ص٧٥٨ وعن كنز العمال ج١ ص١٤٧ و ١٦٦ وفيض القدير ج٦ ص٥٨٨ والفتوح لابن أعثم ج٣ ص٥٧ وسبل السلام للعسقلاني ج٤ ص٥٥ ومشكاة الأنوار ص٥٥١ والصراط المستقيم ج١ ص١١٤ وعن بحار الأنوار ج١١٠ ص١٠ وعن مسند أحمد ج٢ ص١١٥ وسنن الدارمي ج٢ ص٣١٩ وعن البخاري ج٧ ص١٠٣ وعن مسلم ج٨ ص٢٢٧ وعن سنن =

أم ظنوا: أن الله يعطي معجزاته وكراماته لمن يستحق ولمن لا يستحق، خصوصاً أولئك الذين لم يلتقطوا أنفاسهم من عناء الهرب، الذي يريد «صلى الله عليه وآله» بنفس موقفه هذا أن يعالج سلبياته، وآثاره المقيتة والمزعجة؟!

وكيف يتطاول للراية من كان بفراره المقيت سبباً في اتخاذ النبي «صلى الله عليه وآله» هذا القرار الحاسم باعطاء الراية لكرار غير فرار؟!

التدخل الإلهي خارج دائرة الإختيار:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أنه حين ظهر إحجام هؤلاء الناس عن القيام بواجبهم الشرعي في دفع العدو، تدخل الله تعالى لحفظ دينه بصورة

= أبي داود ج٢ ص٤٤٨ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٣١٨ والسنن الكبرى ج٦ ص٣٢٠ وشرح النووي على صحيح مسلم ج١٨ ص١١٤ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٩٧ وقصص الأنبياء للجزائري ص٢٠٧ وكشف الخفاء ج٢ ص١٨٥ و ٣٧٤ و ٣٧٥ والأحكام لابن حزم ج٧ ص٩٦٨ والضعفاء الكبير للعقيلي ج١ ص٧٤ والمجروحون لابن حبان ج١ ص٤٠ والكامل لابن عدي ج٣ ص٣٣١ و ٤٤٤ و ج٤ ص٦٥ والعلل للدارقطني ج٩ ص١٠٩ و ١١١ وتاريخ بغداد ج٥ ص٤٢٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٥ ص٣٧٢ وسير أعلام النبلاء ج٥ ص٣٤٠ و ٣٤٢ والذريعة ج٢٥ ص٥١ وتاريخ جرجان ص٣١٤ والبداية والنهاية ج٣ ص٣٨١ و ج٤ ص٥٣ وتنزيه الأنبياء ص١١٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص٥٤ و ٦١٨ والشفاء لعياض ج١ ص٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٨٦ وج٣ ص٩٢ وعن عيون الأثر ج١ ص٤٠١.

إعجازية، بشفاء علي «عليه السلام» من دون أن يؤثر ذلك على خيار واختيار أعدائه تعالى، أي أنه تعالى لم يحل بينهم وبين ما يريدون، ولم يشل حركتهم، ولم يمنعهم من ممارسة حرياتهم، لكي يشعروا بأنهم قد ظلموا في ذلك..

كما أنه سبحانه وتعالى لم يقهر المسلمين ولا علياً «عليه السلام» على التصدي للحرب، بل اكتفى بإزالة الموانع من طريق علي «عليه السلام» بشفاء عينيه، وأفسح المجال له لكي يختار، فاختار ما يقتضيه حبه لله ورسوله بعد أن أساء الآخرون الإختيار، فاختاروا الحياة الدنيا، وأنفسهم، وأظهروا: أن أنفسهم ومصالحهم أحب إليهم من الله ورسوله..

النبي ' يصنع المعجزة:

وشفاء عيني علي «عليه السلام» وإن كان معجزة صنعها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم، ولكنها لم تكن المعجزة التي يتوقف عليها إقناع الناس بالنبوة؛ لأن معجزة النبوة هي القرآن الكريم.

وقد كان الناس مقتنعين بنبوته «صلى الله عليه وآله»، بالاستناد إليها، أو إلى غيرها من موجبات ذلك..

كما أن هذا الشفاء لم يأت قبل مباشرة النبي «صلى الله عليه وآله» لأفعال يراها الناس، ويرون آثارها.. أي أن الشفاء لم يحصل ابتداءً من الله تعالى، ليظهر سبحانه فضل النبي «صلى الله عليه وآله»، أو علي «عليه السلام»؛ بل هو أمر تعمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه أن يفعل بعض المقدمات له. وقد اختاره، وقصد إلى إيجاده بعد أن لم يكن، مما يعني:

أنه «صلى الله عليه وآله» عارف به، ومختار له، وواثق بالنتيجة قبل حصولها..

وعارف بأنه يملك القدرة على فعله، من خلال ما خوله الله تعالى إياه..

وهذا يشير إلى: أنه «صلى الله عليه وآله» يملك قدرات تمكِّنه من التأثير التكويني في أمور واقعية ومادية، خارجية، من دون استخدام الوسائل المعتادة، بل من خلال هذه القدرات الغيبية التي يملكها، وأن القضية ليست مجرد دعاء، قد استجابه الله تعالى له.

وهذا يفسر ما روي، من أنه «صلى الله عليه وآله» قد تفل في عيني علي «عليه السلام»، وبزق في إلية يده، فدلك بها عينيه، أو نحو ذلك.

فتلخص: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف بالدعاء والطلب إلى الله تعالى أن يشفيه، بل قرن ذلك بممارسة عملية تؤكد: أنه يريد أن ينجز عملاً يقع تحت قدرته وباختياره.

لباس علي عليه السلام في الحر والبرد:

ورووا عن علي «عليه السلام» أنه قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث إليَّ وأنا أرمد العين يوم خيبر، فقلت: يا رسول الله، إني أرمد!!

فتفل في عيني، فقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذٍ.

وذكروا: أنه «عليه السلام» كان يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين، ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين[1].

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٩٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٦ وسنن ابن ماجة (ط المكتبة =

ونقول:

أولاً: قد ذكروا: أن رجلاً دخل على علي «عليه السلام» وهو يرعد تحت سمل قطيفة، (أي قطيفة خلقة) فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله جعل لك في هذا المال نصيباً، وأنت تصنع بنفسك هكذا.

فقال: لا أرزؤكم من مالكم شيئاً، وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة[1].

= التازية بمصر) ج١ ص٥٦ والخصائص للنسائي (ط مكتبة التقدم بمصر) ص٥ والعقد الفريد (ط مكتبة الجمالية بمصر) ج٣ ص٩٤ وكفاية الطالب (ط الغري) ص١٣٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٤٩ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٢٢ وتذكرة الخواص ص٢٥ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج٢ ص١٨٨ والخصائص الكبرى ج١ ص٢٥٢ و ٢٥٣ وبحار الأنوار ج٢١ ص٤ و ٢٠ و ٢٩ عن الخرايج والجرايح، وعن الخصال ج٢ وعن دلائل النبوة للبيهقي والميزان (تفسير) ج١٨ ص٢٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص١٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢١٤ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص١٢١ عن ابن جرير، والبزار، وأحمد، وابن أبي شيبة، والطيالسي، والمستدرك، والبيهقي، وغيرهم والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٩٧ ومناقب أمير المؤمنين ج٢ ص٨٨ و ٨٩ ومجمع البيان (ط سنة ١٤٢١هـ) ج٩ ص١٥٥.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٦ وحلية الأبرار ج٢ ص٢٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٧٧ وعن ينابيع المودة ج٢ ص١٩٥ وبحار الأنوار ج٤٠ ص٣٣٤ والتذكرة =

قال الحلبي: «قد يقال: لا مخالفة، لأنه يجوز أن تكون رعدته «عليه السلام» ليست من البرد، خلاف ما ظنه السائل، لجواز أن تكون لحمى أصابته في ذلك الوقت»[١].

ويرد عليه: أن هذا تأويل بارد، ورأي كاسد، بل فاسد؛ فإن ظاهر الكلام: أن رعدته قد كانت بسبب رقة ما يلبسه، وهو قطيفة خلقة (أي بالية)، وأنه لو استفاد من نصيبه من المال، ولبس ما يدفع هذا البرد لم يكن ملوماً. فما يجري له كان هو السبب فيه، وهو الذي أورده على نفسه.. وقد أصر «عليه السلام» على عدم المساس بالمال الذي تحت يده.

ولعلهم أرادوا في جملة ما أرادوه من هذا الحديث: أن يشككوا الناس بزهده «عليه السلام» في ملبسه، وأن يقولوا: إن ذلك بسبب عدم شعوره بحر ولا برد.

ثانياً: إننا لا نجد أي ارتباط بين شكوى علي «عليه السلام» من الرمد، وبين الدعاء المنسوب للنبي «صلى الله عليه وآله» وهو: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فإنه «عليه السلام» لم يكن يشكو من حر ولا برد.

= الحمدونية (ط بيروت) ص٦٩ ومختصر حياة الصحابة (ط دار الإيمان) ص٢٥٣ والأموال ص٢٨٤ وقمع الحرص بالزهد والقناعة ص٧٩ وصفة الصفوة ج١ ص١٢٢ وحلية الأولياء ج١ ص٨٢ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٢٩٥ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٢٨٤ وكشف الغمة للأربلي ج١ ص١٧٣.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٣٦ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٣٥.

بل كانت شكواه من رمد عينيه، فهل هذا إلا من قبيل أن تقول لإنسان: إني عطشان، فيقول لك: نم على السرير؟!

ثالثاً: حتى لو كان قد دعا له بإذهاب البرد والحر عنه.. فإنه لا يجب استمرار أثر ذلك حتى الممات، بل يكفي أن لا يشعر بالبرد أو الحر الذي كان يشعر به حين الدعوة في ذلك اليوم.

ويدل على ذلك: أنهم رووا عن بلال، قوله: أذَّنت في غداة باردة فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلم ير في المسجد أحداً، فقال: أين الناس يا بلال؟!

قال: منعهم البرد.

فقال: اللهم أذهب عنهم البرد.

قال بلال: فرأيتهم يتروحون[١].

فلماذا لم يستمر ذهاب البرد عنهم إلى أن خرجوا من الدنيا؟ كما يزعمونه بالنسبة لعلي «عليه السلام»؟!

أم أن هذه هي القصة الواقعية، وقد استُفيد منها في قصة خيبر، لحاجة في أنفسهم؟!

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢١٤ عن البيهقي، وأبي نعيم، والطبراني ومجمع الزوائد للهيثمي ج١ ص٣١٨ والكامل لابن عدي ج١ ص٣٤٦ والموضوعات لابن الجوزي ج٢ ص٩٣ وأسد الغابة ج١ ص٢٠٩ وميزان الإعتدال ج١ ص٢٨٩ ولسان الميزان لابن حجر ج١ ص٤٨٢ والبداية والنهاية ج٦ ص١٨٥.

الفهارس:

١ ــ الفهرس الإجمالي

٢ ــ الفهرس التفصيلي

١ ـ الفهرس الإجمالي

الباب الخامس: حتى الحديبية..

الباب السادس: خيبر وفدك..

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الباب الخامس: حتى الحديبية..

الفصل الأول: علي عليه السلام في حرب الخندق..

الفصل الرابع: علي عليه السلام في نهايات حرب الخندق

الفصل الخامس: علي عليه السلام في غزوة بني قريظة..

الفصل السادس: من المريسيع.. وحتى الحديبية..

الفصل السابع: أحداث جرت في الحديبية.. وبعدها..

الباب السادس: خيبر وفدك..

الفصل الأول: فتح ثلاثة حصون من خيبر..

الفصل الثاني: المنهزمون.. نصوص.. وآثار..

الفصل الثالث: وقفات مع النصوص..

الفهارس: